بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة آل البيت
كلية الآداب والعلوم
قسم اللغة العربية

رسالة ماجستير بعنوان

المقالة الأدبية في كتابات خالد الكركي
The Literary Essay in Khalid Al – Karaky's Writings

إعداد الطالب :

عمر عبد الكريم مكازي أخو ارشيدة

٠٢٢٠٣٠١٠٠٨

قدمت هذه الدراسة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في اللغة العربية وآدابها في جامعة آل البيت

باشراف

الأستاذ الدكتور : شكري عزيز الماضي

العام الدراسي : ٢٠٠٥/٢٠٠٦

المقالة الأدبية في كتابات خالد الكركي
The Literary Essay in Khalid Al – Karaky's Writings

إعداد الطالب :

عمر عبد الكريم مكازي أخو ارشيدة

٠٢٢٠٣٠١٠٠٨

اسم المشرف

الأستاذ الدكتور : شكري عزيز الماضي

أعضاء لجنة المناقشـــــــة	التوقيـــــــع
الأستاذ الدكتور شكري عزيز الماضي (رئيسا)	.....
الأستاذ الدكتور نبيل يوسف حداد (عضوا)	.....
الدكتور نايف خالد العجلوني(عضوا)	.....
الدكتور عبد الباسط أحمد المراشدة (عضوا)	.....

قدمت هذه الرسالة استكملا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في .....
في كلية / معهد ..... في جامعة آل البيت .

نوقشت وأوصى بإجازتها / تعديلها / رفضها بتاريخ .....

الإهداء

إلى الأرواح التي هاجرت وسكنت الفردوس الأعلى من الجنة :

- روح والدي الذي عاش مؤمنا صابرا .

- روح الوالدة .

- روح الأخ " محمد " .

" في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود "

وإلى أصحاب النفوس الزكية ، الذين أمدوني دائما بالمحبة الدافئة :

- الإخوة والأخوات الأعزاء .

- زوجتي العزيزة " أم محمد " التي صبرت معي .

- أولادي ثمرة فؤادي " محمد وأسامة ولينا " .

إلى هؤلاء جميعا أهدي هذا الجهد المتواضع .

الباحث

شكر وتقدير

بعد أن تمت هذه الدراسة المتواضعة واكتملت جوانبها بفضل الله وكرمه ، فإنني أجد من الواجب علي أن أتقدم بالشكر والامتنان العظيمين لأشخاص ، كانوا بحق أصحاب فضل عليّ ، أنا العبد الفقير إلى الله تعالى .

وعلى رأسهم أستاذي (المشرف على هذه الدراسة) العالم الجليل، الأستاذ الدكتور شكري عزيز الماضي ، الذي تشرفت بالدراسة على يديه الكريمتين ، وتعلمت منه أثناء ذلك الخلق الحميد والتواضع وحب المعرفة . الذي تكرم علي وقبل الإشراف على هذه الدراسة ، وأمدني بالتوجيه والنصح والإرشاد والملاحظات ورفع المعنوية والعزيمة للاستمرار ، جزاه الله عني خير الجزاء .

كما أتوجه بشكري وامتناني للأساتذة والعلماء الأجلاء ، أعضاء لجنة المناقشة :

الأستاذ الدكتورشكري عزيز الماضي رئيس اللجنة ،الاستاذ الدكتور نبيل حداد ، الدكتور نايف العجلوني ، والدكتور عبد الباسط احمد المراشدة ، الذين شرفوني وتفضلوا علي بجعل هذه الدراسة موضع عنايتهم واطلاعهم ، ليمدوني بملاحظاتهم وتوجيهاتهم - إن رأوا ذلك - سائلا الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم .

وأتقدم كذلك بالشكر والامتنان إلى الدكتور محمد الدروبي ، الذي تكرم علي أيضا بالتوجيه والنصح والإرشاد، في مراحل تكوين هذه الدراسة .

كما يطيب لي كذلك ، أن أتقدم بالشكر إلى الأخوة الأحباء التالية أسماؤهم ، الذين لم يقصروا في المساعدة ومد يد العون ، وهم : الأخ عصام قطناني من مكتبة جامعة اليرموك ، والأخ عبد الله دمدوم من مكتبة الجامعة الأردنية ، والمهندس جمعة الوردات مدير مدرسة المفرق الصناعية للبنين ، وأحمد الحسبان رئيس القسم النظري في مدرسة المفرق الصناعية للبنين على تقديمهما التسهيلات الإدارية لي ، والأخ عدنان حراحشة ، والأخ عصام أبو شندي اللذين ساعداني في الحصول على بعض المراجع ، والأخ جمال بني سلامة لمساعدته لي في الترجمة.

إلى هؤلاء جميعا شكري ومحبتي .

إلى هؤلاء جميعا شكري ومحبتي .

قائمة المحتويات

* الإهداء ج
* شكر وتقدير د
* ملخص هـ
* المقدمة ١

***الفصل الأول : خالد الكركي والمقالة الأدبية**

أولا : تطور فن المقالة. ٦
ثانيا : مفهوم المقالة وأقسامها ١٢
ثالثا : الأصول الاجتماعية والتكوين الثقافي لخالد الكركي ٢٠
رابعا : روافد المقالة عند خالد الكركي ٢٨
خامسا : حدود نوع المقالة وخصائصها عند خالد الكركي ٤٣

***الفصل الثاني : القضايا والأبعاد**

أولا : ـ البعد القومي . ٥٥
ثانيا : البعد الوطني . ٧٣
ثالثا :ـ البعد الثقافي . ٨٣

***الفصل الثالث : الدراسة الفنية**

أولا : النسيج اللغوي ١٠٣
ثانيا : العناصر الفنية ١١١
ثالثا : توظيف التراث ١٢١
* الخاتمة ١٤٨
* قائمة المصادر والمراجع ١٥٣
* ملخص باللغة الإنجليزية ١٥٨

الملخص

تتناول هذه الدراسة مقالات خالد الكركي والتي تميزت بعدد من السمات التي أعطته الشخصية المستقلة في هذا الميدان على المستويين العربي والأردني ، فقد امتازت لغته بصبغة الشاعرية والعاطفة الصادقة الجياشة، وبروز التشخيص والتجسيد والمفردات والعبارات الهادفة المؤثرة التي ميزته بقاموس لغوي خاص ، هذا بالإضافة إلى انه استطاع أن يوظف الأبعاد القومية والوطنية والثقافية في كتاباته .

وعلى الرغم من أهمية هذا الموضوع وغناه واستحقاقه للدراسة الا إنني لم اعثر على دارسة وافية لمقالات خالد الكركي ، ماعدا دراستين لأستاذين أردنيين هما : نبيل حداد والكاتب احمد المصلح في بحثين أدرجا في الدراسة الموسومة " بفن المقالة في الأردن " ولذلك فقد اخترت هذا الجانب موضوعا للدراسة تحت عنوان " المقالة الأدبية في كتابات خالد الكركي " وشرعت في هذه الدراسة انطلاقا من عدد من المسوغات، من أهمها انه يوظف تقنيات متنوعة في كتابة مقالاته الأدبية ، مما ادى الى خروجها محكمة البناء والصياغة لتكون اشبه بقصيدة غنائية واستندت هذه الدراسة على عدد من الفرضيات من اهمها : انه يوظف وعيه النقدي وثقافته في بناء مقالاته وان الواقعية ، أضفت على مقالاته بعداً إيجابياً ، وان الهم الجماعي قد وظف بشكل بارز في هذه المقالات . وقد انقسم هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة ، تناول الفصل الأول الحديث عن تطور فن المقالة قديما وحديثا ، ومفهوم المقالة وأقسامها ، والأصول الاجتماعية والتكوين الثقافي لخالد الكركي ، وروافد كتابة المقالة عند الكاتب وحدود نوع المقالة وخصائصها عند خالد الكركي .

أما الفصل الثاني فقد تحدث عن الأبعاد والقضايا التي دارت مواضيع الكاتب ضمنها ، والفصل الثالث تناول مقالاته بالدارسة الفنية من حيث النسيج اللغوي والعناصر الفنية وتوظيفه للتراث وقد اعتمدت القراءة الشاملة لمقالات خالد الكركي منهجا في هذه الدارسة ، وذلك باستقراء مقالاته بشكل عام لتمييز القضايا والأبعاد والتي تناولتها هذه المقالات ، وكذلك العناصر الفنية ، والنسيج اللغوي وتوظيفه للتراث في هذه المقالات ، معتمدة على عدد من المصادر والمراجع تم إثباتها في نهاية الرسالة .

المقدمة

تطور فن المقالة في العالم العربي تطورا ملموسا وذلك بظهور كوكبة من الكتاب الذين أغنوا الساحة الأدبية العربية بالمقالات ، حيث برز عدد منهم على مستوى الوطن العربي ممن أرسوا قواعد المقالة الأدبية العربية الحديثة ، التي ارتبطت بظهور الصحافة التي هي بالأصل حديثة على وطننا العربي منذ ما يقرب من قرن ونصف من الزمان.

والمقالة الأدبية ، كما يقول نبيل حداد : " ضرب من الكتابة لا يتوخى هدفا عمليا وتكون اللغة فيه مجرد أداة توصيل، بل إن غايته جمالية في المقام الأول، وتاتي الغاية الوظيفية في الهدف الثاني ، واللغة هنا ليست مجرد أداة توصيل بل إنها وسيلة خلق وابداع وأداة تصوير لاتقرير" (١)

وقد برز في الأردن - كما في باقي الدول العربية - عدد من كتاب المقالة الأدبية من أمثال عبد الرحيم عمر وجمعة حماد وبدر عبد الحق ومؤنس الرزاز وفخري قعوار وجمال ناجي ومحمود الريماوي وغيرهم .

وخالد الكركي واحد من أولئك الكتاب ، إلا أنني اخترت مقالاته نموذجا للمقالة الأدبية لعدة أسباب : أولها أنها ظهرت متفردة عن غيرها ومتصفة بصفات عديدة متميزة أهمها : النسيج اللغوي والتداخل مع الشعر والبنية المشعة بدلالات متنوعة ، وثانيها أنها ذات أبعاد فكرية وثقافية واجتماعية ووطنية وقومية وانسانية . هذا بالإضافة إلى أنه أخذ على عاتقه ارساء قواعد المقالة الأدبية وجدد فيها من حيث المضمون والشكل ، كما امتازت معظم مقالاته بالارتباط بالوضع الاجتماعي والسياسي والثقافي الراهن مما يجعله قريبا من القارئ العادي أو ذي البصيرة الناقدة على حد سواء. وكذلك فإنه قد أغنى المكتبة الأردنية والعربية فيما يتعلق بالمقالة الأدبية عبر مقالاته التي جمعها في مجموعة من كتبه مثل : أوراق عربية وبغداد لا غالب إلا الله ومن دفاتر الوطن وورد ورماح وتحولات الرجل اليماني ، بالاضافة إلىمقالاته الأخرى التي هي كثيرة ومتعددة نشرت له في صحف ومجلات ودوريات مختلفة .

ولم أعثر على دراسة شاملة لمقالات خالد الكركي ، حيث لم يتناولها أحد بالبحث الكامل الوافي ، ولكنها ظهرت في معرض الحديث النقدي عن فن المقالة في الأردن ، وخاصة فيما يتعلق بالتجديد والتحديث في المقالة الأردنية والعربية . ومن أولئك الذين تحدثوا عن المقالة عند خالد الكركي في معرض حديثهم عن المقالة وتطورها في الأردن نبيل حداد ، حيث

---

(١) – نبيل حداد : في المقالة الأدبية : الدكتور خالد الكركي نموذجا ضمن " فن المقالة في الأردن " ص ٦٦

رأى في بحثه الموسوم " بالمقالة الأدبية خالد الكركي نموذجا " أن خالد الكركي له سماته الخاصة في الجانب التعبيري ، وطابعه المتفرد كما يرى نبيل حداد أن المقالة الأدبية بصرف النظر عن مقتضيات النشر أنها مادة صحفية ، أما الناقد فان من حقه أن يبحث عن القيم الجمالية والشروط الفنية في هذا النص أو ذاك . وإلىجانب ذلك تناول نبيل حداد " مقالة سلام عليك ، سلام عليك " [1] والتي نشرها الكركي بعد رحيل جلالة الملك الحسين بن طلال رحمه الله تعالى في جريدة الرأي الأردنية ، حيث رأى أن هذه المقالة فيها سمات الخطاب الملحمي ، بل يرى أنها تكاد تكون " ملحمة مصغرة " وذلك على شكل مقالة أدبية .

أما أحمد المصلح في بحثه الموسوم " بالمقالة الصحفية في الأردن " فقد تناول العديد من الكتاب من أمثال عبد الرحيم عمر ، وجمعة حماد ، وخالد الكركي . حيث رأى أن مقالة خالد الكركي تغري الدارس لكي يتناولها في مستويات قرائية مختلفة ، إن على مستوى زاوية الرؤية فيها ، أو على مستوى تجليات الرؤى والأفكار والتصورات في بنى فنية جمالية .

وهاتان الدراستان قدمتا لي الكثير من الفائدة وأنارتا لي الكثير من القضايا في هذه الدراسة ، وقد كانت دراسة نبيل حداد خاصة بمثابة البذرة الأولى التي أوحت لي بهذه الدراسة ووجهتني لدراسة مقالات خالد الكركي دراسة شمولية وكلية تشمل الأبعاد الموضوعية والظواهر الفنية .

وقد انطلقت هذه الدراسة من سمات عامة تقوم عليها هذه المقالات منها :

ـ خطابه الأدبي المباشر ، هذا الخطاب الذي يتحدث فيه الكاتب إلىجمهوره بنفسه أو باسمه الصريح لا من خلال غيره.

ـ انشائية الخطاب ، وهي سمة عامة في المقالة الأدبية وكلها عند الكركي تأخذ تجليات خاصة ، فالمقالة لا تأتي بالنبأ أو المعلومة لغاية اخبارية بل لهدف انشائي .

ـ الجانب التعبيري ، بمعنى أن اللغة عند خالد الكركي لها طابعها المتفرد تنبعث من الروح لتخترق صميم الوجدان ، فالنسيج اللغوي له سماته وخصائصه وأبعاده .

ـ المعاني الدينية والمادة التراثية من أحداث وشخصيات تاريخية وأعلام وشعر وآيات قرآنية وأمثال وغيرها ، والتي تتجلى في كثير من مقالاته الأدبية .

وتطمح هذه الدراسة إلىالتحقق من عدد من الفرضيات من أهمها : أن خالد الكركي قد وظف وعيه النقدي وثقافته بشكل عام في مقالاته الأدبية ، وأن الهم الجماعي العربي قد ظهر بشكل بارز في مقالاته ، وأن الواقعية عنده أضفت على المقالة الأدبية بعدا ايجابيا .

---

(١)- نشرت المقالة في جريدة الرأي الأردنية ، بتاريخ ١٩٩٩/٢/١١م ص٥

وأنه يضمن معظم مقالاته شخصيات تاريخية وأدبية وسياسية شخصيات لها تأثيرها على المجتمع ولها مكانتها فيه ، لأن كل شخصية فيها تجعل الشخص الذي يقرأ عنها يتمثل هذه الشخصية في وجدانه ويتقمصها تقمصا وجدانيا لما يكن لها من التبجيل والاحترام ، انها وبكل بساطة شخصيات عامة ورموز مشتركة بين الناس لا خلاف أو اختلاف فيها لها بصماتها الواضحة في التاريخ العربي المشرق . وأنه في جل مقالاته يخاطب الروح الوطنية والقومية لدى القارئ ويستفز هذه الروح بالتذكير بتاريخ الأمة العربية والاسلامية بل ويضيء الطريق لنا ، لنرى المستقبل محاولا أن يطرد اليأس والخمول والتقاعس من نفوس هذه الأمة التي تعاني من أزمة ثقة بنفسها وأبنائها وساستها .

وأنه جعل من الواقع الاجتماعي الذي يعيشه المواطن الأردني والعربي مادة خصبة وغنية في بناء مقالاته وتكوينها. وأن النسيج اللغوي في لغته قد تفرد في ألفاظه وتراكيبه وخصائصه .

وقد انطلقت هذه الدراسة بناء على عدد من المسوغات من أهمها : أن المقالة في الأردن تتصف بأنها حديثة ومتطورة سواء من حيث الشكل أو المضمون مما جعل لها تأثيرا واضحا في مسيرة الأدب العربي بشكل عام والجانب الأدبي النثري بشكل خاص . وأن المقالة تعد ظاهرة أو نوعا أدبيا حديثة العهد وبالتالي لم تدرس بشكل واف من قبل الدارسين والناقدين والأدباء . وأن خالد الكركي اعتمد على المادة التراثية في جل مقالاته الأدبية . وأنه يوظف تقنيات متنوعة في كتابة مقالاته الأدبية وبالتالي جاءت هذه المقالات محكمة من حيث البناء والصياغة لتكون أشبه بقصيدة غنائية ، حيث برزت الجوانب الفنية الأدبية في أسلوب كتابته للمقالات .

وقد حاولت الدراسة الإجابة عن عدد من الأسئلة من أهمها : هل أضاف خالد الكركي بعدا جديدا في المقالة الأدبية العربية ؟ هل امتلك أسلوبا خاصا به ؟ وما سماته وخصائصه وأبعاده وأثره ؟. هل استهل المقالة الأدبية بفكرة عامة أو بخاطرة من الخواطر ، يقيم عليها بناء موضوعه ، ثم يتتبعها بالشرح والتفسير والتعليق ؟ هل تأثر بالتراث والتاريخ العربي ، وهل ظهر التأثر في مقالاته بشكل جلي ؟ ام تم استلهامه بأساليب متنوعة ؟ ما مستويات التجديد عنده في المقالات الأدبية ؟ وما الخصائص الفكرية والفنية عند خالد الكركي في كتاباته ؟ وما سمات النسيج اللغوي ومميزاته ؟

وقد انقسم البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة : الفصل الاول وعنوانه خالد الكركي والمقالة الأدبية ، قدمت فيه تمهيدا تناول تطور فن المقالة ومفهومها وأقسامها ومن ثم الأصول الاجتماعية والتكوين الثقافي لخالد الكركي وروافد المقالة عنده ثم أنواع المقالة وخصائصها عنده ايضا .

أما الفصل الثاني . فكان بعنوان : القضايا والابعاد ، تناول القضايا والابعاد التي عالجتها مقالات الكاتب ، حيث ركز على الابعاد القومية العربية والوطنية الأردنية والبعد الثقافي والفكري . والفصل الثالث والذي حمل عنوان : الدراسة الفنية وشملت النسيج اللغوي والعناصر الفنية في هذه المقالات واستلهام الكاتب وتوظيفة للتراث . أما الخاتمة فقد تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة .

واعتمدت هذه الدراسة طريقة القراءة الشمولية لمقالات خالد الكركي كلها منهجا لها ، ومن ثم رصد الظواهر الأسلوبية والفنية وأبعادها ومصادرها وأثرها ، وتعليل هذه الظواهر وتفسيرها ، دون اغفال للموازنات التي تلقي بأضواء على هذه الظاهرة أو تلك وتزيد من فهمها وتذوقها .

وأخيرا فإنني آمل أن أكون قد وفقت في الوصول إلى حقيقة وثمرة علمية جديدة تسهم في رفد الحركة الأدبية الفنية الأردنية والعربية بعامة ، والله ولي التوفيق .

الفصل الأول

خالد الكركي والمقالة الأدبية

أولا : تطور فن المقالة

ثانيا : مفهوم المقالة وأقسامها

ثالثا : الأصول الاجتماعية والتكوين الثقافي

رابعا : روافد المقالة عند خالد الكركي

خامسا : حدود نوع المقالة وخصائصها عند خالد الكركي

خالد الكركي والمقالة الأدبية

تمهيد :

يتطلب الحديث عن الجوانب الفنية والفكرية في مقالات أديبنا العربي الأردني خالد الكركي من هذا البحث – تمهيدا يتمثل في الوقوف عند بعض الجوانب المهمة لاستقصائها وتجلية جوانبها ، وهي : أولا حديث موجز حول تطور فن المقالة ، وثانيا البحث في مفهومها وأقسامها ، ومن ثم الحديث عن الأصول الاجتماعية والتكوين الثقافي لخالد الكركي وروافده لكتابة المقالة الأدبية ، والحديث كذلك عن حدود نوع المقالة وخصائصها لديه ، ليكون هذا الحديث تمهيدا للبحث في موضوعي الفصلين الثاني والثالث من هذه الدراسة : القضايا والأبعاد التي تنطوي عليها المقالات الأدبية لخالد الكركي ، وكذلك الدراسة الفنية لعموم هذه المقالات ، لمحاولة الوقوف عند السمات العامة لأسلوبه في كتابة المقالات الأدبية ، وسيلي الحديث في هذين الجانبين فيما يلي :

أولا : تطور فن المقالة

لقد مرت المقالة - بوصفها نوعا من أنواع التعبير الإنساني – في أكثر من مرحلة حتى وصلت إلى مرحلة النضج ، إذ " المقالة في حقيقتها شأن سائر فنون الأدب الأخرى تقوم على ملاحظة الحياة وتدبر ظواهرها وتأمل معانيها (١) وقد فطر الإنسان منذ الأزل على الحاجة للتعبير عما في نفسه " فعبر عنها بكتاباته ونقوشه ورسوماته على جدران الكهوف بصورة بسيطة وعفوية خالية من التكلف أو التصنع ، وتعد الأمثال والحكم لما تتصف به من عفوية وبساطة أقرب إلى فن المقالة ، فهي صورة صادقة لما يحس به الإنسان ويشاهده في الحياة خالية من أي تكلف أو إرهاق للفكر "(٢) ، وبإجالة الطرف في صفحات التاريخ نجده حافلا بشواهد من سعي الإنسان للتعبير عن نفسه .

فقد قدّم لنا الأدب الفرعوني نموذجاً واضحاً عن بدايات المقالة ، إذ تنوعت الموضوعات في المقالة المصرية القديمة بين الدين والأخلاق والسياسة ، ومن ذلك يتضح " أن البذور المقالية في التراث المصري القديم ارتبطت بالتقدم الحضاري والعلمي الذي شهدته مصر الفرعونية "(٣)

ومن أهم نماذج المقالات المصرية القديمة " شكاوى الفلاح وحكم " بتاخ حيبت" السبع

---

(١)- محمد يوسف نجم ، فن المقالة ، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ط٢ ١٩٦٠ ، ص (٨)

(٢)- نفسه ص ٩

(٣)- عبد العزيز شرف ، التفسير الإعلامي لأدب المقالة ، القاهرة . دار عالم المعرفة والنشر والتوزيع عام ١٩٩٥ ص(٦٣).

والثلاثون والتحذير من غرور العلم : وعامل زوجتك بالحسنى "(١) ، وكذلك وصايا " أمنمحات لابنه وسنوسرت ، وتعاليم " أمنموبي وآتي " وتعاليم : خيبيتي : وتعاليم " مريكارع " ، وإن من يدرس هذه النماذج يجد أن المقالة المصرية القديمة كانت متطورة متقدّمة قائمة على أسس عريقة ومكينة "(٢) . ويقدم الأدب الصيني القديم لنا نموذجاً آخر للبذور المقالية ، وخاصة الموضوعات الدينية والفلسفية ، بالإضافة إلى الأقوال المأثورة التي " .. تنسب إلى " كونفشيوس " حوالي " ٥٠٠ ق.م " وآثار " تسي زي " في ذلك الوقت ، وكتابات " منشيوس " ٣٠٠ ق.م " عن الحب الكوني .. "(٣)

ويعثر الباحث في الآداب اليونانية والرومانية ، على صورة متطورة ونماذج متقدمة لهذه البذور ،(٤) حيث يتجلى لنا بوضوح المستوى المتقدم الذي وصلت إليه المقالة في الحضارتين اليونانية والرومانية - في تطوير أسلوب المقالة الحديثة ، حيث نجدها " ناضجة ومتطورة كذلك عند " ثيوفراستوس " تلميذ أرسطو وذلك في كتابه " شخصيات " الذي يبحث في طبيعة النفس البشرية ، كما يقدّم لنا الأدب الروماني نموذجاً متقدماً من المقالات أهمها " رسالة الشيخوخة " ورسالة الصداقة لشيشرون ومحاولات " سنيكا " التي سميت " رسائل إلى لوسيليوس " ورسالة هوراس " فن الشعر " ذائعة الصيت... "(٥). هذا بالإضافة إلى كونتليان " في القرن الأوّل بعد الميلاد " الذي تناول في كتابه " قواعد الخطابة " كيفية تدريب الخطيب(٦)

أما في الأدب العربي القديم ، فقد ظهرت بذورها في القرن الثاني الهجري ، في الخطب بالذات ، حيث شهد ذلك العصر بداية ازدهار النثر بشكل عام " بسبب النزاعات السياسية والعصبية القبلية التي كان من أهم أدواتها الخطابة والسيف ، إذ كان لكل حزب خطباؤه المفوهون الذين يتبنون وجهة نظره ويقنعون العامة بها مستخدمين سحر بيانهم وبلاغتهم من أجل الفوز بتأييد العامة ونيل ثقتهم ، ومن ثم السيطرة على الخلافة والسلطان "(٧)، وقد شهدت تلك الفترة ازدهار نوع نثري آخر بالإضافة إلى الخطب ، وهي " الرسائل " والتي هي قريبة في الشكل الفني إلى حد كبير من فن المقالة الأدبية في العصر الحديث . وقد أشتهر عدد من كتاب الرسائل الإخوانية والديوانية(٨) من أبرزهم عبد الحميد الكاتب والحسن بن سهل ، وأبو إسحق الصالي وابن العميد

---

(١)- محمود الشريف ، فن المقالة الأدبية والموضوعية والصحفية ، الكويت عام ١٩٨٥ص (١٢).

(٢)- عبد العزيز شرف ، التفسير الإعلامي لأدب المقالة ص(٦٧).

(٣)- محمد يوسف نجم ، فن المقالة ص (١٠)

(٤)- نفسه ص ١٠

(٥)- محمود الشريف ، فن المقالة الأدبية والموضوعية والصحفية ص (١٤).

(٦)- أنظر : محمد يوسف نجم ، فن المقالة ص (١٢) .

(٧)- عبد العزيز شرف ، التفسير الإعلامي لأدب المقالة ص (١٨٤) .

(٨)- الرسائل الإخوانية : وهي التي يكتبها الكاتب إلى صديق أو نحوه وهي غير رسمية . والرسائل الديوانية : فهي التي تصدر عن ديوان الخليفة أو الأمير ونحوه " وهي رسمية يوجهها الخليفة إلى عماله وقادة جيشه أو إلى الملوك والأمراء ونحو ذلك

، والصاحب بن عباد والعماد الأصفهاني والقاضي الفاضل ، وضياء الدين بن الأثير والجاحظ وبديع الزمان والمعري وإبن زيدون والخوارزمي(١)

ويعد عبد الحميد الكاتب من أشهر كتّاب الرسائل في العصر الأموي ، حيث اشتهر برسائله السياسية ، عدا عن رسائله في مختلف الموضوعات الأخرى ، ولكنه تميز في كتابة الرسائل السياسية بصفته قائماً على ديوان الخليفة الأموي مروان بن محمد .

ولعل من أكثرها شهرة رسالته التي توجه بها إلى الكتّاب والتي " تحدّث فيها عن الشروط التي يجب أن يتصف بها الكاتب ليتقن هذا الفن ،وكذلك ما يجب أن يتحلى به الكتاب من صفات الخير وخصال الفضل والإلمام بالثقافة الإسلامية وأخبار الأمم "(٢). وغيرها من الشروط ، حيث يعتمد عبد الحميد في كتابة رسائله على" الترادف الموسيقي وفنون البديع من طباق ومقابلة وجودة التقسيم واستعارات وسجع وجناس بالإضافة إلى جمال التصوير

ومن هنا نستطيع القول إن رسائل عبد الحميد الكاتب اقتربت إلى حدٍّ كبير في الشكل من فن المقالة وبالتالي يمكن الحكم أن رسائل عبد الحميد الكاتب في معظمها تحفل بالبذور التاريخية لأدب المقالة . وذات الحكم كذلك يمكن أن ينسحب على " خطب الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكذلك رسائل الحسن البصري الوعظية التي من أشهرها رسالته إلى الخليفة الراشدي الخامس عمر بن عبد العزيز التي تتحدث عن صفات الإمام العادل ، حيث استكملت العناصر الفنية لأدب المقالة(٣)

وقد تطورت أساليب التعبير الفني النثري في العصر العباسي ونمت نموا رائعا ، ولعل من أهم العوامل التي ساعدت على ذلك التطور المتسارع في حركة الترجمة وانفتاح العرب وإطلاعهم على حضارات وثقافات الأمم الأخرى من الحضارة الفارسية والبيزنطية والهندية وبلاد ما وراء النهرين"(٤) ومن أهم الكتّاب في العصر العباسي ابن المقفع وسهل بن هارون والجاحظ وابن العميد والصاحب بن عباد والقاضي الفاضل وبديع الزمان الهمذاني.

والدارس لنشأة المقالة وبذورها التاريخية ، لابد أن يتعرض إلى رسائل الجاحظ التي هي في نظر معظم النقاد خير مثال على النموذج المقالي في الأدب العربي القديم ، هذه الرسائل التي نجد معظمها في كتابيه البخلاء والحيوان ، وهذا ما جعل الجاحظ " أول المقاليين العرب(٥) في رأي

---

(١)- عبد العزيز شرف : التفسير الإعلامي لأدب المقالة ص١٨٦

(٢)- شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، ط ٨ دار المعارف -القاهرة ١٩٤٦ ص (١١٥)

(٣)- محمود الشريف ، فن المقالة الأدبية ص (١٦) .

(٤)-محمد أبو كته وآخرون ، فن الكتابة العربية: جزئيات المقال الأدبي ، القدس ، ١٩٨٤ ص (٣٩)

(٥)-عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية في مصر ، القاهرة ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٩٥ ص (٢٣٢) .

بعض الباحثين والنقاد.

ويقدم لنا بديع الزمان الهمذاني نموذجاً مقالياً جديداً ومتطوراً من خلال بعض رسائله التي تشبه إلى حد كبير فن المقالة ، حيث يذهب بعض الباحثين كذلك إلى أن " الهمذاني أقدم رائد لفن المقالة في الأدب العالمي قبل ظهور مقالات مونتين "(١)

ومن أهم الموضوعات التي تناولها بديع الزمان الهمذاني المدح والهجاء والعتاب والشكوى والوصف والفخر والاستعطاف ، كما أنه كتب في الشؤون العامة والعيوب الاجتماعية في زمانه ، فهو بذلك يكون " أول من أرسى دعائم فكرة المقالة الصحفية "(٢)

إن موضوع الكتابة في الشؤون العامة عند بديع الزمان الهمذاني " جعله رائد المقالة الصحفية "(٣) حيث نجد بذور المقالة الصحفية التي تعالج مختلف الشؤون الاجتماعية والسياسية والتي تعتبر مرآة للعصر الذي عاش فيه ، ولقد سبق بديع الزمان بذلك كتّاب عصره بمعالجة المواضيع والشؤون العامة . ومن أهم الصفات المميزة لرسائل بديع الزمان " الاعتناء بإنتقاء الألفاظ العذبة التي لها جرس موسيقى على الأذن والاقتباس من القرآن الكريم وكذلك الشعر واستخدام فنون البديع المختلفة من جناس وسجع واستعارة وفنون أخرى متعددة"(٤)

ومن ناحية أخرى ، يجب الإشارة إلى رسائل سهل بن هارون إلى بني عمه في مدح البخل وذم الإسراف ، على أنه من خير " ما يمثل الرسالة الفكاهية والتي تشبه إلى حدٍ ما مقالات أديسون وستيل"(٥) أما رسائل " إخوان الصفا " والتي كتبت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري والتي تضم اثنتين وخمسين رسالة ، فإنها تعد " خير مثال على المقالة الفلسفية(٦) ، ومن هنا يمكن الحكم بأن تاريخ الأدب العربي مليء بالشواهد التي تمثل البذور التاريخية لفن المقالة الأدبية الحديثة ، وذلك ابتداء بالخطابة ومروراً بفن المقامة وانتهاء بالرسائل .

ولا بد من الإشارة قبل الانصراف عن الحديث عن البذور المقالية في أدبنا العربي الحديث وهي كثيرة - إلى أنه لم تظهر بعد أي دراسات علمية جادة تتناول العلاقة بين كتاباتنا النثرية هذه وصلتها بالمقالة الأوروبية الحديثة ، وهذا لا ينفي الحقيقة التي لا يختلف فيها اثنان من أن أدبنا العربي غنيٌ بالبذور التاريخية للمقالة الحديثة التي نعرفها الآن .

---

(١)- عبد العزيز شرف ، أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصالة ، دار الجيل ، بيروت ٢٠٠٠ ص٨١

(٢)- مأمون بن محي الدين الجنان ، بديع الزمان الهمذاني بين المقالة والرسالة بيروت ، دار الكتب العربية ، ١٩٩٣ ص (٣٨) .

(٣)- مصطفى الشكعة ، بديع الزمان الهمذاني ، رائد القصة العربية والمقالة الصحفية ، الدار المصرية اللبنانية ، ٢٠٠٢ ، ص (٢١٣)

(٤)- مأمون بن محي الدين الجنان ، بديع الزمان الهمذاني بين المقالة والرسالة ص (٦٥-٦٧) .

(٥)- محمد يوسف نجم ، فن المقالة ص (٢٠)

(٦)- محمود الشريف ، فن المقالة الأدبية والموضوعية والصحفية ص(٢٣) .

أما العصر الحديث فقد كانت بداية المقالة فيه بآثار الكاتب الفرنسي " ميشيل دي مونتين"حيث تؤكد دائرة المعارف البريطانية ذلك بقولها : " إن من النادر أن نتمكن من معرفة تاريخ مولد فن من الفنون الأدبية ، ولكن لاشك أن فن المقالة الحديثة قد ولد سنة ١٥٧٢ على يد ميشيل دي مونتين "(١) . ومن ناحية أخرى. ويمكن القول أن فرنسيس بيكون هو رائد المقالة الإنجليزية الذي تأثر أصلاً بإسلوب مونتين ، وقد أصدر كتابه " Essay 1597 " والذي أحتوى على عشر مقالات على شكل نصائح سياسية وأخلاقية(٢)

وقد لعبت الصحافة دوراً مهماً في تطوُّر فن المقالة بعد أن كان فناً هامشياً وثانوياً " وأدت صحافة القرن الثامن عشر دوراً في قيام نهضة فن المقالة وتطوُّرها ، وقد احتلت المقالة مساحة متميزة في الصحف الصادرة في ذلك الوقت ، ومن أهم هذه الصحف الصحيفة الاشبينية وصحيفة تاتلر(١٧٠٩-١٧١١م) لريتشارد ستيل وجوزيف أديسون وصحيفة المراقب لأديسون وستيل أيضاً و"ذي ريفيو" لأدينال ديفو عام ١٧٠٤(٣) . وعلى إثر ذلك أخذ فن المقالة مكانه بين باقي الفنون الأدبية الأخرى ، وبدأ يتلمس ملامح شخصيته المستقلة ، وتمكن من الوقوف علىقدميه .

وقد ارتبط ظهور المقالة بوصفها فنا مستقلا في العالم العربي كذلك بالصحافة ارتباطا بظهور الطباعة التي وصلت إلينا في القرن السابع عشر ، فكان لبنان أول بلد عربي تدخله المطبعة عام ١٦١٠ بحروف سريانية ثم دخلت حلب عام ١٧٠٦(٤)

وعرفت مصر الطباعة أثناء الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ ، حيث أحضر الفرنسيون مطبعتهم معهم لطباعة صحفهم ومنشوراتهم ، فكان ذلك أول ظهور للصحافة في بلاد العرب ، رغم كون هذه الصحف فرنسية اللغة والثقافة ، إذ " أعاد الفرنسيون مطبعتهم معهم حين غادروا مصر عام ١٨٠١"(٥)

ولكن مصر لم تبق دون الطباعة طويلا ، إذ أنشأ محمد علي الكبير والي مصر مطبعة بولاق الشهيرة عام ١٨١٩ والتي عرفت أيضاً باسم " المطبعة الأهلية " وأنشا كذلك مطبعة الباشا التي تولت طباعة الكتب المدرسية والمنشورات الرسمية(٦)

---

(١)- عبد العزيز شرف ، التفسير الإعلامي لأدب المقالة ص (٢٣٧) .

(٢)- محمد علي الأصفر ، الوظيفة الإعلامية لأدب المقالة إدارة المطبوعات – طرابلس ١٩٩٨ ص (٦٦) .

(٣)- اسماعيل إبراهيم ، فن المقال الصحفي ، القاهرة ، دار الفجر ،٢٠٠١ .ص ٢٣.

(٤)- عصام الموسى : تطور الصحافة الأردنية ،، الجمعية العلمية الملكية ، عمان ١٩٩٨ ص ٢٢-٢٣ .

(٥)- نفسه ص ٢٤

(٦)- نفسه ص٢٣- ٢٤ .

وقد دخلت الطباعة العراق عام ١٨٣٠(١) ، بينما دخلت دمشق حينما استولى عليها إبراهيم باشا ابن محمد علي والي مصر لطباعة المنشورات العسكرية ، وفي عام ١٨٦٤ أدخلت الحكومة العثمانية المطبعة إلى دمشق لطباعة جريدة سورية الرسمية وأسس المؤرخ التركي جودت باشا مطبعة في حلب عام ١٨٦٧ لطباعة جريدة فرات الأسبوعية (٢) . ودخلت اليمن عام ١٨٧٧ ، حيث بدأت طباعة جريدة صنعاء الأسبوعية بالعربية والتركية ، وفي الحجاز أدخلت الطباعة عام ١٨٨٢ ، أما الأردن فلم تدخلها الطباعة إلا في القرن العشرين(٣)

إذن فقد تأخر دخول الطباعة إلى بلاد العرب عن الغرب لعدة عوامل أهمها أن الدولة العثمانية لم تشجع إدخال المطابع خوفا من تأثيرها على الناس حيث رأت الحكومة العثمانية في الطباعة منافسا خطرا لسيطرتها على العلم والمعرفة(٤)

وقد ظهرت الصحافة في الوطن العربي في مصر وذلك خلال الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨-١٨٠١ بقيادة نابليون بونابرت - كما أسلفنا القول - حيث أصدرت البعثة العلمية المرافقة للحملة جريدتين باللغة الفرنسية وثالثة باللغة العربية، تلك الصحف التي توقفت عن الصدور بخروج الفرنسيين من مصر(٥) ورغم ذلك فإن هذا الحدث يعد إيذانا بدخول الصحافة إلى البلاد العربية.

ومن الجدير بالذكر أن الصحافة في البلاد العربية التي كانت خاضعة للحكم العثماني كانت على شكلين : صحافة رسمية بإشراف الولاة العثمانيين ، وأخرى خاصة يشرف عليها بعض الأشخاص كالصحف الدينية والطائفية والعلمية ، حيث كانت الصحف الرسمية تصدر باللغة التركية واللغة العربية ، أمّا الصحف الخاصة فكانت تعتمد أساسا على المقالات ذات الصبغة الأدبية مضافا إليها الخبرية(٦)

هذا وأصدر محمد علي الكبير عام ١٨٢٧ بعد خروج الفرنسيين من مصر بربع قرن " جورنال الخديوي " الذي تحول فيما بعد ليصبح صحيفة " الوقائع " المصرية(٧) ، والتي كان من أشهر كتابها رفاعة الطهطاوي وعبدالله أبو السعود ومحمد أنسي(٨) ، وقد ظلت الوقائع المصرية الصحيفة الوحيدة والمسيطرة في ميدان الصحافة والرأي مدة من الزمن ، وقد كان

---

(١)- خليل صابات : تاريخ الطباعة في الشرق العربي ،، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٦ ص ٣٧ .

(٢)- نفسه ص ٣٦ .

(٣)- عصام الموسى : تطور الصحافة الأردنية ص ٢٥ .

(٤)- أديب مروه : الصحافة العربية نشأتها وتطورها ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٦١ ص ١٤٦ ، ١٧٣ .

(٥)- عصام الموسى : تطور الصحافة الأردنية ص ٢٣٣ .

(٦)- نفسه ص ٢٣٤ .

(٧)- نفسه ص ٢٣٥ .

(٨)- محمد يوسف نجم : فن المقالة ص ٦٥ .

الأسلوب الذي تكتب به المقالات في جريدة الوقائع أسلوب الصنعة والتكلف المرهق(١)

فكانت المقالة بذلك " ذات طابع بدائي فجّ ، وكانت أقرب إلى أسلوب المقامات" (٢) ، وقد كان الطهطاوي أول من حاول استحداث فن لم تألفه هذه الصحافة من قبل ، وهو فن المقال الصحفي ، على أن هذه المحاولة كانت مشوبة بصفة الأولية ، أي أنها بدائية اعتمدت على " أسلوب الصنعة البديعية والزخارف اللفظية المتكلفة ، من سجع وجناس وطباق"(٣)

و يتطلب الوصول إلى معلومات دقيقة عن البدايات الأولى للمقالات الصحفية في الأردن جهدا كبيرا ، لأنه موضوع شائك " يحتاج إلى دارس متفرغ ، قادر على الوصول إلى البواكير الصحفية المحفوظة في مراكز البحث والتوثيق " (٤) كما تقول هند أبو الشعر ، هذه الباحثة المجدة التي التفتت إلى جانب من هذا الموضوع ، فرصدت دراسة مهمة عن واحدة من أولى المجلات في الأردن وهي مجلة الرائد الأردنية التي كانت تصدر في أواخر الأربعينات من القرن العشرين ، حيث كشفت الباحثة النقاب عن أسماء عدد من الأدباء والكتاب والمفكرين الأردنيين والعرب الذين كانوا يكتبون فيها مثل : الشاعر حسني فريز ، ورفعت الصليبي ، وتحسين البكري ، والمحامي صبحي القطب ، وفدوى طوقان ، وسليم الرشدان ، وعيسى الناعوري ، والشاعر عرار ، وغيرهم كثير (٥)

ثانيا : مفهوم المقالة وأقسامها

أ- المفهوم

المقالة في اللغة مأخوذة من القول بمعنى الكلام أو ما يلتفظ به اللسان ، ففي لسان العرب نجدها تقع تحت باب " قول" إذ تقول العرب : قال ، يقول ، قولاً ، وقوْله ، ومقالاً ومقالة ، وهي مصدر ميمي للفعل قال مثلها مثل قول أو قيل ، وتستخدم بصيغة المذكر مقال وصيغة المؤنث مقالة(٦) وفي المعجم الوسيط وردت تحت باب : قال ، قولاً ، ومقالاً ، ومقالة : تكلّم فهو قائل ، والمقالة : القول(٧) . وفي القاموس المحيط " القول الكلام " أوكل لفظ مدل به اللسان تاماً أو ناقصاً والجمع أقوال وجمع الجمع : أقاويل ، والقول في الخير ، والقيل والقالة في الشر"(٨)

---

(١)- عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية في مصر ، القاهرة ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٩٥ ص ٢٣٥ .
(٢)- عمر الدسوقي : نشأة النثر الحديث وتطوره ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د ت . ص ٥٤
(٣)- عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية في مصر ، ص ١١٧
(٤)- هند أبو الشعر : بواكير المقالة في الأردن ، مجلة الرائد نموذجا ، ضمن " فن المقالة في الأردن " تحرير شكري الماضي وهندأبو الشعر، منشورات جامعة آل البيت ٢٠٠٠م ص ٣٢
(٥)- نفسه ص ٣٦ ، ٣٧
(٦)- ابن منظور : لسان العرب مادة "قول" بيروت ، دار صادر ، ١٩٩٢ ص ٥٧٢ .
(٧)- إبراهيم أنيس وآخرون " المعجم الوسيط " الجزء الثاني ، د ت ص ٧٦٧ .
(٨)- مجد السيد ، محمد الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، المجلد ٤ ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، د ت . ص ٤٢ .

وفي مختار الصحاح : تقول : رجل مقول ومقوال وقولة وقوال وتقوالة ، أي لسنّ كثير القول(١) أما في الاصطلاح فيرى الدكتور جونسون بأن المقالة " عبارة عن نزوة عقلية لا ينبغي أن يكون لها ضابط من نظام فهي قطعة لا تجري على نسق معلوم ولم يتم هضمها في نفس كاتبها"(٢) وفي دائرة المعارف البريطانية ورد تعريفها أنها " عبارة عن قطعة مؤلفة ، متوسطة الطول ، وتكون عادة منشورة في أسلوب يمتاز بالسهولة والإستطراد وتعالج موضوعاً من الموضوعات ولكنها تعالجه بوجه الخصوص من ناحية تأثر الكاتب به"(٣) ، وفي قاموس أكسفورد " هي تأليف متوسط الطول حول موضوع خاص ، وفرع من الموضوع أو قطعة غير منتظمة محدودة المدى "(٤) ، وفي المعجم الأدبي تعرف بأنها " الرأي الذي يبديه الكاتب أو المفكر ويكون عادة معبراً عن موقف خاص به"(٥)

ويعرفها عمر الدسوقي " بأنها يجب أن تكون على غير نسق من المنطق ، وأن تكون أقرب إلى قطعة مشعة من الألفاظ الحوشية منها إلى الحديثة المنسقة المنظمة"(٦) وهو أقرب إلى تعريف جونسون السابق الذكر، وأمام هذا القدر من التعريفات للمقالة ، فإنه " يصعب إيجاد تعريف شامل وجامع للمقالة " كما يقول عمرالدسوقي(٧) وربما يكون مرد ذلك إلى أن المقالة فن أدبي ، وفي التعريف تحديد تتأبى عليه الفنون الأدبية ، كما أن هذا الفن النثري متعدد الأشكال والألوان وكل هذه الألوان تقع تحت مسمى المقالة .

إذن فمن خلال هذه التعريفات جميعها ، فإنه يمكن للدارس أن يدرك أن القاسم المشترك بين هذه التعريفات هو وجود العنصر الشخصي في المقالة ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد أجمعت هذه التعاريف على أن المقالة تدور حول موضوع معين وأنها قطعة من الإنشاء ذات الطول المعتدل وفي أنها تصاغ نثرا .

ب ـ الأقسام والأشكال

لابد من الإشارة قبل الخوض في تقسيمات المقالة بين ذاتية وموضوعية - إلى أن التقسيم الثنائي للمقالة الذي يجعل منها مقالة موضوعية وأخرى ذاتية " ما زال التقسيم الشائع في كتب النثر العربي بخاصة"(٨) حيث بينّ هذا التقسيم الفروق بين المقالة الذاتية والأدبية ، ولكن السؤال

---

(١)- محمد بن أبي بكر الرازي ، مختار الصحاح ، مادة "ق و ل "، ، دار القرآن الكريم ، بيروت١٩٧٢ ص ٥٥٦ .
(٢)- زكي نجيب محمود ، جنة العبيط ،، أدب المقالة ، القاهرة : مطبعة التأليف والترجمة ، ١٩٤٧ ص ١٠
(٣)- Chevaliere, Tracy : Encyclopedia of the Eassay, London: Fitzory Dearborn Pob Page. 589.
(٤)- Scholes, Robert : Eassay, Fiction, Poetry, Drama, Film, N . Y. Oxford University, Press, Page 291
(٥)- جبور عبد النور : المعجم الأدبي ، ط٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤ ص ٢٦٠ .
(٦)- عمر الدسوقي : في الأدب الحديث ، الجزء الأول ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د ت . ص ٣٤٠ .
(٧)- محمد عوض محمد : فن المقالة ، القاهرة ١٩٥٩ . ص ٦ .
(٨)- نبيل حداد : المقالة الأدبية: الدكتور خالد الكركي نموذجا ، ضمن " فن المقالة في الأردن"ص ٥٤ .

هنا ، ما أسس هذا التقسيم ، وما هي والاعتبارات التي يخضع لها ؟

لقد أجمع الباحثون أن المقالة الأدبية تحديداً هي الشكل الأصلي للمقالة الذاتية ، وأنها هي التي احتفظت بالمعنى الأدبي والتاريخي للاصطلاح ، فالمقالة في أصلها تكتب لتوفير قيمة أدبية خاصة . وعلى هذا الأساس فإننا عند الحديث عن المقالة الذاتية ، بلا شك نتحدث عن المقالة الأدبية ، ذلك أنها " هي الشكل الحقيقي للمقالة الذاتية أصلاً "(١) وفيما يلي تفصيل لهذين التقسيمين الشائعين للمقالة والأسس التي يقوم عليها هذا التقسيم :

أولا- المقالة الذاتية : نستطيع التمييز بين المقالة الذاتية والمقالة الموضوعية ، من خلال درجة وضوح شخصية كاتب المقالة ، فهي بهذا تكون مقالة ذاتية ، كما أن قيمة المقالة الذاتية ، لا تعتمد على صحة ما يرد فيها من الناحية العقلية والعلمية بقدر ما تعتمد على طريقة وأسلوب عرضها في حليةٍ أدبية ، بالإضافة إلى إنها تعتمد أيضاً على مدى " تجليتها الإنسانية التي تجذب القارئ وتشدّه بما فيها من جاذبية وسحر وتألق ، كما أن المقالة الذاتية حرّة في أسلوبها وطريقة عرضها"(٢) ، وهي تأخذ عدة أشكال حسب الترتيب الآتي:

أ-**المقالة الشخصية :** وهي المقالة التي يتحدث فيها الكاتب عن تجاربه الشخصية في الحياة ، حيث تعكس ثقافته وانطباعاته الخاصة ، كما إنها مناقشة وحوار من الكاتب لقرائه وعملية بوح أسرار واعترافات يرى الكاتب فيها نوعاً من المفاجأة . ومن أشهر كتابها في أدبنا العربي محمد السباعي ، والعقاد والمازني وأحمد أمين ومي زيادة وميخائيل والشيخ عبد العزيز البشري(٣)

ب- المقالة الاجتماعية : وهي المقالة التي " تنتقد العادات السلبية والقيم البالية وما يجلب الضرر إلى المجتمع وأهم محاور هذا النقد الصراع بين القديم والحديث وصراع الأجيال"(٤) ، ومن كتابها أحمد أمين ، والعقاد وعبد العزيز البشري ، وخير ما يمثلها ، مقالة " سلطة الآباء " لأحمد أمين(٥)

ج- المقالة الوصفية : ويأتي في مقدمة هذا الوصف ، وصف الطبيعة ، حيث يصور الكاتب انطباعاته وما يحس به تجاه ما يراه في هذه البيئة ، حيث يكون هذا الوصف إنسانياً وجدانياً شأن الرومانسيين الذين يتفاعلون مع الطبيعة ويصبغونها بصبغة وجدانهم ، ومن الكتّاب المعروفين في وصف الطبيعة ، الأديب محمد السباعي ومصطفى لطفي المنفلوطي والرافعي (٦)

---

(١)- نفسه ص ٥٤ .
(٢)- محمد يوسف نجم : فن المقالة ص ٩٦-٩٧ .
(٣)- نفسه ص ١٠٢ .
(٤)- محمود الشريف ، فن المقالة الموضوعية والأدبية والصحفية الكويت عام ١٩٨٥ص ١١٩ .
(٥)- محمد يوسف نجم ، فن المقالة ص ١٠٨ .
(٦)- ربيعي عبد الخالق ، فن المقالة في الأدب العربي الحديث ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٨ ص ١١٠ .

حيث يتجلى الفرق بين المقالة الوصفية الأدبية ومقالات العلماء وأبحاثهم في مجال عالم الحيوان والنبات والبيئة في تصوير الكاتب للطبيعة " وكما يحسُّها هو نفسه وأسلوبه الساذج البسيط في التصوير"(١)

د- مقالة تصوير الرحلات : وفيها يصور الكاتب ما شاهده ورآه في رحلاته وسفره ويصف عادات الشعوب وتقاليدهم ودياناتهم ، كما يصف ما جرى معه من مغامرات ومخاطر وما شابه , ومن أمثلتها الواضحة في أدبنا العربي مقالة شكيب أرسلان في وصف رحلته إلى الديار المقدسة، مقالة " رحلات السندباد البحري " للأديبة مي زيادة ومقالة أحمد أمين " رحلة " التي يحدثنا فيها عن ديرسانت كاترين ويصف جمالها وسحر أماكنها(٢)

هـ- مقالة السيرة : وهي المقالة التي يصور فيها الكاتب موقفاً إنسانياً خاصاً من شخصية إنسانية ، فيعكس تأثره بهذه الشخصية وانطباعاته عنها ، وتكتفي المقالة " بتصوير جانب أو عدة جوانب من هذه الشخصية(٣) ، وتختلف مقالة السيرة عن التراجم والسير بأن كاتب التراجم والسير " لا يحاول أن يكشف عن نفسه في كثير أو قليل ، في حين أن كاتب مقالة السيرة يصور فيها انطباعاته عن هذه الشخصية"(٤) وبالتالي تظهر شخصيته جلية وواضحة كما أن السير والتراجم بالنسبة إلى مقالة السيرة كالقصة أو الرواية بالنسبة إلى الأقصوصة ، ومن أمثلتها في أدبنا العربي : "شخصية عرفتها " لأحمد أمين و"حافظ" للبشري و " قاسم أمين الفنان " للعقاد وغيرها .

و- المقالة التأملية : ومن أهم الموضوعات التي تعالجها المقالة التأملية " الموضوعات التجريدية التي تتصل بالتأملات الفكرية والنظرات الفلسفية وقضايا الكون والحياة والموت وطبيعة النفس الإنسانية واهتماماتها ، وذلك من خلال وجهة نظر الكاتب الشخصية"(٥) ، ومن أهم كتّاب المقالة التأملية في أدبنا العربي ميخائيل نعيمة وأحمد أمين ، ومحمد المويلحي وجبران خليل جبران ، وزكي نجيب محمود ، وتوفيق الحكيم .

ز- المقالة القصصية : وهي المقالة التي " يسرد فيها الكاتب بعض القصص والحكايات الحقيقية والمخترعة "(٦) وهي تشبه الأقصوصة من حيث أنها تتخذ من البناء الدرامي القصصي شكلاً لها بينما تختلف عنها في العديد من الجوانب ، فهي أقصر نسبياً وهذا أهم ما يميزها

---

(١)- محمد يوسف نجم ، فن المقالة ص ١١٤ .
(٢)- ربيعي عبد الخالق ، فن المقالة في الأدب العربي الحديث ص ١١٨ .
(٣)- محمود الشريف ، فن المقالة الأدبية والموضوعية والصحفية ص ١٣٠ .
(٤)- محمد يوسف نجم ، ص ١١٧ .
(٥)- ربيعي عبد الخالق ، فن المقالة الذاتية ، ص ١٥٢ .
(٦)- عبد العزيز شرف ، التفسير الإعلامي لأدب المقالة ، ص ٢٧٦ .

عن الأقصوصة ، أما المقالة التي تعطي القارئ معلومات واقعية ، فإنها نادراً ما تستعمل مواقف خيالية أو أشخاص خياليين كهدف أساسي لإيصال الفكرة المجددة ، وعلى الرغم من هذه الاختلافات فإن هنالك بعض التشابه بين المقالة القصصية وأنواع أخرى من الكتابة مثل " الدراما التي تروق لعواطف القارئ كالخيال "(١) مثلاً ، ومن نماذجها في أدبنا مقالات المازني القصصية والتي أهمها مقالة " حلاق القرية(٢)

ثانيا- المقالة الموضوعية : وهي التي يستعين فيها الكاتب بالأسلوب العلمي الذي يهيئ له تجلية الموضوع الذي يبحث فيه ، وهو" أسلوب يعتمد على الدقة والوضوح حيث لا يسمح الكاتب لشخصيته بأن تطغى على الموضوع(٣) ، والمقالة الموضوعية مقالة منهجية وهي أطول من المقالة الذاتية " غير المنهجية " حيث التعبير عن الأفكار في المقالات الموضوعية المنهجية أكثر تنظيماً وإحكاماً " ويتم التركيز في هذا النوع من المقالات على بنية منطقية وجدية في الهدف(٤)

وتغطي المقالة الموضوعية جميع مجالات المعرفة من الطب والتاريخ والفلسفة والفن والسياسة وأمثلتها كثيرة كمقالات محمد حسين هيكل في السياسة ومقالات زكي نجيب محمود الفلسفية وغيرها . أما أهم ألوان المقالة الموضوعية فهي :-

أ- المقالة النقدية :- وهي المقالة " التي تتناول الموضوعات الأدبية بالنقد والتحليل ، كنقد رواية أو قصة أو مسرحية أدبية"(٥) ، وتعتمد على قدرة الكاتب على تذوق الأثر المنقود ، وتعليل الأحكام وتفسيرها وتقويمها .

وهذا يعني أن يكون كاتب هذا النوع من المقالات ناقداً ، ومهمة الناقد هي الفحص والتمييز بين الجيد والرديء وبين الغث والسمين ، وعليه فإن كتابة مقالة نقدية لعمل أدبي : قصيدة أو قصة أو رواية تتطلب من الناقد أن يكون مطلعاً وذا باع طويل في المجال الذي يتناوله .

ب- المقالة التاريخية :- وتعتمد هذه المقالة على " مجموعة الحقائق والأخبار والمعلومات التاريخية التي يجمعها الكاتب ويفحصها ويفسرها ويقارنها بالروايات الأخرى ويوازن بينها"(٦) وللكاتب هنا الحرية في أن يتجه بمقالته " اتجاها موضوعياً صرفاً ، بحيث تختفي شخصيته خلف

---

(١)- Dobie, Ann/Nirt , Andrew : Comprehension and composition, an introduction to the Essay Page 2

(٢)- محمود الشريف ، فن المقالة الأدبية والموضوعية والصحيفة ص ١٣٣

(٣)- محمد يوسف نجم ، فن المقالة ص ٩٦ .

(٤)- صالح أبو أصبع ، محمد عبيد الله ، ،فن المقالة، دار مجدلاوي ، عمان ، ٢٠٠٢ . ص ٢٣

(٥)- محمود الشريف ، فن المقالة الموضوعية والصحفية والأدبية ص ١٣٠.

(٦)- نفسه ص ١٤٥.

الموضوع". وأهم كتابها : زكي محمد حسن ، أحمد فخري ، وسليم حسن ، محمد جمال الدين ، عبد المنعم أبو بكر(١)

ج- المقالة الفلسفية :- وهي المقالة التي " تتناول موضوعاً من مواضيع الفلسفة والفكر"(٢) وقد اشتهر من كتاب المقالة الفلسفية الدكتور زكي نجيب محمود ، وأحمد لطفي السيد ، ومنصور فهمي ، ومحمود أمين العالم ، وفهمي جدعان .

د- المقالة العلمية :- وفيها يتناول الكاتب موضوعاً من " موضوعات العلم المختلفة من طب وحاسوب واتصالات وهندسة وكيمياء وغيرها"(٣) . وأهم كتاب المقالات العلمية الدكتور يعقوب صروف ، والأستاذ فؤاد صروف ، والدكتور أحمد زكي ، والدكتور عبد المحسن صالح .

ولابد من الإشارة هنا إلى أن الكاتب يستطيع أن يتجه في كتابته هنا اتجاها " موضوعيا صرفاً ويمكن أن يمزج بين الموضوع وعناصر الذات بهدف محاولة تبسيط الموضوع للقرّاء"(٤)

هـ- المقالة الموضوعية الاجتماعية :- وهي تتناول موضوعاً من موضوعات العلوم الاجتماعية من سياسة واقتصاد واجتماع ، وهي " تعتمد على الأرقام والإحصاءات والجداول وكتابها كثر"(٥) وهذا النوع من المقالات يعتمد على الأسلوب الدقيق الواضح والابتعاد عن الاستطراد والحشو والالتفاف " وقوام هذا الأسلوب المصطلحات العلمية المعروفة لدى ذوي الاختصاص"(٦)

إذن فمن خلال تعرضنا إلى فن المقالة والتقسيم المعتمد بين المقالات من حيث الموضوع والأمور التي تعالجها ، يتبين لنا أن تقسيمها إلى موضوعية وذاتية يسهل على الباحث في هذا المجال أن يميز بين المقالات الأدبية والمقالات ذات الطابع العلمي .

حيث إننا نعتمد في تمييزنا بين المقالة الذاتية والمقالة الموضوعية على أمرين رئيسيين : فكاتب المقالة الذاتية يبرز ذاته فيها بشكل جلي وواضح ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن أسلوب الكاتب في المقالة الذاتية ، والذي يشع بالعاطفة ويثير الانفعال ، يستند إلى ركائز قوية من الصور الخيالية والصنعة البيانية والعبارات الموسيقية والألفاظ القوية الجزلة ، في حين أن كاتب المقالة الموضوعية يستعين بالأسلوب العلمي الذي يمتاز بالمباشرة والوضوح والدقة ، كما أن الكاتب هنا لا يظهر شخصيته في الموضوع الذي يناقشه ، بل يتواري الكاتب خلف هذا

---

(١)- محمود الشريف ، فن المقالة ، الموضوعية والصحفية والأدبية ، ص ١٤٥.
(٢)- صالح أبو أصبع ، محمد عبيدالله : فن المقالة ، ص ٤١ .
(٣)- نفسه ص ٣٩ .
(٤)- محمد يوسف نجم : فن المقالة ، ص ١٣٣ .
(٥)- محمود الشريف : فن المقالة ، ص ١٤٧ .
(٦)- نفسه ص ١٣٤ .

الموضوع . ويرى محمد يوسف نجم أن قيمة المقالة الذاتية تعتمد إلى حد ما على " قيمة الأفكار التي يضمنها الكاتب لمقالته. ويتابع قائلا إن : " الأفكار ليست كل شيء في المقالة الذاتية ، فالعمل الأدبي لا يعتمد على صحة هذه الأفكار من الناحية لعلمية والعقلية بقدر ما يعتمد على طريقة تجليتها وعرضها في حلة أدبية رائعة"(١) فالقيمة الحقيقية للمقالة الذاتية تقوم على مدى " إبراز شخصية الكاتب نفسه التي تتوارى خلف الموضوع"(٢) ، في حين أن قيمة المقالة الموضوعية : تعتمد على منهج البحث العلمي الذي " يتميز بالدقة والوضوح والمباشرة ، والذي يقتضي جمع المعلومات والحقائق وترتيبها وتنسيقها وعرضها بأسلوب واضح جلي"(٣)

وفي نهاية هذا الكلام عن المقالتين الذاتية والموضوعية ، لا بد من الإشارة إلى أنه قد وقع الخلط بين مصطلحي : المقالة الذاتية والمقالة الصحفية ، وذلك إستنادا إلى أن مجرد نشر مقال في الصحيفة يعد مقالاً صحفياً ، إذ إن كثيراً من المقالات الأدبية والعلمية نشرت وما زالت تنشر في الصحف والمجلات المختلفة . مع ملاحظة أن " بدايات المقال الصحفي في صحافتنا العربية ترتبط ارتباطا وثيقاً بالمقال الذاتي الأدبي"(٤) الأمر الذي قد يكون له الدور في اختلاط مفهومي المقالة الذاتية بالمقالة الصحفية ، ذلك أن الصحافة مثلت الوعاء الذي كانت المقالات الذاتية والموضوعية تنشر على صفحاتها .

إذ بعد ظهور " محمد عبده " ومن بعده " عبدالله النديم " في عالم الصحافة واقتراب كتاباتهما من الأسلوب الذي تكتب به باقي مواد الصحيفة ، أي الأسلوب الصحفي من أخبار وتعليقات ، ظهر المقال الصحفي " الذي ابتعد عن التكلف والزخارف اللفظية"(٥) ، فالمقال الصحفي انطلاقا من ذلك ، وسط بين المقال الأدبي والمقال العلمي ، ففيه " شيء من ذاتية الأديب ، وشيء من موضوعية العالم "(٦) ، حيث تقوم لغة المقال الصحفي على السهولة والوضوح ، هذه اللغة التي " تستفيد من جمال الأسلوب الأدبي وتستفيد من دقة الأسلوب العلمي"(٧)

إن أهم ما يميز المقال الصحفي هو أسلوبه السهل والبسيط والواضح . فلغة المقال الصحفي هي لغة الحياة العامة التي يفهمها المواطن العادي . فهي " لغة يفهمها جميع القراء على مختلف

---

(١)- نفسه ص ١٣٠ .
(٢)- نفسه ص ١٣٠ .
(٣)- نفسه ص ١٣٠
(٤)- محمد علي الأصفر : الوظيفة الإعلامية ، لفن المقالة ، إدارة المطبوعات – طرابلس ١٩٩٨ ص ١١٤ .
(٥)- نفسه ص ١١٤.
(٦)- فاروق أبو زيد ، فن الكتابة الصحفية عالم الكتب القاهرة ١٩٨٥ ، ص ١٨٠ .
(٧)- إسماعيل إبراهيم ،فن المقال الصحفي القاهرة ، دار الفجر ،٢٠٠١ . ص ٦٩ .

مستوياتهم العلمية والثقافية والاجتماعية"(١) وهذا لا ينفي عن المقال أن تتصف لغته بالفصاحة ولكن ليس فصاحة العصر الجاهلي ، وإنما فصاحة عصر الصحافة أي العصر الحديث ، فصاحة التعامل اليومي بين الناس في " الحياة العامة القائمة على البساطة والوضوح والسهولة"(٢) وبالإلتفات إلى وظيفة المقال الصحفي نجدها مثل سائر الفنون الصحفية الأخرى من " إعلام وتثقيف وشرح وتحليل ونشر للأفكار والمعلومات والمبادئ وتكوين الرأي العام في المجتمع"(٣)

إن كلا من المقال الصحفي والمقال الأدبي ، قد يتشابه في تناول الموضوع نفسه ، لكن الأسلوب في المقال الأدبي يختلف كثيراً عن أسلوب المقال الصحفي ففي الأوّل يكون الأسلوب أكثر إحكاماً واعتناء باللغة ، بعكس الآخر الذي يعتني بالفكرة على حساب اللغة ، الأمر الذي يكون له دور في اكتساب المقالة التأثير والديمومة في أذهان القراء وعامة الناس ، أو الزوال بسرعة ، ومن الأمثلة على المقالات التي كانت تكتسب صفة الديمومة مقالات أحمد أمين(٤) ، أما المقالات التي تزول بسرعة فمنها معظم المقالات التي تطالعنا بها الصحف اليومية والتي تتصف بالآنية إذ تكاد تنتهي صلاحيتها بعد صدورها بيوم أو يومين فقط .

---

(١)- فاروق أبو زيد ، فن الكتابة الصحفية عالم الكتب ، القاهرة ١٩٨٥ ،ص ١٨١ .
(٢)- نفسه ص ١١١.
(٣)- إسماعيل إبراهيم ، فن المقال الصحفي ، ص ٦٥
(٤)- نفسه ص٦٥.

ثالثا : الأصول الاجتماعية والتكوين الثقافي .

ينطلق هذا البحث من وجود علاقة بين التكوين الثقافي والاجتماعي للأديب وإنتاجه الأدبي ، لأن تلك المكونات الثقافية والإجتماعية تترسخ في العقل الباطن للأديب لترشح من بعد إلى أعماله الأدبية ، فالأديب " بحاجة ماسة إلى المزج بين الواقع والخيال معا حسبما يقتضيه الموضوع ، وكل أثر فني أدبي يجمع بين الاثنين جميعا لأنه يكشف الحقائق التي لها قوة تأثير على نفوسنا " (١) . فلا بد إذن من دراسة حياة الأديب لتلمس جوانب تكوينه الاجتماعي والثقافي ومدى انعكاس هذا التكوين من بعد على أعماله الأدبية ، وسوف يسعى البحث في هذا المحور من هذا الفصل لرصد المحطات ذات التأثير في حياة أديبنا على الصعيدين الاجتماعي والثقافي وذلك اعتمادا على سيرته الذاتية التي ضمنها كتابه " سنوات الصبر والرضا " مع أن هذا الكتاب قد غلبت عليه روح الخواطر ولغته الشعرية الإنشادية أكثر من كونه سيرة ذاتية بالمعنى الواضح والمباشر .

فقد ولد أديبنا العربي الأردني خالد عبدالعزيز سليمان الكركي سنة ١٩٤٦م في بلدة صغيرة هادئة تقع على مرمى حجر من ساحة معركة مؤتة وهي بلدة العدنانية التي تكمل " مثلث ساحة المعركة في دائرة لاتتجاوز خمسة كيلو مترات (مؤتة ـ مشارف ـ محنا ..."(٢) والتي عايشت واقع التاريخ الإسلامي وحلمه : ذلك الواقع الذي كان يوم سطر أبطال غزوة مؤتة ملحمة الصمود وإثبات النفس ضد عشرات الألوف من علوج الكفر ، وذلك الحلم القادم بنهوض للأمة عزيز ، وهم يتهامسون بما رأوا ذات صباح من خيول وسيوف وخيام تعبر في المسافة الفاصلة بين اليقظة والحلم وكأنها دم جعفر النازف من ذراعية يستنهض دمنا من جديد " (٣) .

ودرس الصفوف الأولى في المدرسة التي كانت تشكل نصف مسجد القرية الصغير الذي اجتزأه أهل القرية ليجعلوه مدرسة ، فتلقى الدروس الأولى فيها على يد الاستاذ القادم من توأم الأردن فلسطين ، حيث يحدثنا عن هذه الأجواء قائلا :" ها أنت تستيقظ والزمن أوائل الخمسينات وقد الحن عليك أمك أن تنهض ، فهذه هي شمس صباح يومك الأول في المدرسة تشرق ... وأهل قريتك يحتفلون بذلك على طريقتهم ، فقد أعدوا نصف ساحة مسجدهم الصغير وزودوه بالمقاعد واستقبلوا الأستاذ مصباح شتى المعلم القادم من الخليل وأسكنه أبوك في واحدة من غرفتين لكما ، هذه الغرفة التي ستكون بعد ذلك التاريخ باثنتي عشرة سنة أول مدرسة ابتدائية للبنات

---

(١) ـ مجد البرازي : في النقد الأدبي الحديث مكتبة الرسالة الحديثة عمان ط١ ١٩٨٦ ص٧١

(٢) ـ خالد الكركي : ورد ورماح : قراءات في البطولة المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ط١ ٢٠٠٥ ص ٩

(٣) ـ خالد الكركي : سنوات الصبر والرضا المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط١ ١٩٩٩ص ١٠

لمدة عام ..."(١) هذه المدرسة الصغيرة التي ستتحول فيما بعد وتصبح ثانوية تحمل اسم القائد الثاني لمعركة مؤتة يقول الكاتب :" وبعد أربعين سنة سيتغير مكانها وتصير ثانوية كاملة وتحمل اسم زيد بن حارثة شهيد مؤتة ..."(٢)

ويحدثنا عن اعتزازه بوالديه وأسرته الريفية ، هذا الاعتزاز الذي سيكون له الأثر الكبير فيما سيلي من خطوات عمره الحافلة بالاجتهاد والعطاء وخدمة الوطن والاعتزاز باللسان العربي المبين الذي يتحدث به ، والأمة التي يحبها وينتمي إليها حيث يقول :" لها الله تلك السيدة المؤابية كانت تستقبل نهارها بالرضا عن الدنيا التي ما أعطتها من مباهجها شيئا .. كانت راضية بحظها فلها من الدنيا أنتم : الصبية الأربعة والصبايا الأربع ، ولهذا كان الرضا حقيقيا والشكر واجبا .. وكم كان انشغالها عليكم كبيرا حتى بعد أن كبرتم ، وكم عانت، كي تظلوا قادرين على الذهاب إلى المدرسة ، وكم ودعتكم يوم انتشرتم في الوطن ، وأوقدت لكم نار التذكر والشوق يوم رحلتم خارجه وأنتم بترابه متوحدون .."(٣) ويقول في موضع آخر :" وذاك هو متجر أبيك ، فابك إن شئت لكنه علمك أن لاتفعل ، واغضب إن رغبت لكنه حذرك أن تفعل ، واقرأ عليه الفاتحة وقصيدة مالك بن الريب ، ورثاء الشريف الرضي لوالده .."(٤)

ويعتز كذلك بالمدرسين الذين تلقى على أيديهم دروسه الأولى قائلا : " ست سنوات سمان وعجاف ، تلك هي دراستك الابتدائية في القرية ، ومنها الآن في غبش الذاكرة أنك كنت طالبا مجدا وأن الخيرة من أبناء فلسطين هم معلموك فيها , مصباح شتي وعبدالرحمن مصطفى وطلال الريماوي ، وأنك كنت فتى يعين أباه في الزرع والحصاد ..."(٥)

ويستذكر كذلك جلسات السمر التي كان يجلسها والده مع الكبار يستمعون لسيرة الزير سالم التي سيكون له معها وقفة نقدية فيما سيلي من سنوات العمر ، وأخبار أبطال الثورة العربية الكبرى يقول : " ها هم أولاء يجتمعون بعض أهلك وضيوف أبيك وأنت تصغي إلى الراوي يعيد عليك الحكايات ، وكم كانت تشدك قوة الزير سالم ورفضه , والناس يرجونه وقف الحرب ضد جساس وجماعته , وهو يعيد الأمر إلى اليمامة ابنة كليب وهي تهتف به أبدا :" لا تصالح " وبعد أربعين سنة ستكتب تحليلا لقصيدة أمل دنقل " لا تصالح ".... وتراك فتى قلقا وأسئلة مرعبة لا يؤنسها إلا حديث ظل يتردد في فضاء داركم آنذاك عن أبطال سوف تكتشف كبرياءهم عندما

---

(١)- نفسه ص ١٠

(٢)- نفسه ص ١٢

(٣)- نفسه ص ١٢ ، ١٣

(٤)- نفسه ص ١٩

(٥)- نفسه ص ١٥

تتقدم بك الأيام ، وسوف تتردد أسماؤهم فيما تكتب من مقالات أو تلقي من خطب ، وبأسمائهم كما كان أبوك يذكرها : الشريف (الحسين بن علي) وسلطان باشا (الأطرش) وأبو تايه (عودة) ...وسوف تسعد حين يخيرك والدك أن سلطان الأطرش وعوده أبو تايه كانا ضيوف جدك في داركم هذه ذات زمان ... وتكون رئيسا للديوان الملكي الهاشمي يوم يأتي الشيخ الشاعر أسعد الأطرش زائرا ويهديك صورة للقاء جدك وأهل قريتك بسلطان باشا تعود إلى سنة ١٩٣٤.."(١)

هذه نتف وصور أولى من حياته في مراحلها الأولى : الأسرة الريفية المعتزة بالأهل والعروبة : الأب والأم والأخوة والمدرسة والأساتذة القادمون من فلسطين وسير العرب الأولى : سيرة الزير سالم وتغريبة بني هلال وأخبار أبطال الثورة العربية الكبرى ، وقبل ذلك كله الأرض التي ولد في حضنها وتعلم منها عشق التاريخ والعروبة ، هذه النتف يجمعها قاسم واحد مشترك اعترف به الكاتب حين قال : " فاستند أنت إلى ثقتك التي تعلمتها من سهل مؤتة وحلم أهله ..."(٢) انها " الثقة " ومن هنا يمكن القول إن " الثقة " هي الخلاصة التي خرج بها من تلك السنوات ، انها الثقة بالنفس وبالأسرة وبالأرض وبالتاريخ العريق الممتد ، ولكن هذه الثقة يشوبها شيء من الحزن على الراحلين من أفراد أسرته الأم والأب فأخوه سليمان ثم شقيقته ، هذا الحزن الذي لا يفسد الثقة بل يزيدها توقدا في نفسه ، فلطالما كان الألم مبعثا لإبداع الأدباء والشعراء ، يقول مخاطبا روح أمه : " أي حزن كنت ستغرقين الدار به لو كنت حاضرة رحيل أبي وغياب سليمان ! أما كنت ستهزين نخلة الوجد حتى تساقط على قبريهما حسرة تصعد في دروب الأسى والحنين ، وأي سور من الشجن والرضوان كنت عند شواهد قبورنا تقرأين "(٣)

ولا تقف حدود الثقة هذه عند الأسرة والمعلمين وتاريخ الأمة العريق فقط , ولكن تجتزئ الكرك بتاريخها القديم والحديث جزءا من هذه الثقة التي كونت شخصية خالد الكركي ، فهو يعتز بميشع ملك مؤاب الذي سطر انتصاره على العبرانيين على نقش حجر ذيبان ، ويعتز بقادة مؤتة وجعفر وزيد وعبدالله ، ويعتز بوقفة الشيخ ابراهيم الضمور في وجه ظلم وقهر ابراهيم باشا في ثلاثينيات القرن التاسع عشر حين ساومه بولديه الأسيرين على حرية الوطن ، فآثر حرية الوطن، ويعتز بأهل الكرك وشيخها قدر المجالي الذين سطروا ملحمة من ملاحم الكبرياء بوقفتهم مطلع القرن العشرين ضد ظلم الفئة الباغية من حكام تركيا حيث يلخص ذلك بقوله : " من أي الزوايا تسترجع وجهها لحروفك ؟.. من ميشع الذي هزم العبرانيين ذات زمان قبل الميلاد

---

(١)- نفسه ص ١٥ - ١٨

(٢)- نفسه ص ٢٢

(٣)- نفسه ص ٢٧

وسجل انتصاره العظيم على حجر ذيبان ؟.. أم من جعفر وزبد وعبدالله الذين نثروا دمهم البهي في سهولها ... ثم ألقى الأتراك بأهل مدينتنا من فوق أسوارها لأنهم طلبوا الحرية ، أم تبحث عن وجهين عزيزين عليها ، نجلي إبراهيم الضمور شيخها الذي وقف في وجه حملات إبراهيم باشا في الثلاثينيات من القرن التاسع عشر وحين ساوموا بولديه الأسيرين على حرية وطنه فصاحت السيدة الكركية علياء الضمور بأهلها أن الكرك أغلى ... الكرك ... وصوت قدر المجالي .. ورفاقة من قادة ثورتها سنة ١٩١٠..."(١)

ثم يتنقل خالد الكركي بعد ذلك لدراسة المرحلة الإعدادية والثانوية في مدرسة الكرك الثانوية ويمر هناك بعدة تجارب يذكر لنا منها سفره هو وشقيقته وابن عمه عند أخ له كان يعمل معلما في الكرك ، ثم تعرض هذا الأخ للأذى في عمله ورزقه بسبب مواقفه الحزبية ، فيسافر معه إلى غور الأردن وجبال السلط في رحله المنفى هذه (٢) ، ولا يزيد في إيضاح ملابسات هذه الحادثة .

إلا أنه يسجل اعتزازه بعد ذلك بانتسابه لشهور قليلة إلى مدرسة السلط الثانوية أقدم مدراس الأردن حيث يقول في ذلك : " وأنت تصعد التل الذي يزهو بمدرسة السلط القديمة .. والشهور القليلة التي أقمتها فيها ومنحتك فخرا أنك كنت بين طلاب " جامعة الأردن الأولى" وأعطتك أيضا أول مجموعة من الزملاء والأصدقاء من خارج الكرك ..." "(٣)

ويسجل خالد الكركي أنه خلال تلك المدة قد تعرف " إلى المتنبي وغاندي ونهرو , وكتاب محمد صبحي أبو غنيمة " نظرة في أعماق الإنسان " وديوان عرار " عشيات وادي اليابس " وجملة من الروايات العربية والمعربة ..."(٤) هذا الحصيلة التي شكلت نواة ثقافته التي سيغدو فيما بعد علما من أعلامها في العالم العربي والوطن .

ويسجل كذلك اعتزازه معايشته لعدد من الأحداث السياسية الجسام ، تلك الأحداث " المتصلة بالوعي الوطني والسياسي ... : تعريب قيادة الجيش ، والمد القومي الناصري ، وظهور الجمهورية العربية المتحدة , وسؤال فلسطين الذي لا يهدأ ..."(٥) الأأنه قد ظل خارج إطار التنظيمات السياسية والحزبية (٦)

---

(١)- نفسه ص ٥٥

(٢)- نفسه ص ٥٤

(٣)- نفسه ص ٥٥

(٤)- نفسه ص ٥٧

(٥)- نفسه ص ٥٨

(٦)- نفسه ص ٥٩

ثم ينتقل بعد ذلك للمرحلة الثانوية " ثلاث سنوات متتالية ، وللطالب الثانوي آنذاك أهمية وحضور ، وله شبابه الجديد وأحلامه الكبيرة "(١) هذه الأحلام التي ليست ملكه هو فقط وإنما هي أحلامه وأحلام والده هذه الأحلام التي تتحقق عندما تظهر نتائج امتحان الثانوية في ضفتي النهر فيكون واحدا من المتفوقين على مستوى المملكة ، فيفرح الابن والأب والقرية كلها ، وتفتح أمامه طريق عمان إلى الجامعة الأردنية يقول : " فقد ظهرت نتائج الثانوية العامة في مدارس المملكة على ضفتي النهر الخالد ، كان الزمن منتصف الستينات وشهر تموز موسم للنجاح والحصاد ، ولم تكن تتخيل أن حلم أبيك سيتحقق وأنك ستكون بين أوائل طلبة القسم الأدبي في الامتحان على مستوى المملكة ... وإذا بالمساء يشتعل فرحا لا حدود له فقد تحقق للقرية بعض الرضا والفرح .. فأنت في الطريق إلى الجامعة بعد شهور .."(٢) حيث ينتقل خالد الكركي لمرحلة جديدة من عمره يجالس فيها أدباء الأمة وشعراءها وأساتذتها الجامعيين في آن معا " كانت الجامعة الأردنية - حرسها الله - في زهو سنواتها الأولى حالة من الفصاحة والبلاغة والتشدد الجميل ، يوم جئنا إليها من القرى والبوادي .. وكنت ترى المتقب العبدي وزهيرا إلى جانب هشام ياغي وتكاد ترى ناصر الدين الأسد مع شعراء المعلقات , وقيس بن الخطيم وسحيم عبد بني الحسحاس يتجادلون في ساحات كلية الآداب ، وكان محمود السمرة يضيء لنا دروب البلاغة والنقد في الشرق والغرب ، وعبدالكريم خليفة , وأحمد فؤاد الأهواني , ومحمد عبده عزام وأحمد ابو حاكمة يرجعون بنا في دنيا قديمة جديدة حتى نحس أحيانا أننا عباسيون أو أندلسيون أو غربيون .."(٣) ولا تلبث بعد ذلك " حرب حزيران أن تنشب أظفارها في لحم الأمة .. بينما ترفع معركة الكرامة راية النصر للأمة " (٤)

ثم تتوالى محطات العمر فيتخرج من الجامعة صيف سنة ١٩٦٩ ، وقد حمل معه منها الذكريات وأغلى من يحب " زوجه " ويندفع بعد ذلك إلى التعليم في المدارس " بين الكرك وعمان خمس سنوات طوال .. في مدارس الكرك الثانوية ، ورغدان وكلية الحسين " (٥) سنوات ، ثم يبدأ بعد ذلك بالإعداد لرسالة الماجستير " طه حسين روائيا " وينالها بتقدير امتياز حين " أزهر تشرين بشهداء الأمة من جديد عام ١٩٧٣م "(٦)

---

(١)- نفسه ص ٦١

(٢)- نفسه ص ٦٢ ، ٦٣

(٣)- نفسه ص ٦٨

(٤)- نفسه ص ٦٩ ، ٧٠

(٥)- نفسه ص ٧٢

(٦)- نفسه ص ٧٢

ويحصل بعد ذلك على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة كمبردج في بريطانيا سنة ١٩٨٠م (١) وكانت بعنوان : الإسلام والعروبة : دراسات في كتابات مفكري بلاد الشام ١٩١٨-١٩٥٢

From Islamism to Arabism : Astudy of the political Ideas of Syrian writings 1918-1952

الأمر الذي يعني أنه صاحب فكر عميق في الفلسفة .

ويعود مدرسا في الجامعة الأردنية ليفتح " نوافذ الشعر على الشنفرى ومالك بن الريب ، والمتنبي ، وأبي تمام وبدر شاكر السياب وأمل دنقل .."(٢) لتبدأ بعدها مرحلة النتاج والتأليف انطلاقا من " المهرجانات الثقافية ورابطة الكتاب " وتتوالى مقالاته الأدبية على صفحات الجرائد لتتجمع فيما بعد في كتابه " أوراق عربية " ويخرج كتابه " الرموز التراثية في الشعر العربي الحديث " ويصبح رئيسا لرابطة الكتاب الأردنيين منتصف الثمانينات (٣) إلى أن يتسلم وزارة الثقافة عام ١٩٨٩م.

وقد أتاح له تسلمه منصب الوزارة التنقل بين بلدان كثيرة عربية وأجنبية الأمر الذي من المرجح أن يكون له دور كبير في إثراء ثقافته واتساع أفق تجربته في الحياة ، كما أنه كواحد من أفراد الأمة العربية عاصر الأحداث الجسام التي عايشتها هذه الأمة ابتداء من حرب حزيران إلى حرب رمضان سنة ١٩٧٣م وانتهاء بحرب الخليج الثانية والهجمة الاستعمارية المقيتة التي قادتها أمريكا وأزلامها وعلى رأسهم بريطانيا وإسرائيل أواخر القرن العشرين ومطلع الحادي والعشرين على العراق ، الهجمة التي تمثلت في حرب الخليج الثانية واحتلال العراق وخراب بغداد الثاني حيث يقول في ذلك " أربعون شهرا في كمبردج وعقدان بعدها في عمان حملك السفر منها إلى موسكو قبل انهيار الاتحاد السوفيتي بست سنوات وإلى الجزائر وصنعاء والقاهرة ودمشق وبغداد ... وعشت زمان حرب الخليج وتراجع الأمة ، واعتصمت بالصبر والصمت عن الكتابة لعل ، الزمان يجود عليك بغير هذا الزمان "(٤) والقراءة لمقالاته الأدبية تعكس مدى الألم الذي اعتصر قلب الكاتب فسجله دفقات شعورية تنساب بين صفحات مقالاته كما سنلاحظ لدى مرورنا بهذه المقالات في الفصول اللاحقة .

---

(١)- نفسه ص ٧٧

(٢)- نفسه ص ٧٣

(٣)- نفسه ص ٧٣

(٤)- نفسه ص ٨٣

وحين عين وزيرا للثقافة عام ١٩٨٩ م كان أول مطلب له وأول إنجاز حققه هو إعادة فتح رابطة الكتاب الأردنيين (١) ليسجل انتصارا له ولأخوته الكتاب وليسجل لنفسه عدم ترفعه بل تواضعه في التفاته إلى قضية رفاق القلم .

ويصر " على إعطاء بعض الدروس حتى لا تخمد روح الكتابة .."(٢) إمعانا في إثبات هذا التواضع ، ثم يعين بعد ذلك رئيسا للديوان الملكي الهاشمي ، فيزيده هذا المنصب إيمانا بإرث " مجد ميشع في مؤاب وذيبان والحارث الرابع في البتراء وجعفر بن أبي طالب وصلاح الدين والحسين بن علي ..."(٣) ويزيده إيمانا كذلك بالتحدي " بعد حرب الخليج الثانية والوطن محاصر مثل العراق العزيز ، وكلاهما ظهره إلى حائط التاريخ وفي كبريائه شيء من العزلة وفي عزلته شيء من الحزن والانتظار والأسى على ظلم ذوي القربى ..."(٤) وكأنه كلما ارتقى في سلم المناصب ازداد إحساسه بالألم فازداد تدفق مداد الحبر سيلا على الأوراق تسجيلا لهذا الألم النابع من صميم ألم الأمة الممتد من جرح جعفر الطيار إلى جرح العراق العزيز .

وقد كان رفيقا لجلالة الملك الحسين طيب الله ثراه عندما اكتشف المرض الذي صارعه عدة سنوات حتى كان سبب لقائه ربه عز وجل ، ويسجل آنذاك أنه " لو استطاع لأجهش ، وفي آخر النهار يخرج من تعب الفحوصات ... لتعلن أنه سيوغل في الرحيل غدا الإثنين ويكون صباح آخر من صباحات الحزن والرحيل "(٥) إنها لحظات حزن وألم عندما يعلن بوصفه وزيرا للإعلام أن قائد الوطن وحبيب الشعب سيرحل في رحلة مصارعة المرض والألم إلى البلاد البعيدة لتلقي العلاج .

ونسير معه وهو يصر باستمرار على إعلان رومانسيته وتحسس مواضع الألم في قلبه وفي جسده ، وكأن التقلب في المناصب ومتع الحياة والطيران من بلد إلى بلد ، لم يستطع أن ينزع منه هذا الإحساس الفطري باستمرار ، فصورة الوالدة والوالد ودعواته بالرحمة لهما لا تفارقه ، وكذلك صورة الشقيق سليمان وهو يقول له " ها أنا يا ابن أمي قريب من قبرك وأنت بعيد ... ها أنا وقد اشتعل القلب الليلة شيبا أحاول أن ألم روحك الراحلة ، وأبحث في كتاب قتلى كربلاء عنك فقد رحلت مثلهم عطشان صائما ... قلت لي : سأعطيك رسالة لتقرأها وتعيدها وأرجو أن لا تحزن .... كنا وحدنا تذكرنا أبي وأمي وشقيقتي بكينا بصمت ..."(٦)

---

(١)- نفسه ص ٩١
(٢)- نفسه ص ٩٣
(٣)- نفسه ص ٩٨
(٤)- نفسه ص ٩٩
(٥)- نفسه ص ١٠٢
(٦)- نفسه ص ١٠٩ - ١١١

ولا تقف الرومانسية وتحسس الألم في نفسه عند الأموات بل تعداهم إلى الأحياء : الزوجة والبنات ؛ فلحظات الغربة التي يعيشها تشعره بمدى حبه وتعلقه بأفراد هذه الأسرة التي كون والتي أحب حيث يقول في إحدى المرات التي كان فيها في واشنطن :" ها أنت في واشنطن والدمشقية بعيدة بعيدة ... أليس من حقها أن تعيش كما تريد ؟ تذكر احتمالها لسنوات العمر الأولى معك ... لطفولتها الطيبة وهي تشقى وتصير سيدة المساءات الفقيرة والغنية ... والصغيرات - لا راعهن الدهر - أحاذر عليهن الحزن ورحيلنا إن جاء قبل أوانه ...."(١)

أما شاعر العربية الكبير أبو الطيب المتنبي فشأنه مع خالد الكركي لا ينفك ، فهو لا ينقطع عن ذكره وتلمس بعض جوانب شخصيته والاستشهاد بشعره وبثه أحوال الأمة وما صارت إليه من تردي الأحوال وكتابة مقالات عنه ، والمواضع التي يعيش فيها مع المتنبي كثيرة ، ولكن البحث يقف منها عند قوله له : " لقد حاولت يا أبا الطيب أن أقيم من أمر هذا العمر ما مال ، يوم اختلط الشعر بالسياسة والشعراء بالساسة وعدت إلى مثل هذه الصفحات أبحث عن " حب خامر القلب في الصبا " ومم كان " يزيد على حر الزمان ويشتد " فما وجدت الذي أبغي ... " (٢)

أما سؤاله الذي يقول فيه " لماذا لا تكون لنا نحن " ولايات عربية متحدة " تخرجنا من هذا الضياع بين الاستبداديين والخائفين والجامدين والجاحدين "(٣) فهو سؤال يوحي بأن صاحب هذا السؤال صاحب فكر ممتد الجذور في تاريخ حضارة العرب ، ودينهم متطلع إلى مستقبل خير لهم مؤمن بعقيدة التوحيد والوحدة غيور على هذه الأمة مؤمن بها حتى النخاع حتى ليستحق أن يوصف بأنه مكتنز بالقومية العربية ، وسوف يلاحظ من يتابع قراءه صفحات الفصلين الثاني والثالث من هذه الدراسة أهمية هذا الإحساس القومي في تشكيل القضايا والأبعاد التي يتناولها وتشكيل اللغة والعناصر الفنية والعاطفة الصادقة في لغته الشاعرية التي يشدو ألحانها .

* * *

إذن فقد تكاملت لخالد الكركي شخصيته واستوت ابتداء من النشأة في أسرة ريفية ومجتمع ريفي يعتاش من نبت الأرض وزرعها ، فنشأ معتزا بهذه الأرض : خضرتها وخيراتها وتاريخها العريق الممتد من زمن جعفر الطيار ودمه الطاهر حتى زمن أحفاده الهاشميين ،وبالأسرةالكريمة التي على رأسها الشيخ المهيب الوالد والوالدة والأخوة والأخوات ، وتاريخ العائلة الممتد

---

(١)- نفسه ص ١٣١ ، ١٣٢

(٢)- نفسه ص ١٣٤

(٣)- نفسه ص ١٣٤ ، ١٣٥

والمرتبط بروح الثورة العربية الكبرى ، وقائدها : الشريف حسين بن علي ورجالاتها : وسلطان باشا الأطرش وعوده أبو تايه وغيرهم ، ومعتزا بانتمائه لهذه الأمة التي كانت خير أمة أخرجت للناس وتاريخها المشرف ، الذي ما فتئ يتغنى به مخاطبا صلاح الدين الأيوبي وجعفر الطيار وشهداء الأمة على مر التاريخ القديم حتى التاريخ الحديث ، وشهداء الأردن وفلسطين ، ومعتزا بتفيئه ظلال قلعة الكرك بوابة المجد والتاريخ ، وبثقافته التي نهلها في مراحل حياته الدراسية منذ الابتدائية مرورا بالمرحلة الإعدادية فالثانوية والنجاح الباهر فيها ، وصولا إلى الجامعة الاردنية ووقوفه بين يدي عميد الأدب العربي طه حسين دارسا له في مرحلة الماجستير ، ثم انتقاله لدراسة مرحلة الدكتوراه في جامعة كمبردج لينهل هناك من معين الفلسفة على أيدي المستشرقين ، ومعتزا بمعلميه في مراحل الدراسة الأولى القادمين من فلسطين ومدرسة الكرك الثانوية والجامعة الاردنية والعلماء الأجلاء الذين درس على أيديهم : ناصر الدين الأسد وشوقي ضيف وعبد الكريم خليفة وهشام ياغي ، وغيرهم ومعتزا كذلك بتتلمذه على يد أبي الطيب المتنبي صديقه الذي لا يفتأ يذكره بين طيات مقالاته . ومعتزا كذلك بالمناصب التي تسلمها وزيرا للثقافة والإعلام والشباب ورئيسا للديوان الملكي الهاشمي ، هذه المرحلة التي مكنته أن ينهل من معين حكيم الأمة وزعيمها جلالة الملك المحبوب الحسين الراحل رحمه الله .

ومعتزا كذلك بتنقله بين العديد من عواصم ومدن الدنيا العربية وغير العربية ، الأمر الذي مكنه من اغتراف جوانب ثقافية كثيرة من هنا وهناك ، أغنت ثقافته بالعلم والذكريات والصور التي لا تمّحي من مخيلته التي كانت معينه الذي ينهل منه صوره الفنية ، ويحق له أن يهنأ بهذه اللغة الشعرية وهذا القاموس اللغوي الذي تفرد به فأعطاه شخصيته الأدبية المستقلة .

ولكن جوانب هذا الاعتزاز لم تلغ جانبا آخر مهما من شخصيته ، وهو لين قلبه وسرعته في البكاء وتمرسه في تذوق طعم الألم ، الألم الذي كان وما يزال محركا لمشاعر الأدباء وأحاسيسهم ودافعا لهم للكتابة والتفنن وإبداع الروائع ، وقد كان خالد الكركي واحدا منهم ، فقد أبدع هذا الكم الهائل من المقالات الزاخرة باللغة الشعرية الجميلة الحافلة بالصور الفنية والعواطف الصادقة الجياشة في بكائه لوالده ووالدته وشقيقه سليمان وشقيقته التي يذكر اسمها ، الذين رحلوا وتركوه وحيدا في هذه الدنيا ، وفي حبه وعشقه لزوجه وبناته ، فهو من الصنف الأول الذي اعتز رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه منه .

وفي تعامله مع جراحات أمته العربية في العصر الحديث في فلسطين والعراق وكل أنحاء الوطن العربي والإسلامي أنّي تطلبه واجب القومية العربية والإسلامية أن يكون ، وفي معايشته لأبناء وطنه الأردنيين ومشاركته لهم فرحهم بالإنجاز ، وحزنهم في ضيق ذات اليد في هذا الوطن الحبيب.

رابعا : روافد المقالة عند خالد الكركي

يظل الواقع باستمرار معينا يستمد منه الأدب الدافع والمادة للكتابة ، لأن الواقع هو مادة الحياة في تقلباتها على مر الأيام والسنوات . والأدب النافع والمفيد هو الذي يهبط من أبراج المثالية إلى ميدان الواقع لينفعل ويتأثر به ثم ليشكل مادة هذا الأدب في صورتها الفنية ، وصولا إلى الغاية التي يسعى الأدب إليها وهي فائدة الإنسان وتصوير معاناته في صور حياته والتعبير عنها . وقد عاش خالد الكركي كواحد من أفراد الأمة العربية والوطن الأردني أحداثا جساما على مدى النصف الثاني من القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين ، شكلت مادة هذا الواقع هذه الأحداث وهو واقع في الصورة الغالبة مؤلم ، لأن منطقة الشرق الأوسط التي نحيا في رحابها ظلت وما تزال على مر التاريخ منطقة صراع ، لا سيما بين الحضارتين الغربية والإسلامية فكان لزاما أن يتأثر خالد الكركي وهو يحمل روح الأديب والكاتب بهذه الأحداث الجسام ، الأمر الذي أدى إلى اتخاذه المقالة الأدبية في جانبها الذاتي منبرا لتناول جوانب هذا الواقع بالانفعال والتأثر أولا ثم الكتابة فالتأثير في المتلقين . ومن هنا يمكن تقسيم الروافد التي دفعته لكتابة المقالة إلى ثلاثة روافد :

١ـ الروافد السياسية

٢ـ ا الروافد الثقافية

٣ـ ا الروافد الأدبية .

١ـ الروافد السياسية :

تقف العوامل السياسية على رأس هذه الدوافع ، حيث انقسم الجسد العربي إلى اكثر من عشرين قطرا لكل قطر راية ودستور وحدود ونظام حكم ، مع أن عوامل توحد هذه الأقطار أكثر من عوامل تفرقها ، ولكن السياسة التي تصب في صالح الدول المعادية للعرب سياسة وحضارة ودينا دفعت إلى هذا الانقسام ، ووضعت نقاط وعوامل التوتر بين هذه الأقطار الأمر الذي كان له دور في اشعال فتيل الصراعات ، مثل الحرب التي قامت بين العراق وايران واستمرت ثماني سنوات ، وكذلك فقد احتلت اسرائيل أرض فلسطين على امتداد النصف الثاني من القرن العشرين وحتى اللحظة الراهنة ،مدفوعة ومدعومة من قبل القوى السياسية والدول الكبرى في العالم الغربي ، ثم إن الدول القوية وعلى رأسها أمريكا ظلت تستهدف هذه المنطقة باستغلال خيراتها وفرض إرادتها على دولها واحتلالها لبعض أقطارها مثلما حصل في الصومال وأفغانستان والعراق .

فكان لهذه الأحداث دور كبير في إذكاء قريحة خالد الكركي للتفاعل مع هذه الأحداث في فلسطين والعراق وكل جرح عربي ، يقول في مقالته " العام الدولي للحجارة " : " أنت التي حين لج القلب بالسؤال عن فلسطين أشرت إلى الحجارة والفتية الذين زادهم القمع الصهيوني ثباتا ... وأنت التي تقر عينك حين ترين الأمة تجلو سيوفها وتعد روحها للزمان الجديد ... وجعل الفرح الذي نسعى إليه طفلا يخرج من المهد يسأل عن الحجارة والسلاح ويدخل إلى المدرسة ليتلقى دروسا في الغضب ، ويسافر في الأرض ليهي روحه لكتاب الحرية . تقولين والمساء موغل في طقوس الوداع ، اكتب ولا تنس أهل فلسطين والبصرة والسودان فهم الذين إذا تتلى عليهم كتب الحجارة والشعر والجوع هبوا وتدفقت جموعهم تهتف بأناشيد الجيل الغاضب ..... "(١) فصوته صوت الذي يحس بألم أمته فيدفعه هذا الإحساس للكتابة .

ويقول في مقالته (العم أبو محمود والعم سام) : " باسم هذا النضال تطلع في زماننا أرواح الفاروق وعمار بن ياسر وأبي ذر الغفاري وسلطان الأطرش وعبد الكريم الخطابي وعمر المختار وعز الدين القسام وعبد القادر الحسيني ... وباسم فلسطين يخضر الحجر ويطلع الزعتر وتزغرد الأمهات ويتطهر دمنا من بقايا النفط ، وأرضنا من القحط ، وروحنا من الخوف ، وأطفالنا من التشرد ..."(٢) فهو يربط بين أسماء شخصيات من عمق التاريخ وأخرى من عمق الواقع ، لتورق بذكر أسمائهم الحجارة وتزغرد النساء ، وليتطهر العرب من دنس النفط العربي الذي انقلب من نعمة إلى نقمة في العصر الحديث .

ويقول مخاطبا شخص الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر ، ومستبشرا بدور مصر الفاعل والمنشود في عزة الأمة العربية في مقالته " مصر التي في خاطري ...- عبد الناصر - يقول : " ها نحن نحمل جلال الذكرى وأسى الغياب وحب مصرواشواق الأمة ، وها نحن والقدس على مد النظر منا ، ما نزال نتشبث بالموقف الحق ، فعلى أرضنا تشبث جعفر بن أبي طالب بالراية وحماها بساعديه ودمه ، وعليها كانت قوات الفتح في حروبنا ضد الروم والصليبين ..."(٣) فهو يعبر في هذا الموضع الذي يستذكر فيه رحيل الزعيم جمال عبد الناصر - عن حبه لمصر واستشرافه للمستقبل الذي تأخذ فيه دورها الطبيعي ، ويربط هذا الحب بحب الأردن الموطن والبلد الذي سطر على أرضه جعفر بن أبي طالب ملحمة البطولة والفداء والذي كان أرض الحشد لجيوش العرب والمسلمين في حروبها مع الصليبيين .

ويتحدث في شأن سياسي عربي شغل العالم لعدة سنوات وهو حرب العراق مع ايران ،

---

(١) - خالد الكركي : أوراق عربية المؤسسة الصحفية الأردنية (الرأي) عمان ط١ ١٩٩٠م ص ١٠٢

(٢) – نفسه ص ١٠٣

(٣) – نفسه ص ١٦٣

يتحدث ناعيا على نظام الحكم في ايران الذي شن الحرب على العراق اغفاله للعقول وظلمه للإنسان الايراني والعربي بإدخالهم في حرب لا طائل من ورائها ، إلا إشباع رغبات ذلك النظام في السيطرة على أراضي الجيران ، يقول في مقالته " وللعراق بني عمي مهابته " :" إننا ندرك تماما أن ما بدأ ذات مرة حركة تحررية ضد الظلم والقهر قد انتهى ، وأن عودة إلى الجانب المظلم من المسيرة التاريخية ... تبدو واضحة في ملامح التحولات الغامضة في مسيرة ذلك النظام الذي يعتقد أنه موكل بتغيير الأنظمة المجاورة وحراسة أجزاء من أرض العرب ... أعني نظام طهران في الرؤية الخطأ التي تحكم مساره "(١)

أما حرب الأمريكان على العراق واحتلالهم له فقد كان له مع هذا الشأن وقفات ونفخات وزفرات ، ولنا في بعض عباراته مثال ، فها هو ذا يقول في مقالته " سلام على هضبات العراق " متحدثا عن مغالطة الأمريكان وتزييفهم لوجههم الاستعماري وادعائهم أنهم جاؤوامحررين للعراق يقول :" اننا أمام غزاة فلندقق في مصطلحات المرحلة ، وقد جرب المستعمرون الخداع قبل ذلك منذ الغزو الفرنسي للمحروسة سنة ١٧٩٨ حتى اليوم ، ولم يقع الناس آنذاك في شراك خداع المصطلحات وهم في أول الوعي على الثقافة العالمية ، بينما تتورط فئات من الناس في أوائل هذا القرن الأمريكي القبيح في المشروع الاستعماري سذاجة أوصفاقة ، فهل من خطة لمواجهة التحديات بعد أن أضاءت المقاومة العراقية الباسلة عتم الليل بدم أبنائها وخرجت مبكرة من زمن الصدمة والذهول (٢)

ويقول في موضع آخر واصفا حال الامبراطورية الأمريكية في احتلالها وقهرها للشعوب وفي مستقبلها الذي يستشرفه الكاتب في مقالته " خواء الروح : قراءة في المشهد الامبراطوري الأمريكي " يقول :" انني إذ أقدم رأيي في صورة هذه الامبراطورية ، ونحن أمة تنزف جراحها تحت وطأة الاحتلال الأمريكي ومن تبعه من الحلفاء الصغار الذين ارسلوا قواتهم إلى العراق أو من صمتوا عليه وراقبوا انفراد أمريكا بالعالم وانفراد الصهيونية بفلسطين ... وتعرف أن أي امبراطورية عبرت التاريخ بالظلم والقوة العسكرية قد سقطت تحت أقدام الشعوب الثائرة ، وتناثرت شظاياها ركاما وخرابا يتذكره الناس يوم تطلع الحرية على أمتنا ..." (٣)

إذن فقد شكلت المواضيع السياسية في زمن التسلط والقهر هذا رافدا ودافعا ثرا له ليستمد منه مواضيع مقالاته على مدى أكثر من عشرين عاما عايش وما يزال حال أمته في التردي والهوان الذي هو ليس من صميم طبعها .

---

(١) – نفسه ص ١٧١

(٢) – خالد الكركي : بغداد لا غالب إلا الله ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط١ ٢٠٠٣ ص ١١٠

(٣) - خالد الكركي : تحولات الرجل اليماني المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ط١ ٢٠٠٤ ص ١٠٧

٢ ـ الروافد الثقافية :

لقد شكلت الثقافة كذلك رافدا من روافد كتابات خالد الكركي المقالية بحكم النشأة والتكوين الثقافي لشخصيته والأوضاع الوظيفية التي تقلب فيها ، فقد نشأ منذ صغره طالبا مجدا في مراحل دراسته المختلفة في مراحل الدراسة الابتدائية فالثانوية فالجامعية في مراحلها الثلاث ، محبا للثقافة ناهلا من معينها على أيدي المدرسين الذين تلقى على أيديهم الدروس في المدرسة والجامعة وظل يعتزبهم على الدوام ، وأدباء العربية القدماء والمحدثين الذين كانت له معهم وقفات في دراساته وبحوثه ومقالاته النقدية .

فقد حدثنا عن نتف من تكوينه الثقافي في مراحل حياته المختلفة الحافلة بالجد والعطاء ، وحسبنا أن نسلط الأضواء على بعض المقاطع مما يقول لنكتشف بعضا من جوانب تكوين شخصيته الثقافية حيث يقول عن مراحل الدراسة الأولى : " فقد كبر الشيخ وجرب الرحيل والحياة حلوها ومرها وكبرت أنت وظل آخر دروسه حاضرا في روحك وأنت تقرأ بين يديه في كتاب الله الكريم :" عم يتساءلون ، عن النبأ العظيم ، الذي هم فيه مختلفون " وقد مر بك وقت طويل بعد ذلك حتى عرفت ما هو النبأ العظيم ولماذا هم فيه مختلفون ، وعرفت أيضا ما هي " عاد " وما هي " إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد " وحين تفتح كتابك " الرموز العربية في الشعر العربي الحديث " وتعيد قراءة فصل " إرم المدينة الغائبة " ... تتذكر سحر مجلس الشيخ ..." (١)

ويقول بعد ذلك : " ولعلك تكتشف الآن لماذا أنجزت كتابين في نقد الرواية ، وعددا من الدراسات في نقد الشعر ولماذا تستهويك حكايات أسطورية عتيقة تردك إلى صفحات " التيجان في ملوك حمير " وتغربية بني هلال " (٢) ويتحدث عن قصيدة في رثاء شريف العرب الحسين بن علي طيب الله ثراه للشاعر الأردني فؤاد الخطيب طالما أثارت إعجابه فيقول في ذلك :" وحين تمتد بك الأيام ستقرأ النص كله في ديوان فؤاد الخطيب وتضيف إلى روحك صوتا قوميا هادرا يرفدك وأنت تكتب عن كتاب الثائر عمر فاخوري (كيف ينهض العرب) بحثك الأول بعد حصولك على الدكتوراه ..."(٣)

ونسير معه نستقرئ بعض جوانب شخصيته الثقافية ، ونستمع إليه وهو يتحدث عن بعض الآيات التي قرأها بين يدي أستاذه " والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى " فيقول مسجلا شهادة عن جانب مهم من تكوين شخصيته : " وها أنت بعد أربعين سنة تستعيد الصوت

---

(١)- خالد الكركي : منوات الصبر والرضا ، ص ١١

(٢) – نفسه ص ١٣

(٣) – نفسه ص ١٧

العظيم ...." (١) إنه يسجل هنا ضعفه عن استكناه مدى الجمال البلاغي والنقدي وتعجز كل معرفتك بالنقد والبلاغة أن تدلك على بدائع الجمال في هذه الآيات المشرقة بالإعجاز في كلام الله عز وجل ، ولكننا نقرأ بين السطور أن شخصية الكاتب متشبعة بعلوم النقد والبلاغة ، والكاتب يقول هذا وهو غير محتاج منا لأن نصدق أو نكذب هذا الكلام ، ولكن الشواهد من كلامه السحر الحلال في كل ما يقرأه المرء من كتاباته ومقالاته تشهد بصدق ذلك الكلام .

ويتحدث في موضع آخر عن بعض ما نهله من علوم أثناء تنقله بين المدارس في مراحل الدراسة الأولى حيث يقول : " كان عليك أن تتعلم الكثير من سفرك وأن تكابد السير بين القرية والمدينة وأن تقرأ مجلة " العربي " التي ستشكل نافذة مهمة على الدنيا وأن تظل قادرا على القراءة خارج المنهج من مكتبة أخيك ، وكنت قبل دخول المرحلة الثانوية قد تعرفت في كتبها إلى المتنبي وغاندي ونهرو وكتاب محمد صبحي أبو غنيمة " نظرة في أعماق الإنسان " وديوان عرار " عشيات وادي اليابس " وكتاب البدوي الملثم " الغواني في شد إبراهيم طوقان " وجملة من الروايات العربية المعربة ..." (٢) إن الوقوف بين يدي هذه الشخصيات التي ذكرها ، وفي رحاب هذه الكتب ، يعني الكثير من التحصيل الثقافي ولا ريب ، ذلك أن كل شخصية منها تمثل مدرسة بحد ذاتها .

ويتحدث عن ترجمته لكتاب بيترجوبسر " السياسة والتغير في الكرك ـ الأردن دراسة لبلدة عربية صغيرة ومنطقتها " في معرض ذكره الدائم لشوقه إلى الكرك مسقط الرأس ومهد الصبا يقول :" هي الكرك إذن ... زمان صعب بل مدينة صعبة وحين تترجم أحد أهم الكتب عن تاريخها الحديث (عن الإنجليزية) بعدما يزيد على عقدين من ذلك الزمان ستكتشف سر تلك الهيبة الصعبة ..." (٣) .

إذن فهذه نتف وشذرات من تكوين شخصية خالد الكركي الثقافي ، فالقارئ لكل ما يكتب يشعر بعمق النفس الثقافي وبعد مداه في هذه الشخصية الحافلة بالثقافة والعطاء ، ويكفي أن نستشهد بعبارة له يقول فيها إن عمره قد تناثر " بين التعليم والثقافة والسياسة " (٤) لنتعرف إلى عمق هذا الرافد الذي يشكل ثلث تكوين هذه الشخصية التي توزعت بين الدوافع الثلاثة السياسة والثقافة والتعليم ، ويكفي أن نورد مسردا لأعماله التي أنجزها ، لندلل على مدى هذا التكوين الأمر الذي كان دافعا له لكتابة المقالة الأدبية ، وهي :

---

(١) ـ نفسه ص ٣٩
(٢) ـ نفسه ص ٥٧
(٣) ـ نفسه ص ٦١، ٦٢
(٤) ـ نفسه ص ٢١

*** - البحوث :**

- قراءاة في كتاب كيف ينهض العرب / عمر فاخوري ١٩٨٣
- صورة الإنجليز في أدب احمد فارس الشدياق ١٩٨٥
- المنهج والمصطلح في المحاولات العربية الأولى في الأدب المقارن ١٩٨٤
- بين الخيام وعرار : دراسة في ترجمة عرار للرباعيات وأثره في شعره ١٩٨٦
- ترجمة شعر عرار إلى الإنجليزية : دراسة في نماذج مختارة من قصائده المترجمة ١٩٨٩
- الرموز الجاهلية في الشعر العربي الحديث : دراسة في قصائد مختارة من الشعر الحر ١٩٨٧
- الرموز القرآنية في الشعر الحديث : دراسة مختارة من الشعر الحر ١٩٨٩
- حسني فريز شاعرا : هياكل الحب (١٩٣٨) الحضور الأردني في النموذج الرومانسي العربي ١٩٩٣

*** - الكتب المنشورة :**

- الرواية في الأردن / مقدمة ١٩٨٦
- أوراق عربية ١٩٩٠
- الرموز التراثية في الشعر العربي الحديث ١٩٨٩
- طه حسين روائيا ١٩٩٢
- المصادر وطريقة البحث في اللغة والأدب ١٩٨٦
- الأدب العربي (٢) : من نهاية العصر العباسي إلى العصر الحديث ١٩٨٥
- السياسة والتغير في الكرك وهي ترجمة لكتاب

Peter Gubsur politics and social change in ALkarak jordan a study of asmall arab town and its District , 1988

- حماسة الشهداء , رؤية الشهادة والشهيد في الشعر العربي الحديث ١٩٨٨
- سنوات الصبر والرضا ١٩٩٩
- من دفاتر الوطن ١٩٩٩
- الصائح المحكي ، صورة المتنبي في الشعر العربي الحديث ١٩٩٩
- دم المدائن القصيد , هواجس عربية ٢٠٠٠.
- قراءات في الثقافة والسلطة والإعلام ٢٠٠١
- منازل الأرجوان : الشهداء القادة في الإسلام ٢٠٠٢
- بغداد لا غالب الا الله ٢٠٠٣

- تحولات الرجل اليماني ٢٠٠٤

- ورد ورماح ٢٠٠٥

*** - كتابات أخرى :**

- مقالات نقدية في جريدة الرأي حول الشعر العربي والرواية والأدب الأردني الحديث (في الثمانينات من القرن الماضي).

- كاتب زاوية اسبوعية في جريدة الرأي لعدد من السنوات (في الثمانينات من القرن الماضي)

- برنامج لإذاعة المملكة الأردنية الهاشمية (قراءات نقدية) (في الثمانينات من القرن الماضي)

- محاضرات في مواسم أدبية وملتقيات داخل الأردن وخارجه , خاصة في مجال الحركة الثقافية في بعديها الوطني والقومي .

- الشخصية الوطنية للدولة الأردنية ١٩٩٤, ١٩٩٥, ١٩٩٦م

- الأردن ١٩٩٥ , ١٩٨٥: رؤية شخصية ١٩٩٥

- سياسة الأردن الإعلامية : رؤية لمرحلة ما بعد الميثاق ١٩٩٢

- الاستراتيجية الإعلامية للأردن ١٩٩٥

- الخطاب الأردني الجديد : الرؤية والتحديات ٢٠٠١

- المثقف والسلطة ٢٠٠١

- كاتب في جريدة القدس العربي (لندن) .

٣ - الروافد الأدبية :

لقد توفر لخالد الكركي الدافع الأدبي لتناول جوانب من الأدب العربي والأردني بالنقد والدراسة على شكل مقالات أو بحوث ومؤلفات ، وذلك انطلاقا من عمق وجدية الحركة الأدبية العربية والوطنية ، التي تدفع الكاتب المجد والأديب للإدلاء بدلوه فيها ناقدا ومؤلفا .

فعندما أراد أن يسطر بعض القراءات في البطولة وضع كتابه " ورد ورماح : قراءات في البطولة " فجعل من مؤتة التي تشبع بأنفاسها ونسائمها وصباحاتها وتاريخها منطلقا لهذه القراءة فاندفع يكتب بتأثير دافع أرقه طويلا فقال في ذلك : " ولكن الذي ترسخ في ذاكرة محدثكم الذي كان يعبر الطريق من الكرك إلى المزار أن أمرا ما يربط بين فلسطين ومؤتة ، وأن " الرؤيا " التي بدت لأهلنا عبر قرون من الصبر والصراع ضد الرومي والصليبي والغربي والصهيوني هي تذكيرلنا جميعا بأن الطريق إلى القدس يبدأ من روح معركة الصدام الأول ... من مؤتة ، وكم

أرقني هذا السؤال الصعب .... وقد أرقني البحث عن امتداد روح مؤتة ، حتى رأيت في صفحات التاريخ حفيدا لعبد الله بن رواحه يكمل دورة الدم والشهادة على أبواب عكا ..."(١)

أما كتابة " تحولات الرجل اليماني " فإنه يشير في مطلعه إلى السؤال الصعب الذي ظل يشغل بال المثقفين العرب و" هو البحث عن دور في مواجهة هذا الخراب الذي جعله الأمريكان والصهاينة والاستبداد عاما وموزعا على جغرافية الوطن العربي الكبير ... وهم إذ يواجهون أسئلة الراهن والمستقبل من تنوير وتثوير واستشراق ودفاع عن الكرامة والحرية ، فإنهم في الوقت نفسه يكتشفون أن بين صفوف الحركة الثقافية العربية من يدعي أنه مثقف ... لذلك صار لزاما على باحث ما أن يعد دراسة في " طبقات المثقفين العرب في الزمن الحديث " (٢) . وقد تصدى الكركي للإجابة عن هذا السؤال الصعب الذي ظل يشغل بال المثقفين العرب الجذريين الذي هو واحد منهم .

ومن ناحية أخرى فقد عبر عن إعجابه بعدد من السير الذاتية لعدد من الشخصيات فقال إنه " معجب بأيام طه حسين " ولا مذكرات " أندريه مالرو " ودرب الشوك " التي سار عليها ... سامي الدهان " (٣) فأراد أن يخط سيرة حياته في كتاب مماثل ، فواجهه السؤال المهم والصعب والضروري لدى كتابة شخص ما لسيرة حياته فقال لنفسه : " من أنت حتى تكتب سيرتك ... وأنت مواطن عادي من قرية هادئة في جنوبي الوطن ..."(٤) فكان الجواب في قوله لنفسه :" إن أدب السيرة وأدب الرحلات يأخذان حيزا من اهتمامك على مدى العقود ...."(٥) وفي أن هناك جوانب من سيرة حياته تستحق التسجيل .

أما دوافعه للكتابة عن صديقه أبي الطيب المتنبي فإنه يعبر عنها بقوله : " أي حضور هذا الذي لأبي الطيب في تراثنا الشعري والنقدي القديم ... إنه أبو الطيب دنيا من الكبر والعجب والقلق والغضب ، وهو أول من منح معاصريه من الشعراء ينابيع العطاء والضياء يوم استأثربحب سيف الدولة وبحجر الشعر وسحر القوافي ... إنه هو الفنان الأكبر في الأمة .. إنه أبو الطيب عزيز على تاريخنا وعزيز فيه ..."(٦) أسباب كثيرة تدعوه للكتابة عن هذا الرجل الذي لا ينفك يلازمه هاتفا باسمه مستشهدا بشعره غائصا في بحر أسراره العميق.

إذن فقد توفرت له الدوافع والأسئلة الأدبية التي كانت تدفعه للكتابة بالتوافق مع الدوافع

---

(١) - خالد الكركي : ورد ورماح : قراءات في البطولة ص ٩ ، ١٠
(٢) - خالد الكركي : تحولات الرجل اليماني ص ٩
(٣)- خالد الكركي : سنوات الصبر والرضا ، ص ٩
(٤) – نفسه ص ٩
(٥) – نفسه ص ٩
(٦) - خالد الكركي : الصانح المحكي ، صورة المتنبي في الشعر العربي الحديث ، دراسة ومختارات دراسة ومختارات المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط١ ١٩٩٩،ص٦

الأخرى الثقافية والسياسية التي تمثلت في المخزون الوفير الذي توفر له من الثقافة قراءة ومطالعة وتحريرا وترجمة وتأليفا وتدريسا للطلاب ، والتي تمثلت في أحوال هذا الزمان المشحون بالسياسة الغربية الامبريالية الطاغية التي طالت بأذاها كل إنسان عربي ومسلم ، مما دعا الكتاب والأدباء للمنافحة والذود عن الأمة العربية تراثا ودينا ولغة وثقافة ووجودا فكان خالد الكركي واحدا منهم منافحا ومدافعا ذا لسان فصيح عضب .

خامسا : حدود نوع المقالة وخصائصها عند خالد الكركي

أ-أنواع المقالة

يوصلنا الاستقراء لمقالات خالد الكركي بناء على التقسيم السابق الذكر خلال طيات هذا الفصل للقول إن مقالاته قد توزعت بين النوعين : الذاتية والموضوعية ، ذلك أن قسما كبيرا من هذه المقالات قد ظهرت فيها شخصية الكاتب بجلاء ، وذلك من خلال عاطفته الصادقة الجياشة في تناول المواضيع التي يجعلها صلب مقالاته في حديثه عن أشجان أمته ووطنه في البعدين اللذين سيلي الحديث عنهما في الفصل اللاحق وهما البعدان : القومي العربي والوطني . فهو ابن أمته العربيه ينبض قلبه بإحساسها يستشعر آلامها وجراحاتها في هذا العصر الذي كثرت فيه الجراح والهنات في فلسطين والعراق وفي كل صقع من أصقاع هذا الوطن الممتد ، فكلما طلبه نداء العروبة لبى النداء وخط مقالة من هنا وهناك يبرز فيها شخصيته في صلب الألم وفي جوهر الجرح ، وهو ابن وطنه الأردن الذي أحبه وعشق أرضه وترابه وكل متعلقاته ، يتحسس همه اليومي ويضع يديه على مواضع الضعف والهنات في مسيرته المباركه فيها ومنيرا الطريق ومقدما النصح والإرشاد إلى ما فيه خير هذه المسيرة وخير الأردن بأكمله .

ومن ناحيه أخرى فله مقالات امتازت بالموضوعية وانضواء شخصية الكاتب خلف السطور خدمة للموضوعية والحياد الموضوعي والأمانة العلمية التي تنتهجها المقالة العلمية سبيلا ، من أجل الوصول إلى الحقيقة المنشودة من وراء النقاش لجوانب القضية أو الموضوع .وستتم الإشارة إلى هذه المقالات في الصفحات الآتية من هذا الفصل . وعلى العموم فسيتم الآن مناقشة واستقراء النوعين بالتطبيق على مقالاته ابتداء بالمقالات الذاتية ثم المقالات الموضوعية .

أ - المقالات الذاتية .

يشكل هذا القسم الجزء الأكبر من مقالاته حيث تتوزع هذه المقالات على حسب الشكل التالي :

- المقالات الشخصية
- مقالات السيرة
- المقالات القصصية

١- المقالات الشخصية .

إذا كان مفهوم المقالات الذاتية يقول إنها النوع الذي يبرز فيه شخصية الكاتب ليبث مكنونات نفسه للقراء ويعترف لهم ببعض أسراره التي يكون فيها نوع من المفاجأة بحيث تعكس ثقافته وانطباعاته الخاصة ، فإن هذا التعريف يصدق على مقالات خالد الكركي من ناحية ولكنه يقصر

من ناحية أخرى ، فالعنصر الشخصي في هذه المقالات يظهر من خلال عاطفته الصادقة الجياشة التي لا تخفى على القارئ البتة ، وذلك من خلال بروز البعدين اللذين أشرنا إليهما آنفا وهما البعد القومي العربي والبعد الوطني ، فهو يعيش أحزان أمته وأشجانها في العراق وفلسطين وفي كل جرح من جروحها ، ويعيش مع وطنه همومه وقضاياه اليومية والمعيشية ، وينظر في المسيرة محاولا تصحيحها قدر الإمكان ، أما أن نقول إن هذه المقالات تعبر عن تجربة أو تجارب وجدانيه على صعيد الكاتب الشخصي فإن هذا القول لا ينطبق على أرض الواقع كما تفيد القراءة لهذه المقالات ، فهو يعبر عن كم هائل من الثقافة ويعبر عن العاطفة الصادقة الجياشة ، ولكن من خلال ذوبان شخصيته في شخصية الأمة وشخصية الوطن ، فهو يتحدث ويعبر ولكن بلسان الأمة في الغالب الأعم ، وإذا برزت شخصيته في المقالة فإن هذا البروز يؤدي خدمة تصب في النهاية لصالح التعبير عن شجون الأمة الوطن ، ومصداق ذلك شيوع ضمير المتكلم للجماعة (نا) أكثر من ضمير المتكلم الفرد ، ولنضرب بعض الأمثلة من هذه المقالات .

يقول في مقالته " نقوش على بوابة مؤتة " مع ما يحمله هذا العنوان من بعد قومي ووطني :

" كل دروب المجد تسير اليك ...

أخرج هذا الصباح من باب عمان الجنوبي .... وهناك القي عصا التسيار وأمد التحية لأرواح الشهداء ....

أي حلم هذا الذي يسكن فينا إن تجاوز روح مؤتة ؟

أي الكلام نقول واي الكتب نقدم للناس في زمن الثقافة الاستهلاكية .... "(١)

فالكاتب يبدأ الحديث بضمير المتكلم للفرد (الذات) ولكن هذه الذات قد جندت نفسها لحب الأمة وحب الوطن ، لذلك فإنها تمد يدها لتحية شهداء مؤتة الذين هم شهداء الأمة وشهداء الوطن ، ونلاحظ بعد ذلك تحول الضمير إلى ضمير المتكلم (نا) لأن الكاتب من وجهة نظر البحث هو الأمة كلها وهو الوطن كله ، فقد جعل من نفسه ناطقا باسم هذا الوطن وهذه الأمة .

وإذا هم ببث أشجان نفسه لمرتع من مراتع الشباب " الجامعة الأردنية " يقف بين يديها ويستذكر أيام الدراسة الخوالي ، فإن الذات الجماعية تغلبه ليتحدث باسم كل محبيها من أبناء الوطن الذين درسوا على مقاعدها ، مع أن الموقف وموضوع الحديث والوقوف على الأطلال هنا يسمح بالحديث الشخصي ، ومع ذلك فهو يؤثر الحديث بضمير الجماعة ، لأنه يرى هذه الجامعة لكل الوطن حيث يقول :

" أي هاجس هذا الذي يشغل القلب بها : حب المكان أم رواء ساكنيها ؟....

---

(١)- خالد الكركي : أوراق عربية ص ٧

نعم : حب الديار ، وحب من سكن الديار ...

هذه طريقنا إليها لم تتغير ، ومازلنا نرى أنفسنا في وجوه القادمين ، ونكاد نمسك بالحلم الذي يسكن العيون المزروعة بالفرح والانتظار ..." (١)

هذه بعض المواضع التي وقف فيها عند جزيئات من وطنه ، ولننظر إليه في مواقف أخرى عند بعض شجون الأمة كيف يتكلم بضمير الجماعة ، فها هو ذا يخاطب الأخوة الصابرين في أرض فلسطين قائلا لهم في مقالته " اضرب رصاص ، خلي رصاصك صايب " يقول :" سلام على أهلنا في زمن الغضب الذي ينسجونه من دمائهم وصبرهم وإصرارهم العظيم على التحدي .... وسلام على الذين عادوا إلى جذور المسألة ، وخرجوا بنا من خلط الألوان والأوراق إلى وضوح الرؤية والأسئلة والأجوبة ....

أي وجوه شهدائنا في فلسطين تحتضنها الذكرى هذا الصباح ، وأي الحكايات تصعد إلى زمان ندعو فيه الناس إلى الوحدة والقوة والتمسك بالثوابت الراسخة .....

أي وجد يحاصر الكلام ونحن نحاوره أن يكون صمتا عند الحديث عن أرواح الشهداء ...."(٢)

إنها عبارات تخرج من صدره لتحمل وجهة نظر شخصية مغلفة بهالة عظيمة من صدق العاطفة ، لقد كان بإمكانه أن يتحدث بضمير المتكلم الفرد ، ولكنه يشعر أن هذه الدفقات الحسية العاطفية الصادقة لا يكفيها ضمير الفرد ، بل تحتاج لضمير الجمع لأنها إحساسات أمه كاملة تقف مع الأهل في فلسطين وتتحسس جرحهم .

وها هو ذا يقف بإزاء جرح غائر أخر من جراح الأمة ، إنه جرح بغداد عاصمة الخلافة العباسية ، مطلع الألفية الثالثة ، عندما امتدت إليها يد الأمريكان والإنجليز والصهاينة والخونة العرب الذين عبر عنهم الكاتب بتسمية المقالة " بغداد : وسوى الروم خلف ظهرك روم " حيث يتحدث عن شجن من أشجان نفسه ولكن بلسان الأمة قائلا :" ها نحن ما نزال نحدق في الفضائيات " العربية " وعيون الغزاة تحاصرنا ليل نهار ، نحاول أن نستعيد ساعة من زماننا القومي العذب فلا يطاوعنا الزمان نفسه فقد صار خائنا مثل بقية العملاء ...

نحاول ونسند أرواحنا إلى صوت الرفض العربي الذي يملك القليل من الخبز والكثير من الحناجر ونستعيد صوت سيدة أطلقت حزنها أسراب حمام على شرفات بغداد .... ونستعيد ألقنا من هذا الضباب الذي يغطي ارتعاش الورد على شرفات أرواحنا "(٣) إنه بالتأكيد تعبير عما يجول في صدر الكاتب وعما يجول في صدر الجماعة التي ينتمي إليها .

---

(١) – نفسه ص ٩

(٢) – نفسه ص ١١٩

(٣) – خالد الكركي : بغداد لا غالب إلا الله ص ٣٥

ويتحدث في موضع آخر واصفا ساحة معركة مؤتة ومحددا تضاريسها وحدودها مبتدئا الكلام بضمير الفرد المتكلم ليتحول على الفور إلى ضمير المتكلم (نا) دون تكلف وعناء ودون مشقة ودون أن يشعر القارئ بالاختلاف بين دلالة الضميرين ، فهو فرد في أمة وأمة في فرد ، حيث يقول " أقول : هذه كتابة من زمن الوعي الأول لنا نحن الصبية الذين تكمل قريتهم مثلث ساحة المعركة في دائرة لا تتجاوز خمسة كيلو مترات (مؤتة - مشارف - محنا) وكم جذبنا سهل المعركة إليه وأهلنا الكبار يتحدثون عن صباحات تبدي للراني في عين الحلم ما يظنه يقظة ..." (١) فأين هم أولئك الصبية الذين يتحدث عنهم وأين هم أولئك الأهل ؟ إنهم موجودون لاشك في ذاكرة الكاتب ، لذلك فقد طغى ذكرهم على لسانه فتكلم بضمير الجماعة بدل الفرد مثلما طغى وجود الأمة وفرض نفسه على إحساسات الكاتب فغدا يتكلم بضمير الجماعة بدل الفرد لأنه يتكلم باسمهم جميعا لاباسمه هو فقط .

فهو يتكلم بلغة الجماعة لأنه كان يحس ، في ظنه ، أنه الأمة كلها ، يحس بما تحس به ويشعر بما تعاني من تحديات مصيرية ، ورغم ذلك فهناك من مقالاته ما ظهرت فيها ضمير الفرد جليا ليعبر عن بعض جوانب هذه النفس الإنسانية المعشبة بحب الأمة وبحب الوطن وبحب الحياة منها ، فها هو ذا يقول في مقالته " نسرين ... السفر بين مؤاب ودمشق ، يقول :- " تلك هي شالها المؤابي المرخي على شعرها الحريري ، بين النعاس والحنين نقف ...
قلت ليتي أعانقها وأبكي : فأنا أخشى على مؤاب إن غابت ... فكيف لي أن أجمع عطرها ونبيذها وبنفسجها ... ناديت عليها فخذلني صوتي ، استعرت عازف ربابة في الحميدية فخانتني أصابعي ... وكم تمنيت لو أن ابن عباد يطلع من إشبيلية ..." (٢) فهو يبث القارئ أشجان نفسه ويدعوه لمشاركته في هذا البث ، ولكن الإطار العام الذي يظهر فيه ضمير المتكلم ليعبر عن بعض مكنونات هذه النفس لا يبعد كثيرا ، فهو يتحدث في شأن من شؤون الأمة ليربط بين مؤاب بوابة الفتح الإسلامي في جنوب الأردن وبين دمشق عاصمة الخلافة الإسلامية .

٢- مقالات السيرة .

إذا كان تعريف مقالة السيرة بأنها المقالة التي يصور فيها الكاتب موقفا إنسانيا خاصا من

---

(١) - خالد الكركي : ورد ورماح : قراءات في البطولة ص ٩
(٢)- خالد الكركي : نسرين .. السفر بين مؤاب ودمشق ، صحيفة الرأي ، ع ١٢٧٦١ ص٤٣

شخصية إنسانية فيعكس تأثره بهذه الشخصية وانطباعه عنها وتكتفي بتصوير جانب أو عدة جوانب من هذه الشخصية ، فقد كثر ورود هذا النوع من المقالات لديه ، فلقد أطال الوقوف بين يدي الشخصيات التاريخية العربية الإسلامية القديمة والحديثة وكذلك الإنسانية وسجل جوانب تأثره بها .

فها هو ذا يقف " بين يدي جعفر الطيار " ليستذكر عبوره البحر مع الجماعة التي هاجرت إلى الحبشة ، وليستذكر زحفه على رأس الجيش الذي توجه إلى مؤتة ليقارع جيوش الروم حتى فقد ذراعية اللتين أبدله الله بها جناحين في الجنة قائلا :" هذا ضريحك غارق في أمواج الضباب الصباحي الذي يغمر سهل مؤتة بالذكرى والحنين ، وهذا هو زمان الرحيل إليه ... مبحر إلى الحبشة يوم هاجرت وصبرت ، وموغل في الدرب من الحجاز إلى مؤتة في كتيبة لا تهدأ حتى تعلن للروم أن أمتنا قادمة لتحرير الأرض ... ويوم علمت أن فتاها ظل يقاتل حتى قطعت يمينه فأخذ الراية بشماله ثم قطعت شماله فضم الراية إلى صدره حتى خر صريعا شهيدا ...." (١) فهو يستذكر الموقفين اللذين هما جزء من روابط محبته لهذه الشخصية ولهذا التاريخ ، وليبشر جعفرا قائلا له :

" يا ذا الجناحين .

ننبئك أن الصادقين ظلوا على عهد يديك ، وخضبوا بالدم أرض اليرموك والقادسية وحطين وأن دما من أيدينا ما يزال ينزف عند أسوار القدس ..."(٢)

وفي موضع آخريفتح دفتر التاريخ ليقلب صفحات منه تحدثت عن واحد من شهداء الوطن الذين سقطوا في حروب الأمة مع الصهاينة ، إنه الشهيد فراس العجلوني حيث يقول في مقالته " من دفاتر الوطن "٢" : " هي تلك اثنتان وعشرون أضفناها يا فتى الشهداء إلى عمر طال بنا ، واجتزنا فيها دروب النفط إلى دروب الجوع والحروب الأهلية ...." (٣) إنه يقف بين يدي هذا الفتى الذي سقط على أرض وطنه ولكن دفاعا عن فلسطين ، ليبثه بعض حال الأمة التي ساءت وليتابع كلامه السابق قائلا :" وكم يعز على أي منا أن يخبرك أن الأرض ما تزال عطشى لدماء التحرير ، وأن الوحدة الحلم تبدو بعيدة ، وقد يرحل ما تبقى من العمر قبل أن تأتي "(٤) إنه خوف مشروع ولكن الأمل لا ينفك حاضرا في نفسه ويدعوه لأن يقول :" قد تحاصر الأمة من زمان إلى زمان ، غير أنها تنهض بهية مثل الأذان الأول في القدس ، عنيفه مثل مواجهتك

---

(١) - خالد الكركي : أوراق عربية ص ٤٣
(٢) – نفسه ص ٤٣
(٣) – نفسه ص ٦٨
(٤) – نفسه ص ٤٣

وزملائك من أبناء الوطن والصهاينة في ذلك الحزيران..."(١)

ويقف كذلك بين يدي شهيد ورمز من رموز الأمة ، إنه عز الدين القسام في مقالته " عز الدين القسام يصعد إلى يعبد " ليخاطب هذه الشخصية قائلا : " ها أنت تنهض في سواعدهم راية لا تنكسر لها سارية ، وفرحا بالتحدي الجديد لا ينضب ، وصوتا يتردد في أرض فلسطين كلها يصعد من جامع الاستقلال في حيفا :" الله اكبر ... الله اكبر " ويعلن في الناس نداءك يوم انطلقت وصحبك إلى أحراش يعبد وأنتم تعلنون أن السيف رهان الأمة الأخير ويجعلون نداء حربنا العادلة ضد الصهاينة صوتا لا يعلو عليه صوت ..." (٢) إنه يقف بين يدي هذه الشخصية ليستذكر دورها في التعبئة للجهاد بالخطابة في مسجد الاستقلال في حيفا ، وليستذكر الموقف الأكثر تراجيدية ، وهو موقف سقوطه شهيدا بعد معركة الشرف في أحراش يعبد ، وليحدثه في إيجاز عن حال الأمة الراهن متابعا كلامه السابق :" هذه فلسطين يا مولاي الشيخ تدخل زمن الثورة/ الرؤية ، ويخرج أبناؤها من تجربة النار والدم أكثر إصرارا على العودة إلى الجذور ..."(٣) .

ولا يكتفي بالوقوف بين يدي الشخصيات التاريخية العربية والإسلامية والوطنية يستلهم البؤر والأحداث الهامة والحساسة من سيرها ، ويسقط إحساساته المنبثقة عن هذا الوقوف على حال أمتنا في العصر الحديث ـ بل يتعدى ذلك إلى بعض الشخصيات العالمية كذلك ، يقف منها ذات الموقف ، فها هو ذا يخاطب مثقفي العالم الأحرار منهم بالذات في مقالته " نداء : إلى مثقفي العالم الأحرار " ليسلط الضوء على مواقف حساسة من حيواتهم ومسيرات نضالهم في أممهم ليربط بين هذه المواقف وقضية فلسطين التي تتعدى كونها قضية خاصة بالعرب والمسلمين إلى كونها قضية كل حر في العالم ليسأل قائلا :"

" أيها المثقفون الأحرار :

أين هو " اللواء الدولي " والذي يقف إلى جانب مناضلي فلسطين ، ويعيد لآفاق الحرية رايات لواء مماثل لكم قاتل إلى جانب أحرار إسبانيا في الثلاثينات ضد الفاشية والقهر ، وظلت ذكريات المثقفين الذين انضموا إليها ، وكتاباتهم عن اسبانيا شعلة تذكر بالمجد والنار والحنين الإنساني العظيم للحرية والعدالة والديمقراطية ... وتصل بين لوركا الإسباني الشاعر الذي ألقى الفاشيون جثته قرب نبع (عين الدمع) قرب غرناطة سنة ١٩٣٩ ، وما نديلا نجم افريقيا السوداء الذي ما يزال أسير سجون العنصريين ... نتذكر اللواء الدولي " في اسبانيا خلف رايه" لوركا " المخضبة

---

(١) ـ نفسه ص ٦٨
(٢) ـ نفسه ص ١١٥
(٣) ـ نفسه ص ١١٥

بعطر الدم الغرناطي .. ومواقف " طاغور " الهندي و" رومان رولان " الفرنسي و" همنغواي " الأمريكي و " جورج أورويل " الإنجليزي ، ونتذكر حضور " أندريه مالرو " الفرنسي إذ قاتل إلى جانب الثوار، وقاد طائراتهم الحربية وترك رائعته الروائية " الأمل " وفيها المغربي العربي " سعيدي " الذي قاتل إلى جانب الثوار ونتذكر " نيرودا " شاعر تشيلي الراحل فنتذكر أمريكا اللاتينية التي تخوض كلها صراعها التاريخي المستمر ضد الامبريالية " "(١) فهو يمر على هذه الأسماء على عجل ويذكر نتفا من مسيرات حيوات هذه الشخصيات العالمية ، ولكن هذه النتف تطوي وراءها أحزانا جساما ونضالات مريرة خاضتها هذه الشخصيات ضد ظلم الإنسان لأخيه الإنسان على وجه هذه البسيطة ، ليذكرهم بجرح من جراح الإنسانية وهو قضية فلسطين التي هي قضية كل حر ذاق طعم الألم .

والأمثلة كثيرة في مقالاته ولكنها تتشابه في العموم بأنه كان يقف بين يدي هذه الشخصيات من تاريخ القومية العربية والوطن والإنسانية جمعاء ليسلط الضوء على أحداث مهمة من حيوات تلك الشخصيات، ويسقط ذلك على حال أمتنا العربية في العصر الحديث وما وصلت إليه من انكسار على الصعد كافة ، أو يبث تلك الشخصيات ويشكو لها من سوء هذا الحال .

٣ ـ المقالة القصصية .

لقد وجد خالد الكركي في المقالة القصصية متنفسا يعبر فيه عما يجول فيها من إحساسات تجاه ما تعانيه الأمة من ظروف القهر وفقد الإرادة في العصر الحديث وسلب الحقوق واحتلال الأرض، فلجأ إلى الشخصيات التاريخية العربية الإسلامية القديمة والحديثة ليبث فيها الروح ويجري معها الحوارات التي تدور على شكل قصص يتنقل فيها الكاتب مع الشخصية من مكان إلى مكان في أطار زمني محدود وتسلسل أحداث ، بحيث يكون الحوار هو العنصر الفني الأكثر بروزا ، ولنا في مقالته " رماح ورايات " مثال واضح على هذا الجانب ، فقد قسم هذه المقالة إلى ثلاثة أقسام وسمى كل واحد منها باسم على النحو التالي :-

ـ رماح ورايات : نص مؤتة .

ـ رماح ورايات : نص بغداد .

ـ رماح ورايات : نص القدس . (٢)

ذلك أنه قد بعث الروح في شخصية شاعر العربية الأول المتنبي وأدار الأحداث في هذه

---

(١) – نفسه ص ١١٢ ، ١١٣

(٢) – أنظر : خالد الكركي : دم المدائن والقصيد : هواجس عربية المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط١ ٢٠٠٠ص ٨١ - ١٣١

المقالات الثلاثة على شكل قصة ، بعناصر القصة الفنية الكاملة من : مكان وزمان وحوار وشخصيات .... ولنا وقفة عند هذا الجانب في الفصل الثالث من هذه الدراسة ، ولنضرب المثال التالي من مقالته " حوار مع عرار " التي نفخ فيها الروح في عدد من الشعراء العرب القدماء ، وأدار حوارا بينهم وبين عدد من شعراء الحاضر عن شاعر الأردن عرار ، حيث يدور الحوار بينهم حتى يصحو الشاعر عرار أخيرا ويشاركهم الأحداث ، يقول :

" يشتد ضجيجهم ، ثم ينقطع الصوت وتهدأ في آخر الليل بنات نعش ، فقد مسهن الوجد ...

من أنت اذن ؟...

ـ أنا بكر بن خارجة عباس ولست جاهليا ... وأنتم من تكونون ... نحن أصدقاء عرار ؟

ـ عرار بن عمرو بن شأس !

ـ لا ، عرار الأردني ...

تتقدم القافلة رويدا رويدا من الدرب المؤدي إلى ضريح عرار ، في المقدمة منها الضيوف : بكر بن خارجة وعرار بن عمرو بن شأس وجرير ... وتلوح في أخرها كوفيات ،/ وما أن تقترب حتى نلمح الهبر وجميل ذياب ومحمود المطلق ... وبقية رفاقه في كوخ الندامى ...

اقترب البدوي الملثم من البردوني ، فقد شاقته هذه الملامح العميقة بالصبر واليأس ... وانطلق صوت محمود ينشد قصيدة في رثاء الهبر ... لكن عرارا لم يجب ... جاء صوت عرار مقاطعا : قسما لن يذهب الضيوف ... !...

ـ لكن الغلاء يا أبا وصفي يمنع ! ... "(١)

حيث يلاحظ توافر عناصر القصة كاملة من حيث السرد والمكان والشخصيات وتسلسل الأحداث ، ولكن الحوار يظل أكثر هذه العناصر بروزا في المقالة ، ذلك أنه يمثل عنصر البوح بين شخصيات القصة ، ولاسيما الشخصيات الحديثة التي يتخذ منها الكاتب وسيلة للتعبير عما يجول في صدره من أفكار وقبول أو رفض مفردات الواقع المعيش في العصر الحديث .

---

(١) ـ خالد الكركي : من دفاتر الوطن ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط١ ١٩٩٩ص ٢١٧ ـ ٢٢٦

ب- المقالات الموضوعية .

وهي المقالات التي يكون فيها الموضوع هو عصب الحديث ، حيث لا يستحب بروز الجانب الشخصي ، لأن الغاية في هذا النوع من المقالات هي البحث عن الحقيقة ، فإذا سمح الكاتب لشخصه وعواطفه بالتدخل في تسيير البحث في المقالة ، فإن الأمانة العلمية ستختل وقد تفقد الحقيقة مصداقيتها ، الأمر الذي قد يؤدي إلى الحكم على المقالة عامة بالفشل ، لذلك فقد أطلق على هذا النوع من المقالات " الموضوعية " لدورانها حول الموضوع وتجلية جوانبه كلها دون تدخل العواطف والجانب الشخصي، إلا بالقدر اليسير المناسب، حتى لو كانت الحقيقة غير مواتية لكاتب الموضوع . وقد توفر هذا النوع في مقالات خالد الكركي ، ويمكن القول إن مقالاته في هذا الجانب قد توزعت على ثلاثة أشكال هي :

- المقالة النقدية
- المقالة التاريخية
- المقالة الاجتماعية .

١ - المقالة النقدية

ونود الإشارة هنا - قبل التعرض لمقالاته النقدية - إلى بعض مؤلفاته في باب النقد ، فقد وضع أكثر من دراسة نقدية ، منها مؤلفه الذي يحمل عنوان " حماسة الشهداء ، رؤية الشهادة والشهيد في الشعر العربي الحديث : دراسة ومختارات " صدرت الطبعة الأول منة سنة ١٩٩٨م ونالت إعجاب كبار العلماء والدارسين حتى قال عنها إحسان عباس : " تتمتع هذه الدراسة الجادة بالاستقصاء والشمول في النظر ، مع استشراف الذرى الفنية الشاهقة في كل مرحلة ... " (١) ، وقد دار موضوع هذه الدراسة حول موضوع ذي أهمية كبرى وهو موضوع الشهادة ، وفي ذلك يقول الكاتب : " هذا بحث في واحدة من أكثر القيم الإنسانية نبلا وكرامة وهي قيمة إسلامية تعكس أفضل ما في شخصية الإنسان ثقافيا وإنسانيا ، وهذه القيمة / المبدأ هي الشهادة ، وهي قيمة كريمة يعززها الشهيد الحاضر الحي .... والبحث محاولة في العبور إلى عالم الشهداء كما يصوره الشعر العربي الحديث .."(٢) .

---

(١)- إحسان عباس : المرآة الصادقة ، تقديم كتاب حماسة الشهداء ، رؤية الشهادة والشهيد في الشعر العربي الحديث : دراسة ومختارات، لخالد الكركي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ط١ ١٩٩٨ ص١٣

(٢) – خالد الكركي : حماسة الشهداء ، رؤية الشهادة والشهيد في الشعر العربي الحديث : دراسة ومختارات ص١٩

وكذلك دراسته " صورة شاعر العربية الأول أبي الطيب المتنبي في الشعر العربي الحديث " هذا الشاعر الذي طالما أثار الفضول حوله حتى غدا أشبه باللغز الذي يحاول الجميع فكه ، وقد أطلق على هذه الدراسة النقدية اسم " الصائح المحكي ، صورة المتنبي في الشعر العربي الحديث : دراسة ومختارات " حيث ركز جهده للبحث " عن صورته وأثر شعره في هذا الفضاء الواسع من حركة الشعر الحديث الممتدة بين إيقاعي المحمودين الكبيرين : محمود سامي البارودي ومحمود درويش ، على مدى هذا القرن العشرين وعقود سبقته في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ..." (١)

وله دراسة أخرى في ذات النطاق أطلق عليها اسم " صورة الإنجليز في أدب أحمد فارس الشدياق " نشرها في مجلة (دراسات : العلوم الإنسانية) التي تصدرها الجامعة الاردنية وبحث فيها عن " صورة المجتمع الإنجليزي في كتابات أحمد فارس الشدياق " من خلال كتب الشدياق :" الساق على الساق ، وكشف المخبا عن فنون أوروبا ، و الواسطة إلى معرفة مالطة " (٢) .

ووضع كذلك مؤلفا تحت عنوان " الرواية في الأردن ، مقدمة " فجاء " دراسة في الخطاب الروائي في الأردن تستقصي تاريخ المسيرة في هذا النوع الأدبي : روادها وأهم ملامحها في المضامين والمعمار الفني " (٣) فدرس فيه البدايات الروائية في الأردن وبعض التجارب في القصة الطويلة قبل العام ١٩٦٦م وتناول بعض الروايات التي تصور الهم العربي إثر حرب حزيران عام ١٩٦٧م وبعض الملامح الجديدة في الرواية الأردنية وملامح علاقة العرب بالغرب فيها وكذلك الملامح الأردنية في روايات غالب هلسا وبعض التجارب الأخرى .

أما كتابه " منازل الأرجوان : الشهداء القادة في الإسلام " فهو " محاولة تقرأ مواقف خالدة ولحظات نادرة تحاول أن تعزز المفهوم الإسلامي الخالد للشهادة في مواجهة دعوات الآخر الذي لم يتردد في وصف شهدائنا بأنهم رجال مندفعون أو متحمسون بفعل التحريض ... " (٤) .

أما مقالاته النقدية فإنها تنم عن حس نقدي عميق وجدارة وقدرة نقدية فائقة ، فهو ينظر للتجربة النقدية على أنها " سفر في النص الشعري : لغته وصوره ونظمة وإيقاعه ووحدته وانسجامه وبراءته وألقه ، وهي محتاجه إلى فهم أولي للمناخ الإنساني الذي يتحرك الشاعر فيه

---

(١)- خالد الكركي : الصائح المحكي ، صورة المتنبي في الشعر العربي الحديث : دراسة ومختارات المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط١ ١٩٩٩ص ٥

(٢) - خالد الكركي : صورة الإنجليز في أدب أحمد فارس الشدياق ، مجلة دراسات الجامعة الاردنية : العلوم الإنسانية م ١٢ ع ٣ ١٩٨٥ ص٢١

(٣)- خالد الكركي الرواية في الأردن ، مقدمة نشر بدعم من الجامعة الأردنية عمان ١٩٩٨ص ٧

(٤)- خالد الكركي منازل الأرجوان : الشهداء القادة في الإسلام المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط١ ٢٠٠٢م ص ٢١

.... وإلى فهم النص الشعري من زاوية الإتحاد المتوتر للصنعة مع الرؤية والقول ..."(١) ، مما يوحي بأنه يحتفل بجانبين في نقده للنصوص الشعرية والنثرية : السياق العام والإطار التاريخي والاجتماعي للعصر الذي عاش فيه الشاعر أو الكاتب ، ومدى تأثير ذلك على شخصيته ومن ثم على نصوصه ، وكذلك قراءة المعمار الفني من داخله واستنطاقه لتبيان الجوانب والعناصر الفنية المتوافرة فيه .

وقد تنقل بين النصوص الشعرية والنثرية ، الأمر الذي يوحي بأنه لم يؤمن بالتخصص في نقد أحد الجانبين الشعر أو النثر ، فله عدة مقالات في نقد نصوص نثرية وأخرى شعرية ، والقراءة لتلك المقالات النقدية توحي بأنه كان مهتما بالغاية التي يسعى النص إلى إبرازها وإيصالها والقضية التي يعالجها .

فقد رأى أن رواية الأديب نجيب محفوظ " رحلة ابن فطومة " تبحث في مغزاها عن عدد من الأجوبة ، لذلك أطلق على مقالته النقدية التي تناول فيها هذه الرواية " رحلة ابن فطومة : رواية البحث عن أجوبة " فهو يتحرك بين عناصر الرواية ويحللها ليصل إلى قراءة الغاية التي تسعى لها هذه الرواية ، حيث تدور أحداث هذه الرواية حول شخصية الفتى " قنديل ، الأخ الصغير الذي سماه أخوته ابن بطوطة تذكيرا له بأمه فطومة الأزهري "(٢) حيث تعلم قنديل على شيخه " القرآن والحديث واللغة والحساب والأدب والفقه والتصوف والرحلات ، ومع شيخه هذا يبدأ الفتى طرح أسئلة تمتد على مدى الرواية ، وتأخذه رحلة البحث عن أجوبة لها إلى أماكن مختلفة في العالم يرمز لها نجيب محفوظ بأسماء من مثل " دار الأمان " و" دار الحلبة " و" دار الحيرة " و " دار الغروب " و" المشرق " و" الحبل " ..."(٣) إذ تدفع أحداث القصة الفتى قنديل إلى السفر ، فالشوق " الذي ألح عليه وتلك الأسئلة التي تكاثرت أسعدت أمه وأخافتها ، فهو يتحدث عن الظلم والفقر والجهل وهي تريده أن يدرك أن الله صانع كل شي وله في كل شي حكمة ..... ودفع به شيخه نحو الاعتماد على العقل والتسلح بحرية الاختيار ، وظهرت له " حليمة عدلي الطنطاوي " صورة جديدة غير تلك التي عهد بها وهي تقود أباها الضرير .... وهكذا خانه شيخه وخانته أمه وخانته خطيبته ، وجرب تسلط الحكم على أكثر الأشياء خصوصية لديه ، هذه الأحداث دفعته إلى الرحلة ...."(٤) فهو يقرأ في هذه الأحداث نزاعات وصراعات فكرية تدور في نفس قنديل تؤدي به إلى الرحلة ، حيث يستعرض الناقد رحلته إلى هذه المدن مبتدئا بدار المشرق حين كانت " أحاسيس الأسى تلاحقه ، إذ ذكر أمه وحليمة " فيهوله في هذه المدينة

---

(١)- خالد الكركي : علي الفزاع في ديوانه الخروج من جزيرة الضباب ، صحيفة الرأي ١٩٨٦/٤/١٨ ع ٥٧٧٤ ص ١٠
(٢)- خالد الكركي : رحلة ابن فطومة : رواية البحث عن أجوبة ، صحيفة الرأي ، ٢٦ / ١٠ ١٩٨٤ ، ع ٥٢٤٣ ، ص ١٠
(٣)- نفسه ص ١٠
(٤)- نفسه ص ١٠

" أمران هما العري والفراغ " الأمر الذي يؤدي بقنديل إلى التعليق على ذلك بقوله :" يا له من نظام غريب ، إنه يذكرني بالقبائل الجاهلية ولكنه مختلف ، كما يذكرني بملاك الأراضي في وطني ولكنه مختلف أيضا ، جميعها تمثل درجات متفاوتة من الظلم ...."(١) .

ثم يرحل قنديل إلى دار الحيرة ويقيم فيها مدة من الزمن حيث تقع الحرب بين دار المشرق ودار الحيرة وينتصر جيش دار الحيرة ، فيدبر له حاكم الدار المنتصرة " تهمة الطعن في دين الحيرة ، وحكم بالسجن مدى الحياة ... وخرج قنديل من السجن يرافقه الجدب والخيبة وإصرار عميق على الاستمرار في الرحلة إلى دار الحلبة ..."(٢) التي تدخل بدورها في حرب مع دار الحيرة فتنتصر عليها وتتوجه " إلى دار الأمان بإلغاء الاتفاقية التي بينهما ، وعندما لم يفهم قنديل ذلك قالوا له ان تحرير البشر أهم من هذه القشور ..." (٣)

وعندما سافر إلى دار الأمان وجدها " نظيفة ضخمة البناء ، لكنها مهجورة لأن كل الناس في أعمالهم ، الجميع متساوون والحدائق متوافرة والصورة العامة تجسد المساواة والنظام والجدية .... وتذكر أن أمته يفترسها الجهل والفقر والمرض ، يقول قنديل : " إن لدار الحلبة هدفا وقد حققته بدقة ، وإن لدار الأمان كذلك هدفا وقد حققته بدقة ، أما دار الاسلام فهي تعلن هدفها وتحقق آخر باستهتار وبلا حياء وبلا محاسب ..."(٤) وهكذا يكمل قنديل رحلته بين هذه الدور ليقرأ خالد الكركي فيها رمزا يتمثل في الصراعات بين هذه المدن والاختلافات بين طبائعها حيث يقارن البطل بينها وبين داره .

فهو يقرأ إذن في تنقل البطل بين هذه المدن غاية نجيب محفوظ ورؤيته الفلسفية في الوقت الذي لم يكن صعبا على نجيب محفوظ " أن يبحث في الواقع عن معادل لكل من هذه الرموز وقيامها على أنظمة قائمة بينة " (٥) فهذه المدن تمثل في نظر خالد الكركي رموزا لها معادلات موضوعية من الواقع .

ويتطلع خالد الكركي كذلك في قراءته لراوية نجيب محفوظ " الباقي من الزمن ساعة " إلى علاقة البناء الفني للرواية كذلك بالسياق الخارجي والغاية منها ، حيث يجد أن الروايات العربية الحديثة تثير أسئلة منها " ما هو حول المضمون وعلاقة الرواية بالسياسة والفكر والتوجيه "(٦) ليخرج بأن هذه الرواية " تعرض تاريخ مصر السياسي منذ معاهدة سنة ١٩٣٦ حتى معاهدة

---

(١)- نفسه ص ١٠
(٢)- نفسه ص ١٠
(٣)- نفسه ص ١٠
(٤)- نفسه ص ١٠
(٥)- نفسه ص ١٠
(٦)- خالد الكركي : نجيب محفوظ مفكرا ، في روايته الباقي من الزمن ساعة ، صحيفة الرأي ١٩٨٥/٢/١ ع ٥٣٤١ ، ص١٢

كامب ديفيد ، وتشير بوضوح إلى العلاقات بين " الوفد " والحكومات المصرية بعد الثورة ، وكذلك علاقات هذه الحكومات بالإخوان المسلمين ..."(١) حيث يقسم قراءته هذه لعدة مرحل تاريخيه على النحو التالي :

- مصر قبل الثورة
- ثورة ١٩٥٢
- حرب ١٩٦٧
- وفاة عبد الناصر
- عهد السادات ، العبور والانفتاح والمعاهدة

ويقرأ الناقد فيها تتابع الأجيال وتمثيل الشخصيات للتوجهات السياسية التي تنقسم ما بين وجهة نظر تمثل الإخوان المسلمين ووجهة نظر تمثل حزب الوفد ، ووجهة نظر تمثل الحكومات المتتابعة ، وصولا إلى التيار القومي الناصري ،فهزيمة العرب في عام ١٩٦٧ ثم عهد السلام مع إسرائيل الذي أدى إلى رحيل السادات .

ويعود لينظر في رواية أخرى لنجيب محفوظ وهي رواية " يوم قتل الزعيم " من ذات الزاوية ونبض الحس النقدي ، باحثا عن المغزى الذي تدور أحداث الرواية في رحابه ، فهو ينظر إلى هذه الرواية على أنها " رواية قصيرة تقع في سبع وثمانين صفحة وتقوم على اثنين وعشرين صوتا يحمل كل منها اسم شخصية من شخصيات هذا العمل ، وقد يتكرر صوت الشخصية غير مرة ، ويأخذ شكل الخطاب بضمير المتكلم أو الحوار مع صوت آخر ، أو ضمير الغائب ، غير أن مجالا واحدا يجمع الشخوص ، وهو عائلة مصرية من الطبقة الوسطى تجد نفسها في غمرات تحولات الإنفتاح وتتخذ مواقف مما يحدث ، تختلف بين الجد (محتشمي زايد) وابنه (فواز) وحفيده (علوان) ورندة سليمان مبارك وأنور علام خطيبها الانتهازي الذي أخذها من علوان ودفعه إلى سناء (شقيقة أنور) ..."(٢) ليقرأ في حراك هذه الشخصيات إثارة لقضايا جديدة " لا ترتفع إلى حد السؤال الفلسفي كما في بعض أعماله في الستينات ، بل تقف عند حد الاجتماعي - السياسي في حركة الحياة في مصر بعد ١٩٦٧ ..."(٣)

هذه أمثلة من بعض مقالاته النقدية في قراءة النثر في ثلاث روايات لنجيب محفوظ ، أما الشعر فله معه وقفات كثيرة يتحدث في الكتب التي أشرنا اليها وفي بعض المقالات ، فهو يقرأ في

---

(١)- نفسه ص ١٢

(٢)- خالد الكركي : قراءة في رواية نجيب محفوظ " يوم قتل الزعيم ، صحيفة الرأي ، ١٩٨٨/١٠/١٨، ع ٦٦٧٠ ص١٨

(٣)- نفسه ص ١٨

مقالته " علي الفزاع في ديوانه : الخروج من جزيرة الضباب " أن قصائد هذا الديوان الأربع عشرة يكتنفها عنصر فني يشيع فيها وهو عنصر " البوح " فهو يقرأ في قوله :

" وحيدا في زوايا الحزن
أطرق بابك المختوم بالسحر
وأسلوب روحي الولهى
عذابات من النجوى
في بيت من الشعر "

يقرأ فيها عذوبة بسيطة يبدأ بها الشاعر ديوانه في القصيدة التي حملت عنوان الديوان " الخروج من جزيرة الضباب " حيث " يتحول القلب الشراع التائه في مهب الريح إلى نبض يعشق الرحيل ، وفضاء الرحيل عيناها ، والبوح المباشر ولغته الشفافة "(١) حيث يستمر عنصر البوح هذا ممثلا المحور الذي تدور حوله قصائد الشاعر الأردني علي الفزاع في ديوانه هذا حسب ما يقرأ خالد الكركي، فهو بهذا ينهج ذات المنهج في قراءته للنصوص النثرية التي مرت بنا ، وهو البحث عن المغزى والغاية التي يهدف النص إلى إيصالها للمتلقي .

أما قراءته لديوان الشاعر الأردني فايز الصياغ في مقالته " قراءة في ديوان فايز الصياغ : الحب مثلا وقصائد أخرى " فانه يقرأ فيه أنه لا ينتمي " إلى المدرسة العامودية ، لكنه لا يغفل التأكيد على الإيقاع والقافية وهو أقرب إلى مناخ الستينات المشتعل رومانسية وجمالية منه إلى مناخ السبعينات والثمانينات المشتعل بالرمز التراثي العربي ، والحريص على الخطاب الفكري الموغل في الكلاسيكية أو المندفع في مناخ التجريب (٢)

ويقرأ فيه كذلك أن قصائده تقدم " بالإضافة إلى الأسئلة بعدا ثقافيا تراثيا تمت الاستفادة منه بوعي ، فهو يوظف أسطورة الهامة العربية القديمة وهي مرتبطة بالتفسير الجاهلي للنفس والموت ..."(٣) ويقرأ فيه كذلك " أن رؤية فايز للمرحلة والحياة رؤية وجدانية ذاتية ، وهي على الرغم من ذلك مقدمة في إطار جمالي وان كانت تصل إلى وجدان المتلقي بدهشة منكسرة حين يغلق الشاعر نوافذ الأمل ..." (٤) بمعنى أنه هنا يجيل نظره في المعمار الفني لقصائد هذا الديوان محاولا الخروج بالرؤية التي يسعى الشاعر إلى إيصالها إلى المتلقين ، هذه الرؤية

---

(١)- خالد الكركي : علي الفزاع في ديوانه الخروج من جزيرة الضباب ، صحيفة الرأي ١٩٨٦/٤/١٨ ع ٥٧٧٤ ص ١٠

(٢) - خالد الكركي : قراءة في ديوان فايز الصايغ : الحب مثلا وقصائد أخرى ، صحيفة الرأي ١٩٨٩/٢/٣ ع ٦٧٧٨ ص٩

(٣)- نفسه ص ٩

(٤)- نفسه ص ٩

الوجدانية الذاتية التي تقدم في إطار جمالي هو إطار العناصر الفنية في الإيقاع الموسيقي واللغة العذبة والإحساسات المرهفة .

٢ـ المقالة التاريخية

أما المقالة التاريخية فنستطيع أن نضرب عليها مثالا مقالته (صلاح الدين الأيوبي : البطل في صورة إنسان) التي شكلت المقطع الثاني من كتابه (ورد ورماح : قراءات في البطولة) حيث حاول الوقوف في حضرة هذا القائد المحارب ومؤسس الدولة الأيوبية ، إذ كانت " الآراء في مجملها تبجل شخصيته ، إلا من كان صاحب هوى ، سواء أكان في زمانه البعيد أم من أهل زماننا القريب ، وهذا أمر طبيعي ومتوقع عند الحديث عن " إنسان "..."(١) وهذه الأهواء هي التي دعته للبحث في شخصية صلاح الدين الايوبي الإنسان ، فتناول الحديث مصادر الكتابة عنه وملامحه وغيرها من الجوانب التي تتعلق بشخصيته ، مقلبا الروايات والأخبار عنه وممحصا ، بهدف الوصول إلى الحقيقة التي ينشدها .

ومن الأمثلة التي يرى البحث أنها تصلح مثالا على مقالاته الاجتماعية التاريخية مجموعة مقالات نشرها ضمن كتابه " من دفاتر الوطن " وتحمل العناوين :

ـ الوطن : الروح والرؤية .

ـ الشخصية الوطنية للدولة الأردنية (١) .

ـ الشخصية الوطنية للدولة الأردنية (٢) .

ـ الأردن ١٩٨٥ ـ ١٩٩٥ : رؤية شخصية .

حيث يتناول في المقالة الأولى مفهوم الوطن كما يراه ، ثم عناصر تماسك المجتمع الأردني التي رآها تتمثل في " أرواح آهله المتجانسة ، حضارة ولغة ورؤى ودفاتر تاريخ وكبرياء ...." وفي " حركة وجوده التاريخي والمعاصر ، وهي حركة تاريخية ودينية وقومية ونضالية وثورية ، تجمعت كلها في شعبه وفي قيادته فتشكلت من وحدة الروح وتاريخية الوجود وشرعية القيادة " الأمر الذي أدى به إلى أن يصف هذه الحالة من التماسك والصلابة بأنها " هي التي أسعفت الوطن أن يظل شامخا وموحدا عزيزا ...."(٢)

---

(١)ـ خالد الكركي : ورد ورماح : قراءات في البطولة ص ٤٤

(٢)ـ خالد الكركي : من دفاتر الوطن ص ١٠ ، ١١

ويمضي يرصد عوامل وعناصر هذا التماسك . ثم يتحدث بعد ذلك عن روح القومية العربية التي سايرت هذا الوطن على امتداد تاريخة المعاصر مذ كان امارة إلى أن أصبح مملكة ، ذلك أن " صورة الدولة العربية لم تغادر أذهان الأردنيين ، وما مشروعات سورية الكبرى ، ووحدة الضفتين ، والاتحاد الهاشمي إلا الرجع المستعاد من ذلك الحلم...." (١) . ثم يتناول في ذات المقالة بعض الشؤون حول الديمقراطية وحال الطبقات الاجتماعية والسلام العادل والدائم والشامل وبعض شؤون الثقافة والاعلام .

إذن فهذه حدود نوع المقالة كما رآها البحث في جانبيها الذاتي والموضوعي مع مراعاة الاختلاف في نبرة الحديث وأسلوب التناول والطرح للقضايا تبعا لهذا الاختلاف .

ب- خصائص المقالة عند خالد الكركي

١- التوسع في شكل المقالة :

إذ أخذت المقالة عند خالد الكركي أكثر من شكل ، وإن اتصف العدد الأكبر منها بالقصر والايجاز لكونها كانت تنشر على صفحات الجرائد الضيقة المساحة بالطبع – إلا أننا نجد مقالات مطولة ، فالمتصفح لكتابه " أوراق عربية " الذي يحوي أكثر من مئة وأربعين مقالة أدبية ، يجدها يغلب عليها القصر بحيث لا يتعدى عدد صفحات الواحدة منها الثلاث إلى أربع صفحات ، لكن كتابه " ورد ورماح : قراءات في البطولة " يتكون بالكامل من ثلاث مقالات ، وكذلك كتابه " تحولات الرجل اليماني الذي يتوزع على ثماني مقالات .

٢- موسوعية الثقافة لديه :

يجد المتصفح لمقالاته الأدبية زخما ثقافيا ، ولعلنا نتبين هذه الخاصية بشكل موسع لدى حديثنا عن توظيفه للتراث في هذه المقالات في الفصل الثالث من هذه الدراسة ،إذ نجده يوظف آيات القرآن الكريم ، والأشعار : الأبيات وأجزاء الأبيات والنتف والقصائد ، والمقاطع الغنائية ، وعناوين الروايات العربية ، والأحداث التاريخية ، وأسماء القادة والأبطال والمعارك ، كل هذا يوحي بموسوعية الثقافة لديه ، ولنستمع إليه في المقاطع التالية من مقالته " سهرة انتخابية مع عرار " حيث يقول : " كنت أقرأ أوراق عرار السياسية ذات مساء انتخابي ... فأنشدت :

---

(١)- خالد الكركي : من دفاتر الوطن ص ١٤

كلانا على وجد يبيت كأنما بجنبيه من مس الفراش قروح

... فرددت قول مظفر " إن الواحد منا يحمل في داخله ضده " ... " (١)

٣- صدق العاطفة لدى خالد الكركي

هذا الجانب الذي كان له دور كبير في مد مقالاته بالطاقة العاطفية القوية المؤثرة في القارئ ، كما سنلاحظ في الفصلين التاليين من هذه الدراسة ، وقد توفرت له هذه العاطفة الصادقة من إيمانه العميق بأمته العربية ووطنه : تاريخا وحاضرا ولغة ودينا وواقعا مؤلما ، أدى به إلى الانفعال بهذا الواقع والتأثر والتأثير في المتلقين ، يقول في مقالته " ما لنا كلنا جو يا رسول " : " إنها أزمة ، وكأن الأمة لا تريد أن تتوحد ، والدول القطرية تسعى إلى تجميل نفسها بالحديث عن الديمقراطية ، ولا نية لديها لمواجهة الأسئلة الكبيرة ... " (٢)

٤- القاموس اللغوي الخاص به :

تميز خالد الكركي بلغته الخاصة به التي سيتم التوسع في الحديث عنها في الفصل الثالث من هذه الدراسة ، هذا الأسلوب الذي يتوزع بين استخدامه للجمل الخبرية والانشائية وبالذات الانشائية لأنه يقصد لإثارة القارئ ، لذلك تكثر في مقالاته الأدبية ألفاظ التنبيه والاستفهام والنداء والأمر والنهي والتحضيض ، هذه الجوانب التي طبعت أسلوبه بطابع انشادي شعري متميز ، ولنستمع إليه وهو يقول في مقالته " ورد لأسوار القدس" : " هي القدس .. لا الزمان أغلى ولا الكتابة أصدق ...سلام عليك ، على الذين يقاتلون كي يردوا عنك عتمة الليل العنصري ... سلام عليك يوم وصل إليك الفاروق ... ها أنت تطلعين فينا فجرا ألفناه ... وها أنت غاضبة من هذا الكلام ... ويا سيدة المدن ، سلام عليك سلام عليك " (٣)

---

(١)- خالد الكركي : أوراق عربية ١٤

(٢)- خالد الكركي : تحولات الرجل اليماني ص٤١

(٣)- خالد الكركي : أوراق عربية ١٣٢ ، ١٣٣

الفصل الثاني

القضايا والأبعاد

أولا : ـ البعد القومي .

ثانيا : البعد الوطني .

ثالثا :ـ البعد الثقافي .

القضايا والأبعاد

تمهيد .

ليس من الصعب تبين الأبعاد التي تنسرب خلالها القضايا التي تناولها خالد الكركي في مقالاته الأدبية ، ذلك أنه قد عمد إلى تبيان هذه الأبعاد والمحاور لدى وضعه مقالاته بين يدي القراء ، فقد قام أوآخر الثمانينات من القرن الماضي ، بجمع مقالاته الأدبية التي كان قد وضعها حتى تلك الفترة ، ودفعها إلى المطبعة لتخرج في كتاب أسماه " أوراق عربية " يحوي ما يقرب من مئة وأربعين مقالة أدبية . وهذه التسمية توحي بالبعد الذي تنسرب هذه المقالات خلاله ، وهو البعد القومي العربي ، حيث قسمه إلى أربعة اقسام : اطلق على الأول اسم " من دفاتر الوطن " ليحمل هذا القسم مجموعة من المقالات التي تعالج عددا من قضايا الوطن ، الذي هو جزء من بناء هذه الأمة على كافة الصعد ، أما الثاني فقد حمل اسم " لافتات لفلسطين " حوى مجموعة من المقالات التي تتحدث عن شجون قضية فلسطين وحقائقها ، وحمل الثالث عنوان " نفح الطيب من غصن " الأمة" الرطيب" تناول فيه بعض أشجان وقضايا الأمة العربية من هنا وهناك على امتداد رقعة الوطن العربي الجغرافية ومن بعديها الزمانيين : القديم والحديث . أما الرابع فقد كان بعنوان " هوامش ثقافية " تحدث فيه الكاتب عن بعض القضايا التي تدور في فلك الثقافة على المستويين القومي العربي والوطني ، بوصفه أديبا من أدباء هذه الأمة وهذا الوطن ، ولكونه قد شغل منصب وزير الثقافة في وطنه ، وبوصفه أستاذا جامعيا ومثقفا عربيا يعرف خباياها وجوانب من قضاياها .

وقام كذلك بآخراج كتاب له سنة ٢٠٠٣م بعنوان " بغداد : لاغالب الاالله " اشتمل على ست عشرة مقالة تتحدث عن بعض أشجان القضية العراقية التي شكلت جرحا من جراح هذه الأمة الناكئة على امتداد العشرين سنة الأخيرة من القرن العشرين وما تزال كذلك حتى هذه اللحظة .

إذن فقد عمد إلى جمع مقالاته وتدوينها وفق الأبعاد السابقة الذكر مما يوحي بحضور هذه الأبعاد في ذهنه على الرغم من وضعه لهذه المقالات في فترات زمانية متباعدة وفي قضايا وشجون متشعبة ، على حسب تسلسل الأحداث وتواليها في عالم الواقع ، ذلك أنه ابن هذه الأمة ، وهذا الوطن ، يعيش هذا الواقع ويشارك أبناء أمته وأفراد وطنه فيه هذه المعايشة التي أفرزت نتيجتين : أولهما تعدد القضايا التي أعمل فكره وقريحته وقلمه في معالجتها ، مفكرا أديبا ، حتى شملت معظم جوانب حياة الأمة الحساسة على البعدين المكاني والزماني ، ذلك أنه تحدث عن قضايا وطنه الأردن وتحدث بإسهاب في قضيتي فلسطين والعراق ، وامتد به الكلام ليشمل حديثه

شذرات عن مصر والسودان والخليج العربي ومغرب الأمة ومشرقها ، وعلى الصعيد الزماني فقد كانت قضاياالأمة حاضرة في وجدانه على امتداد تاريخ الأمة الحافل بالعزة والكرامة ، وعلى امتداد حاضرها الحافل بالعزة والجراحات التي ولدتها معطيات الزمان الحديث .

أما ثانية النتيجتين فقد كانت صدق عاطفته التي تنبعث من إدراكه لتاريخ الأمة وإيمانه بعظمتها وعدالة قضاياها في العصر الحديث ، حيث اصطبغت مقالاته كلها بصدق العاطفة ، فاندفع لذلك يكتب بقريحة متوهجة تسعى إلى إشراك القارئ في جو الموضوع وعاطفته الصادقة كما يقول نبيل حداد : " إن كاتب المقالة الأدبية هو " مؤلف " طموح يسعى إلى أن يستولي على وجدان متلقيه ، بحيث يحتل نصه أقطار هذا الوجدان لأطول مدة ممكنة "(١) وقد نجح الكركي بالفعل في احتلال أقطار هذا الوجدان لأطوال مدة ممكنة بالفعل ، نتيجة لهذا الإيمان بقضايا الأمة وهذه العاطفة الصادقة ، وانطلاقا من امتلاكه الأسلوب الجميل ، والشخصية المستقلة في الكتابة ، فالكتاب " يختلفون باختلاف تكوينهم النفسي والفكري والاجتماعي والثقافي ، ويختلفون باختلاف تجاربهم ، ويشكل الأسلوب جزءا أساسيا من تكوين البشر ، مما يؤثر في سلوكياتهم وأشكال تعبيرهم "(٢) .

ولم تنحصر مقالاته الأدبية في الكتابين السابقي الذكر فقط ، فهناك عدد غير بسيط منها منشور في الصحف والمجلات ، بالإضافة إلى مؤلفات آخرى له ضمنها بعضا من مقالاته الأدبية مثل كتابه " دم المدائن والقصيد " فبالإضافة إلى الدراسات التي وضعها من قراءات لبعض الكتب والمؤلفات ، وكذلك بعض الندوات والمحاضرات التي ألقاها ، فإن كتابه هذا لايخلو من مقالات أدبية موجهة لمؤتة وبغداد والقدس ، ضمنها في الجزء الثاني من هذا الكتاب الذي يقع في أربعة أجزاء .

وبشكل عام فإنه يمكن للدارس أن يتناول مقالات خالد الكركي على حسب الأبعاد التالية :

أولا : ـ البعد القومي .

ثانيا : ـ البعد الوطني .

ثالثا : ـ البعد الفكري والثقافي والاجتماعي

---

(١) ـ نبيل حداد : في المقالة الأدبية : الدكتور خالد الكركي نموذجا ، ضمن " فن المقالة في الأردن " ص ٦٤

(٢)- صالح أبو إصبع ومحمد عبيد الله : فن المقالة ص ٢٦

أولا : ـ البعد القومي .

لايكاد الحس القومي العربي يفارق خالد الكركي على امتداد مقالاته البتة . حتى ليمكن وصفه بأنه كاتب عربي قومي أصيل من الدرجة الأولى ، فهو المثقف الملم بآداب هذه الأمة وحضارتها وتاريخها القديم والحديث ، المؤمن بقضاياها ، لاينفك يخاطب رموزها التاريخية والحضارية من أسماء قادة ومدن ومعارك وقرى وعلماء وشهداء وأبطال ، حيث يمكن القول هنا إن الحديث في هذا الجانب يمكن أن يتوزع في ثلاثة محاور رئيسية هي :-

أ- قضية فلسطين .

ب ـ قضية العراق .

ج ـ قضايا الأمة بشكل عام .

وهي كالتالي .

أ- قضية فلسطين .

تشكل مقالاته الأدبية الثلاثة والعشرون التي تتحدث عن قضية فلسطين ، والتي أدرجها تحت عنوان " لافتات لفلسطين " فشكلت الجزء الثاني من كتابه " أوراق عربية "- تشكل دليلا واضحا على حضور هذه القضية في وجدانه وإيمانه بها ومعايشته لها ومشاركته أهلها جرحهم وأساهم فهو لاينفك يخاطب :

- مدنها وقراها .

- أبطال العروبة والإسلام ، القادة الذين حرروا أرضها ، وشهداءها ..

- إنسانها الفلسطيني

- واقعها اليومي .

فهو يستهل هذه المجموعة بمخاطبة أهم مدائنها وعاصمتها وزهرة المدائن : القدس ، في مقالته " العبور إلى القدس " مع ما يحمله هذا العنوان من أمل في تحرير أرضها والعبور إليها قائلا : " كنت أمد يدي إليها ، وكان الصباح حنينا يسافر نحو الزمان الذي ظل فينا من لحظة تاريخنا الأول في القدس إلى لحظة عبورنا القادم للنهر في الطريق إليها .."(١) فلحظة العبور تشكل في مفهوم الكاتب حقيقة آتية لامحالة ، لذلك فإنه يدعو إلى فتح بعض صفحات التراث واستذكار بعض أسماء الرموز ، لعلها تثير في نفس القارئ العربي الحمية للعبور إليها قائلا : " فألمس (ديوان الحماسة) الذي بدأنا قراءته قبل سنين .. وأدعو إلى حفظ (باب الحماسة) منه ، وأفتح باب رثاء المدن في ديوان الشعر العربي ، فلا أجد فيه غير البكاء ، وليست القدس

---

(١) ـ خالد الكركي : أوراق عربية ص ٩٥

موضوع قصيدة حزينة فقط .. وأعيد على قومي النداء ، ونذكر صلاح الدين ، ونذكر مؤتة واليرموك والكرامة..."(١)

وليست القدس هي الحاضرة في وجدانه فقط ، فها هو ذا يستحضر مجموعة من الرسائل والمخاطبات التي كان صلاح الدين الايوبي يرسلها إلى قادة جيوشه أو إلى خليفة المسلمين في بغداد أو يستقبلها منهم - من عدد من مصادر التاريخ وعكا هي مدار الحديث فيها ، في مقالته " عكا بين يدي صلاح الدين " قائلا :

" يا صلاح الدين والدنيا ، ومنقذ بيت المقدس عليك سلام الله ... وبعد .

فهذا البهاء المسطر مجدا في القلوب والكتب والزمان لك ... وهذه رسائل من تاريخ نضالك من أجل عكا .."(٢)

ثم يورد عددا من هذه الرسائل التي يستحضرها لتكون متنفسا لأشواقه المكبوته تجاه فلسطين ، وعكا إحدى حواضرها .

وفي موضع آخر يسلط الضوء على شخصية من شخصيات التاريخ الإسلامي تكاد تكون قصتها قريبة من نسج الخيال ، لولا تكفل مصادر التاريخ بإثبات صحتها ، وهي شخصية أبي محجن العربي الذي أمر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بسجنه إبان معركة القادسية نتيجة معاقرته للخمر ، وكما تقول القصة إنه لما اشتد وطيس المعركة فار الدم في جسده ، فتوسل لزوج سيدنا سعد بن أبي وقاص إطلاق سراحه ، وإعطائه فرس سعد " البلقاء" فخاض بها غمار المعركة ، حتى إن سعدا رآه ، فعرف مخايل أبي محجن والبلقاء فيه وفي حصانه . وهنا يستلهم الكركي هذه الشخصية في خطابه الموجه إلى مدينة يافا في مقالته " لابد من يافا وإن طال السفر " حيث يقول : " أبو محجن العربي ...

هو سيد عربي فارس شاعر ، فكت قيوده يوم القادسية سيدة عربية ... وقال الذين تابعوا رحلته في الوجدان العربي ، إنه ظل يقاتل أعداء الأمة ، وظل يمتد رمزا للفرسان والشعراء ، حتى زمن عبد الرحيم محمود الذي تردد صوته في زماننا : " سأحمل روحي على راحتي " وأنه لم يدخل في حروب أبناء العم ، وقد سمعوه يعلن أنه متوجه إلى بلاد الشام في صحبة خالد والقعقاع ، كي يحارب في فلسطين ، وأنه يكاد لا يصدق أن اليهود قد احتلوا شبرا واحدا منها ...

أبو محجن العربي واقف عند حدود الحجر والنار والصبر ، راحل في أقاليم الأمة التي يعرفها بأسمائها الأولى في زمن الفتوحات العظيمة ... ويسعى إلى فلسطين من جهات البحر والحجر والرمل والشعر وهو ينشد : " لابد من يافا وإن طال السفر " ها هو يمر يلقي السلام ويبتسم هازئا من عجمتنا .."(٣)

---

(١) - نفسه ص ٩٥ ، ٩٦ (٢) - نفسه ص ١٣٩ (٣) - نفسه ص ١٣٠ ، ١٣١

فهو يستحضر هذه الشخصية ليجعل من استحضارها إسقاطا لما في نفسه من شوق إلى عزة الأمة ، واستحياء من حالها التي وصلت إليها ، وأملا بالرجوع إلى يافا ، وهي من حواضر فلسطين الحاضرة في وجدانه على الدوام .

ولا يكتفي الكاتب باستحضار أسماء مدن فلسطين ، بل إنه لاينفك يذكر أسماء قراها ومروجها ، فها هو ذا يتحدث عن إحدى قرى فلسطين في مقالته " قناديل عربية لقرية بيتا " لتضيء قناديلها سماء إحدى قرى الأردن الصغيرة قرية " العدنانية " التي تربض على سفوح جبال الكرك ، حيث يرتبط حبه لبيتا ، بحبه للعدنانية ، وحبه لفلسطين بحبه للأردن قائلا :

" بيتا " النجمة العربية الطالعة من أرض فلسطين ... أقرا أخبار " بيتا " ويتلفت القلب إلى قرية جنوبية كانت حلم شبابي ، يوم كان ، فأحس في روحها ذلك الفرح العربي عندما يقول الوطن " لا" في وجه الأعداء ... أتلفت إلى " العدنانية " التي تفتح عينها كل صباح منذ خمسة عشر قرنا على سهل مؤتة ، فترى حلم اليقظة رايات وخياما وسيوفا وخيولا تقاتل الروم ..."(١)

وهكذا تظل فلسطين ، حاضرة في وجدانه ، تستنجد بكل معاني ورموز العزة العربية في هذا الوجدان ، طلبا لتحقيق حلم الكاتب بتحريرها .

هذا عن مدن فلسطين وقراها وأمكنتها ، أما أبطال العروبة والإسلام الذين ارتبطت أسماؤهم بفلسطين ، فهم حاضرون في وجدانه حضور فلسطين فيه ، وهم كثر ، فذات صباح يفتح صفحات إحدى الصحف الأردنية ليقرأ خبر دفن جثة الشهيد إبراهيم أبو نحل ، وينظر إلى جانب الخبر إلى صورة والدته وهي تصرخ في وجه الجندي الإسرائيلي ، مطالبة بجثة ولدها ، ليخاطب إبراهيم ويقرأ الفاتحة على روحه ، ولتقتحم ذاكرته صورة مماثلة لهذا المشهد وهي صورة دمن الشهيد السوري حسن الخراط الذي كان له فعل عظيم مع المستعمر الفرنسي ،يقول :

" نعم يا إبراهيم " ،

وها نحن نقرا الفاتحة لروحك الطاهرة ونروي حكايتك لأهلنا وأطفالنا ، ونجعل نبأ استشهادك في صفحة إلى جوار خبر عن فتى دمشق الثائر الشعبي الذي كان يعمل حارسا ، وحين اندلعت ثورة سوريا في منتصف العشرينات ، كان واحدا من أمضى سيوفها وأغلى شهدائها .. إنه حسن الخراط الذي دوخ الاستعمار الفرنسي .." ويروي الكركي خبر دفن جثمانه كما رواه محمد سعيد العاص (٢) .

---

(١)- نفسه ص ١٢٦ ، ١٢٧

(٢) - نفسه ص ١٠٧

وإذا كان إبراهيم أبو نحل واحدا من شهداء فلسطين الذين قل من يعرفهم الناس ، فإن شهداءها من المشهورين المعروفين كثر ، رغم ان بعضهم قد دفن على بعد منها ، ولكنهم حاضرون في وجدان الأمة ووجدان خالد الكركي ، بوصفهم نضال لفلسطين ، فصلاح الدين الأيوبي هو واحد من أبطالها " عكا بين يدي صلاح الدين " وسليمان الحلبي " سليمان الحلبي يصل إلى القدس " والشيخ سعد الدين العلمي " ولكن تؤخذ الدنيا غلابا " ولعل من أشهرهم الشيخ المجاهد عز الدين القسام الذي يصعد إلى منبر الأمم المتحدة الماثل في خياله ، ليلقي كلمة فلسطين في جنيف وهو على رأس وفد" جهادي سياسي " يتكون من " القائد عبدالقادر الحسيني ، والشاعر عبد الرحيم محمود ، والمناضل محمد الحنيطي " ولعله لو أراد أن يزيد عدد أعضاء الوفد لبلغ الرقم عشرات الألوف إن لم يزد على ذلك ، حيث يقول رئيس الوفد الشيخ الشهيد عز الدين القسام في بعض ما يقول :

" دم على دم ؛ وحرية وحق ؛ وحجر وكتاب ؛ ووردة ورغيف ، تلك هي فلسطين ...

دم على دم ، ووالله لولا الحق ما بدأنا الحديث بالدم ، ولولا أن جراحنا تعشب بدم أطفالنا ما جئنا إلى هذا المكان ....

أقول لكم باسم الأمة وباسم فلسطين ، وها هو عام من الصبر المر في عمر الانتفاضة يشارف على الرحيل ، وخلفه ألف وعد بالنصر ...

أقول لكم : أيها الناس ، هذي بلادي ، وهذا صباح جديد ، وأقول لكم إن الصهاينة قد طغوا وبغوا لكن ذلك علامة على زوال ليل احتلالهم

أيها السادة :

تلك هي فلسطين على مدى صلاة من ضمير المؤمن ، وعلى مسافة حلم من بندقية ثائر ...

أيها السادة :

إننا نفتح النوافذ أمام كل ما هو إنساني ووطني ، ونمد أيدينا لكل موقف حر كريم ...

أيها السادة :

هذا دمنا يجتمع في الجرح ، فعلينا أن نعود ، فالرفاق يتساقطون هناك .."(١)

فكما حضرت فلسطين في وجدانه بمدنها وقراها ، فقد حضرت باسماء عظماء الأمة وشهدائها وشهداء فلسطين ، وهي حاضرة كذلك في إنسانها الفلسطيني الحي الذي يرزق ، والذي يقاتل ويدافع عن أرضها وعن شرف الأمة كلها ، ولعلنا ندلل في هذا البحث على حضور الإنسان الفلسطيني في وجدانه باستحضار شخصيتي " أم محمود " و" أبو محمود " كدليل على هذا

---

(١) – نفسه ص ١٤٣ – ١٤٥

الحضور ، ورغم إيماء الاسمين بأنهما يشكلان فردين من أسرة واحدة ، فإن الواقع أن هذين الاسمين يشكلان فردين : رجل وامراة من الأسرة الكبيرة ، أسرة فلسطين وشعب فلسطين ، ولا وجود للأسرة الصغيرة هنا .

فهو يستحضر مقطعا من إغنية للمطربة العربية فيروز التي غنت للقضية الفلسطينية ، ليجعل هذا المقطع عنوانا ينقسم إلى قسمين أو حلقتين بعنوان "... وسلامي لكم : يا أهل الأرض المحتلة "١" و " ... سلامي لكم يا أهل الأرض المحتلة "٢" ، ليروي ما تقوله أم محمود من بعض صور معاناة الإنسان الفلسطيني قائلا :

" ـ تقول أم محمود (من مخيم بلاطة) : " دخلوا وبدأوا بضرب من في المنزل ، وأخذني ثلاثة منهم جانبا ، ووجه أحدهم بندقيته إلي ، وتلفظ بألفاظ نابية ... وضربني على رأسي "(١) .

وليبدا بعدها بتوجيه الخطاب إلى الإنسان الفلسطيني المتمثل في صورة " أم محمود قائلا : " ـ يا أم محمود ... يا سيدة الأرض والثورة ، يا ذات السبعين ربيعا ، التي بدأت في خريف وعد بلفور ...

لدم أبنائك أن يمتد حتى يشمل الزرع ، فتزهر سنابله ....

يا أم محمود ... نكتب وننحني لأرادتك ، ولدم شهداء الثورة الشعبية في فلسطين كلها .

يا أم محمود ... تهرب منا الكتابة ، أمام صورة أب في مخيم بلاطة ، ليحمل طفله ذا السنوات الخمس ، معصوب الرأس من جرح صهيوني ، ونعتذرلكم ، للأطفال ، والشجر ، ونسمع ضجيج الحياة فيكم ..."(٢)

ويعود الإنسان الفلسطيني ليظهر على قلمه من جديد في الجزء الثاني من ذات المقالة السابقة الذكر ليخاطبه قائلا :

" يا أهلنا ... يا نحن ... يا دمنا الأول الذي حملناه في رايات الفتح ، ونثرناه في أودية الدنيا ، فأنبت ما يشبهنا من النخل ....

يا أهلنا في فلسطين ... هذا صوتكم الطالع من جمر الحجارة العربية التي تستيقظ من غفوتها ... "(٣)

ويتجدد هذا الحضور في وجدان الكاتب في شخصية " العم أبو محمود " الذي يجعله رمزا لهذا الإنسان ، مقارنا بينه وبين شخصية العم " سام " الأمريكي ، مقارنة بين الحق والباطل ، والجهاد والبغي ، ليقول في مقالته " العم أبو محمود والعم سام " مخاطبا الإنسان الفلسطيني :

---

(١) ـ نفسه ص ٩٧ (٢) ـ نفسه ص ٩٧ ، ٩٨ (٣) ـ نفسه ص ٩٩

" فيا أبا محمود ، ولاقل يا أبا إبراهيم ، ويا أبا خليل ... أيها الرمز العربي الفلسطيني الطالع من غضب أربعين سنة ، من سبعين سنة ويزيد ...

أيها العم العزيز :

شامخا نراك وأنت تستدعي صخور فلسطين فتلين لساعديك ... هذا هو دفاعكم الذاتي عنكم وعن الأمة ، بل عن قيم النضال الإنساني كلها ... سلام عليك يا أبا محمود ... يا أيها العم العزيز ، ولفلسطين المجد ، ولأهلنا التحية ولثورتها النصر .."(١) .

إذن فقد استحضر الشعب الفلسطيني كله في هذين الرمزين ، ووجه له اعتذار الأمة ، وشد من أزره وبارك خطاه ، ليظل الإنسان الفلسطيني حاضرا في وجدانه كأهم أجزاء وأبعاد القضية الفلسطينية ..

ولا ينفك يشارك الإنسان الفلسطيني همه في شؤون حياته اليومية الواقعية ، ويستحضرها في مقالاته الأدبية مثلما استحضر مدن فلسطين وقراها ورموزها وشهداءها وإنسانها ، ولننظر إليه وهو يورد المثالين التاليين في مقالته " وسلامي لكم يا أهل الأرض المحتلة "١" :

- " قال مسؤولون من الأمم المتحدة في غزة ، إن جنود الاحتلال ربطوا شابين فلسطينيين في خان يونس بسيارة عسكرية دارت بهم في أنحاء المخيم "

- " اقتحمت قوات إسرائيلية مستشفيات الإتحاد النسائي في نابلس ، وعالية في الخليل ، والشفاء في غزة ، وناصر في خان يونس ... واعتدى الإسرائليون بالضرب بالهراوات والعصي على الجرحى "(٢)

هذه مقطتفات يلتقطها من على صفحات الصحف اليومية ، ولكن إيراده لها هنا يأخذ بعدا آخر ، إذ تشكل لحمة في نسيج مشاركته للإنسان الفلسطيني وواقع حياته وهمه اليومي في مقارعة الاحتلال .

وفي موضع آخر يجعل صدر مقالته " أغلى الأمهات " خبرين يوردهما مقتبسين كذلك - كما يبدو - من على صفحات الجرائد اليومية يقولان :

خبر ١ : " ... وشهدت مدن القدس ورام الله والبيرة وبيت لحم ونابلس وبيت ساحور مسيرات نسائية .... إلا ان جنود الاحتلال قاموا بتفريق المسيرات باستخدام قنابل الغاز واعتقلوا خمس عشرة سيدة ."

خبر٢:" العدو يعتقل سبع نساء في مخيم الأمعري - يصنعن قنابل حارقة "(٣)

---

(١) - نفسه ص ١٠٤ - ١٠٦ (٢) - نفسه ص ٩٧ (٣) - نفسه ص ١١٧

هذان الخبران يسطران جزءا من مشاركة المرأة الفلسطينية في حركة المقاومة والجهاد ، ليبدأ بعد إيرادهما بصورتهما المباشرة - كما وردا في وسائل الإعلام - بمخاطبة المرأة الفلسطينية التي هي في نظره أغلى الامهات قائلا :

" يا أغلى الأمهات يا صانعات الصبر والخبز والقنابل ، يا أكف الحنان التي تعطر بالغضب وتتخضب بدم مزهر على قميص شهيد ..."(١)

ب - قضية العراق .

ربما تكون قضية فلسطين أكثر القضايا حضورا في وجدان خالد الكركي وعلى صفحات مقالاته ، ولكن قضية العراق كذلك فرضت نفسها في وجدان كل عربي وفي وجدانه ومقالاته ، ذلك أن وتيرة الحدث وألم الجرح فيها زادا وتضخما بشكل مطرد على مدى الربع الأخير من القرن العشرين ، وحتى هذه اللحظة ، فكان طبيعيا أن تأخذ مساحة كافية من الحضور لديه ، وهو صاحب النزعة القومية الواضحة ، ومن هنا يمكن القول إن هذه القضية مرت في كتاباته في مرحلتين :

المرحلة الأولى :- إبان الحرب العراقية الإيرانية .

المرحلة الثانية :- إبان الحروب الأمريكية الإنجليزية عليها .

ففي المرحلة الأولى نظر إلى هذه القضية كجزء من قضايا الأمة العربية في القسم الثالث من كتابه " أوراق عربية " وهو الجزء الموسوم بـ " نفح الطيب من غصن الأمة الرطيب " إذ نجد الكاتب يتحدث عن بعض شجون قضية العراق ، في حربه مع إيران في عدة مواضع من مقالاته التي تتناول شذرات من قضايا الأمة وشجونها ، كجزء عزيز من بلاد العرب ، صاحب تاريخ وحضارة ، ومدافع عن البوابة الشرقية للوطن العربي ضد الخطر الإيراني القادم من الشرق ، ولم ترتفع حدة الخطاب في كلامه عن قضية العراق إلى الحد الذي بلغته لغة الخطاب فيما يخص قضية فلسطين ، إلا في بعض المواقع كمقالته " بلاط الشهداء " التي سيلي الحديث عنها في هذا الفصل ، ذلك أن الحرب بين العراق وإيران كانت حرب ند إلى ند ، إذ كان العراق يكيل الضربات إلى إيران ويتلقاها ، هذا بالإضافة إلى أن الحرب هذه تدور رحاها بين جارين مسلمين ، ولكن الخطاب سيحتد وسترتفع وتيرته في ثانية المرحلتين اللتين أشرنا إليهما : وهي حروبه مع الأمريكان والإنجليز كما سنرى لاحقا .

يقول في مقالته " ألا لا يجهلن أحد علينا ": " إرفع رأسك يا أخي ..." وهذا نداء إلى جيل المد القومي في هذا الزمان الذي كسر فيه الأعداء امتداد الروح القومية في الأرض العربية

---

(١) - نفسه ص ١١٧

... هذا الزمن يحمل صورة المجد ، وبشاعة الردة ، صورة مجد المقاتلين من أجل الأرض العربية في العراق ولبنان وفلسطين وأرتريا ، ورداءة صمت بعض المثقفين العرب ، عندما تكون بصرة الخليل بن أحمد والسياب ، تقاتل بخيلها قوات إيران التي نعتقد أنها تجاوزت حدود المنطق ، ورفضت كل دعوات السلم ... لكل ما تقدم ولأن روح الخليل والمتنبي وأبي تمام والسياب ما زالت تضرب بجذورها في هذا الزمن العربي ، ولأنني لا أتصور رماح قومي إلا منتصرة ، فإنني أعلن أنا المواطن العربي الذي ولد في جنوبي الأردن ومن أسرة " عربية الوجه واللسان " أعلن أنني أقف مع أهلي في العراق : مع المقاتلين والشعراء والكتاب وذلك لسببين بسيطين :

الأول : لأنني عربي يحلم بأن يتحقق له شرف قبول انتمائه لهذه الأمة .

والثاني : حتى أكون كما أراد أبي الذي ناهز الثمانين من العمر ، وإلا فسوف يعلن براءته من كتابتي وشخصي ، وعلى السياب ونخيل البصرة السلام " (١)

فهذه السطور تكشف عن الروح القومية الأصيلة في نفسه ، فهو يربط بين روح القومية العربية التي يشارك العراق فيها إخوته العرب ، وبين أصالة العراق ، كونه مهد ثقافة العرب وحضارتهم ، وبين الجهد الذي يبذله العراق : الإنسان والأرض في مقاومة عدوان إيران ، ولعل هذه الأبعاد الثلاثة التي ربط الكاتب بينها ، تتأكد في عنوان مقالته التالية " البصرة : زمن العرب والشعر والحرب " فهو يربط بين هذه الأبعاد حيث يقول عن البصرة : " لأنها مدينة البدايات في الكتابة والمنهج وحوار العقل ، ولأنها أم الثقافة وملتقى شعراء المربد وموئل الخليل بن أحمد ، ولأنها امتداد جيوش الفتح الأول في الأرض ، لهذا يسعى إليها العربي ..."(٢)

يبدو أن البصرة قد استاثرت بحديثه هنا ، لأنها كانت أكثر مدن العراق تاثرا بنيران إيران وضرباتها نتيجة لقرب موقعها الجغرافي من مرمى المدافع الايرانية ، ولأنها موطن النحو العربي الأول ، وملتقى الشعراء والعلماء العرب ، مثلما هي ملتقى الأدباء والمثقفين العرب في ندواتهم ومؤتمراتهم في العصر الحديث ، رغم صعوبة الظروف يقول : " كنا فيها بين وفود الكتاب والشعراء من أبناء الأمة ، ونثرتنا بين سهولها وشعابها كي نلتقي أبناءها الذين يقاتلون ... هذا زمن البصرة : زمن المدن المقاتلة والنار التي نقبس منها ، واللغة الجديدة التي يحدثك بها المقاتلون ..."(٣)

ولكن هل ستظل البصرة مستاثرة بكلام الكاتب ؟ نقول إنها ستظل ، ولكن ضمن حضور العراق وقضية حربه مع إيران . يقول في مقالته " وللعراق بني عمي مهابته " رابطا بين

---

(١) ـ نفسه ص ١٥٥ ، ١٥٦ (٢) ـ نفسه ص ١٥٧ (٣) ـ نفسه ص ١٥٧

ملامح الدم التاريخية العربية والإسلامية ، الممتدة من جذورها في الجاهلية قبل الإسلام ، إلى ملحمة العراق مع إيران ، وسنحس بحدة الكاتب وغيرته على العراق ، ووقوفه في صفه . يقول :

" إنها الحرب ....

وهذا هو مداها التاريخي الأول ذي قار والقادسية ونهاوند ، وذاك هو صوتها العربي القديم ... وتلك صفحة من حكاية الأمة التي ما كانت تتوانى عن خوضها دفاعا عن الأرض والشرف والمستقبل ... ونحن ندري بأننا كنا سنذهب للسلم لو كان الباب إليه مشرعا وشريفا ، أعني في وضع الحرب مع إيران ..." (١) ، فقد تخير أسماء ثلاث معارك وقعت بين العرب والفرس على امتداد التاريخ منذ الجاهلية حتى الإسلام ، كان النصر فيها حليف العرب والمسلمين ، ليوحي بأن النصر سيكون حليفهم في حربهم مع إيران مثلما كان .

وهكذا نلاحظ كما مر بنا في الأمثلة التي مرت من مقالات الكاتب ، عدم ارتفاع حدة الخطاب ، وذلك في أغلب الظن عائد إلى إحساس الكاتب بندية الفريقين المتحاربين : العراق وإيران وعدم إحساسه بأن الإنسان العربي في العراق مظلوم مقهور ، كحال الإنسان الفلسطيني ، لذلك وجدناه يتغنى بأمجاد العراق ، أرض الحضارة ومهدها وموطن الكتابة والنحو والصرف العربي الأول ، وملتقى علماء الأمة في بغداد والبصرة ، ولكن عندما تكال ضربة موجعة للإنسان العراقي ، فإن ثورة الكاتب تثور ، وذلك عندما أطلق الجيش الإيراني صاروخا سقط على مدرسة للأطفال في بغداد تحمل اسما عظيما مرتبطا بعزة وتاريخ الأمة العربية التليد وهو " بلاط الشهداء " حيث تناثرت جثث الأطفال وتطايرت أشلاؤهم وأقلامهم ودفاترهم ، فترتفع حدة الخطاب في المقال الذي يحمل اسم المعركة واسم المدرسة " بلاط الشهداء "حيث يقول مناجيا بغداد وراسما صورة مؤلمة للمشهد ، ومخاطبا عبد الرحمن الغافقي قائد معركة بلاط الشهداء يقول :

" بغداد ...

يا زمن الأمة المدون في كتاب عتيق ، ويا دم المسيرة المعتقة في دفاتر النصر .. يا دار السلام ودار الحرب ونار القصائد الطالعة من جمر الغضب ، يا أخت البصرة ويا كتاب الرفض ... يا جبل الحنين إلى مجد الأمة ... أي كلام نقول لأبنائك الذين قتل الإيرانيون فرحهم صباح الثلاثاء ...؟ أي عزاء يحمل العربي إلى العربي ، والدم ما يزال يغطي ساحة المدرسة هناك وساحة المسجد في فلسطين ؟ أي روح تستيقظ الليلة في صورة عبد الرحمن الغافقي شهيد الأمة في بلاط الشهداء ...."(٢) ، وتستمر المقالة على ذات الوتيرة من حدة الانفعال الناتجة عن غضبه

---

(١) – نفسه ص ١٧٠ (٢) – نفسه ص ١٩٧

لما حصل لأبناء أشقائه العرب ، الذين تتراوح اعمارهم بين السادسة والعاشرة كما يقول .

هذه صورة مختصرة لتعامله مع قضية العراق في مقالاته الأدبية ، يحزن لحزن الأشقاء ويفرح لفرحهم إذا انتصروا . ولكن هل سيظل الأمر على هذه الصورة ؟ الواقع أن الأحوال ستتغير وستضع الحرب بين العراق وإيران أوزارها ، لتندلع حروب ضارية تصب نارها على العراق من قبل أمريكا والإنجليز وأزلامهما من أنحاء العالم كافة ، لذلك فإنه لن يكتفي بمخاطبة هذه القضية في إطار مقالاته التي تنسرب في البعد القومي ، ويشير إليها من هنا وهناك كما كان الحال في المرحلة الأولى ولكنه سيفرد مؤلفا خاصا سبقت الاشارة إليه في مطلع الفصل وهو كتابه " بغداد : لاغالب الاالله " وسنرى كيف ستتحول الكلمات إلى جمرات تغلي في دم الكاتب ووجدانه وهو يخاطب بغداد والفلوجة والعراق كله .

ففي مقالته " بغداد : قولي لشمسك لاتغيبي " يخاطب بغداد ويتوجه لبانيها أبي جعفر المنصور مخبرا إياه بما فعله بها مغول الزمان الأول ومغول هذا الزمان ، ليربط بين الصورتين ، فالتاريخ يعيد نفسه في كثير من الأحيان ، يقول :" لولا أنني أعرف أنك خالدة وشمسك تشرق من أول الزمان إلى منتهاه لهتفت من جراح أبي الطيب : " أرى العراق طويل الليل مذ نعيت " غير أني لا استطيع ولا غيري بقادر ، أن أصدق النبا وأن أحمل إلى أبي جعفر المنصور خبرا يقول إن جوهرته التي صاغها قد مسها الضر من مغول هذا الزمان ....

سأقول لك أيها العظيم : لقد فعلت أمريكا والإنجليز ما فعله المغول "(١)

ونكاد نحس بحدة الألم ونشيج الغضب والأسى في كلامه خلال إصراره على تكرار اسم بغداد مطلع كل فقرة ، إذ يوزع هذا المطلع ما بين العبارتين " أقول بغداد " أو " بغداد " ولنقتطف مقاطع من هذه المقالة الطويلة ، يقول :

" أقول بغداد .... وأكاد استعيد زمان كل عربي وطئ أرضها ، وقرأ دفاتر نخلها ...

أقول بغداد ... وقلبي على القدس والبصرة والموصل ودمشق ....

أقول بغداد ... ودم الأمة يسري من مؤتة إلى كربلاء ...

اقول بغداد ... وأرى نار جاهلية النفط العربية ، وجاهلية التكنولوجيا الأمريكية تطبق على بغداد،

أقول بغداد .... وأكاد أسمعها تهزأ بهم وهم يكذبون ...

بغداد ... كنت وما تزالين ذاك النداء الذي يهتف بنا ....

بغداد ... أقول واللصوص والخونة يدنسون أرض العراق ...

بغداد ... ستخرج الأمة من صمتها إلى غضبها ، ومن حزنها إلى سيوفها ...."(٢)

---

(١) – خالد الكركي : بغداد لا غالب إلا الله ص ٩ ، ١٠ (٢) – نفسه ص ١٠ _ ١٣

هذه مقاطع من هذه المقالة نقرأها وكأننا نستمع إلى قصيدة شيخ صوفي أو عاشق يأسى لحال محبوبه ويتحشرج صوته بالبكاء والغضب لما حل بعاصمة الخلافة والثقافة والحضارة الإسلامية ، ويأسى لحال بغداد والخونة من أبناء عمومتها " روم من خلف روم " لذلك نجده ينتقل لينعت هؤلاء الخونة ويصفهم بأنهم روم يقفون خلف ظهر بغداد في مقالته " بغداد : وسوى الروم خلف ظهرك روم " لينقل للقارئ مشاهد من خياناتهم ، يقول :

" ولما كان الزمان خؤونا وفيه نفوس ضالة تماهت مع العدو ، وأخذت تتمرغ في وحل الخيانة فإن صورة ابن العلقمي القبيحة لابد أن تظهر في وجوه كثيرة خذلت مدينتنا الخالدة في ساعة الخطر ، أو خانتها حين امتطت في الطريق إليها آليات الغزاة ، وتحولت من وجوه لصوص إلى وجوه تدعي المعارضة والحرص على العراق "(١)

ولا يقف عند بغداد وحدها بل ينتقل ليضع يده دائما على الجرح ويعيش لحظات ألمه وحزنه والفرح بوعد نصره ، فها هو ذا ينتقل ليخاطب إحدى مدن العراق الصغيرة الهادئة المسالمة ، مدينة الفلوجة التي تحولت في لحظة من اللحظات إلى شبح يطارد المحتلين ويضئ الأمل بوعد النصر المرجو والحرية المبتغاة ، ليقول في مقالته التي جعل عنوانها مقطوعة من نشيد الأحرار " الفلوجة : إذا الشعب يوما ....." ليصمت عن باقي البيت لأنه يريد أن يقول :"

" إنها الفلوجة ، وردة الصبر والتحرير ،

وإنها بغداد جمرة الغضا التي تتوهج ضحى وحرية ،...

إنها غضب المدائن القادم على الأمر الواقع ..... وباسمها الغالي سيخرج أبناء أمتنا غاضبين لصد الاحتلال ..."(٢)

اذن فقد بكى في مقالته " بغداد : قولي لشمسك لاتغيبي " وابتهج وغنى للحرية في مقالته " الفلوجة : إذا الشعب يوما ...."

وها هو ذا يسعى إلى إشراك المثقفين العرب القدماء والمحدثين كلهم ، في ما يعيش من مشاعر تجاه العراق ؛ وذلك عندما استحضر شخصية أبي الطيب المتنبي في مقالته " رماح ورايات : نص بغداد " واتجه وإياه إلى رابطة الكتاب ، ليحضرا أمسية شعرية يتحدث موضوعها الرئيسى عن جرح العراق ، حيث يقول :

" ... فمنذ وصوله وأنا أواجهه بالمآسي : إحتلال القدس وسقوط الأندلس وقصف بغداد وتجبر الأمريكان والصهاينة ، ولم أكن قد أعلمته بعد بحال الجولان وجنوبي لبنان .... وصعد إلى المسرح فتى غاضب فصيح ، رحب وأوغل في هجاء المعتدين واستفز المشاعر بوصفه للحال ،

---

(١) ـ نفسه ص ٣٤ (٢) ـ نفسه ص ٧٩ ، ٨٠

خاصة ما يعانيه شعب العراق منذ سنوات ، وكيف تزداد المعاناة العربية كلها ، فالذي يهدم على مرأى من بني العم ركن من أركان حضارة الأمة ، ويا للجاحظ والتوحيدي والبغدادي والنواسي .. وآلاف من الكبار امتدوا بين الكوفة والبصرة وبغداد ، ونسجوا رداء الحضارة العباسية الإسلامية العظيمة ، قبل أن يكتشف كولومبوس بلاد الأمريكان بالف زمان ، يالهم لو رأوا مشهد الدمار لتذكروا خراب الضمائر والعقول والمغول . تقدم أول المنشدين وانطلق صوته :

بغداد ما اشتبكت عليك الاعصر إلا ذوت ووريق عمرك أخضر

.....

أعد ، أعد ، صاح جمهور قدم من كل بقاع الوطن وارتفعت هتافات ضد النظام العالمي القديم والجديد ووحوش التكنلوجيا الغربية ..."(١)

وهكذا فإنه قد عايش قضية العراق في مرحلتيها : الأولى في حربها مع إيران والثانية في حروبها مع أمريكا وحلفائها ، مثلما هو دائما مع قضايا أمته وفي صميم ضميرها النابض بالحيوية كما سنرى في المقطع الثالث من كلامنا عن البعد القومي في مقالاته .

ج ـ قضايا الأمة العربية عامة .

ربما كانت قضيتا فلسطين والعراق الأكثر استحواذا على اهتمامه في هذا الإطار ، إطار البعد القومي العربي في مقالاته : ولكن الأمة كلها تظل حاضرة في وجدانه وكتاباته ، فأينما أحس بواجب الكتابة يدعوه ، توجه بقلمه إلى ذلك القطر العربي أو ذاك أو هذه القضية أو تلك ، مطوفا في أرجاء وطنه العربي الكبير وأرجاء القضية الكبيرة ،ويظهر ان الكركي كان يتنقل باحاسيسه ومشاعره متلمسا اشجان الأمة ومتابعا قضاياها ومتذوقا الآمهااعبر امتدادها الجغرافي الواسع ما بين الجزائر والسودان واليمن إلى غيرها من أرجاء هذا الوطن الرحب ، ولكن بيدو من الأفضل جعل الزمان هو معيار تقسيم محاور الكلام في هذا الموضع لا المكان ، لأنه قد عايش قضية الأمة العربية في أبعادها الزمانية الثلاثة : الماضي والحاضر والمستقبل ، فقد تغنى بماضي الأمة التليد وشكا من حالها الموجع ، ونظر إلى مستقبل النصر والوحدة العربية القادمة .

فهو يعيش في ماضي أمته في معاركها ومع رموزها : مع السيف والخيل ومع كل ما يمت إلى ماضيها التليد بصلة ، فها هو ذا يقول في مطلع مقالته " مصر التي في خاطري ..." : " معركة المنصورة ... تلك ذكرى عطرتها القرون الماضية منذ ان ردت المنصورة حملة لويس

---

(١)ـ خالد الكركي : دم المدائن والقصيد : هواجس عربية المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط١ ٢٠٠٠ص ١٠٤ ، ١٠٥

التاسع الصليبية ، وبالتحديد يوم الثلاثاء الثامن من فبراير سنة ١٢٥٠م ..."

ثم يتبع خالد الكركي هذه المقدمة بإيراد عدة صورمن مقاومة المنصورة لتلك الحملة الشرسة

" صورة أولى : المنصورة تستعد للمعركة

"... فشرع الجند في ترميم دارها وأبنيتها المخصصة سابقا لسكنى العسكر ..."

صورة ثانية : المقاومة

" ... وأخذ المصريون والعربان يطرحون شباكهم في الجهات التي انتشرت فيها بعض الوحدات الصليبية ..."

صورة ثالثة : النارالمصرية .

صورة رابعة : الناس والمعركة ....."(١)

فهو يستقرئ المصادر التاريخية ويحاول أن يعيش في جو هذه المعركة إلى أكبر حد ، وذلك عن طريق نقل صور ومشاهد من هذه المعركة وواقعها وكأنه يريد أن يسقط واقع الانتصار الذي كان على واقع الهزيمه الكائن ليدفعه .

وها هو ذا يقف بين يدي أبي سليمان " خالد بن الوليد " ليخاطبه قائلا له :

" أبا سليمان :

لك المجد والذكرى والقصائد ونوار الأرض التي حررت ... كان سيفك لايفرق بين المرتد والكافر والمحتل ، وهذه هي المعارك التي فتحها سيفك ضد عرب الردة والفرس والروم ، وكأن سيفك لايعرف الغمد .... ونحن نتذكر إصرارك العظيم يوم احتمى بعض الروم في حصون قنسرين ... تظل فينا نحملك أحلاما وكتاب فرح بلون الدم ...."(٢)

هذه مقتطفات من " رسالة إلى خالد بن الوليد " يتغنى فيه بمجده وأمجاد الأمة ليأسى لحال الأمة الراهن ويستنهض فيها خالدا جديدا ، ليستنهض همتها من جديد قائلا له : " قم أبا سليمان ، وسلم على صحبك القادة وأبنائك الجند ، جنداليرموك وجند الأردن وفلسطين وكل أقاليم الأمة ..."(٣)

فهو يعيش في ماضي الأمة لأنه يرى في هذا الماضي عزتها وواحدا من أقوى عوامل توحدها ، لذلك فإنه يتلمس مواضع القوة في هذا الماضي من : انتصارات ورموز وقادة عظام ، لذلك فقد وقف كما رأينا بين يدي إحدى انتصارات الأمة في المنصورة ، وبين يدي واحد من قادة الأمة العظام : خالد بن الوليد ، وسنرى كيف سيقف بين رمزين من رموز مجدها : الخيل والسيف ، يقول في مقالته " الخيول " : " لله تلك الخيل ... خيل أمتي ، تمضي وما قالوا

---

(١) - خالد الكركي : أوراق عربية ص ١٦٠ ، ١٦١ (٢) – نفسه ص ١٨٠ ، ١٨١ (٣) – نفسه ص ١٨١

قفي ، وما برد حر العطش في صدر حصان عقبة ، إلا بماء بحر الظلمات ... ذاك هو زمن الدم والرمل والشيح في بلاد العرب ... ذاك هو زمن النبوة والبطولة والشعر ، وذاك هو زمن خيلنا التي لم نقرأ كتابها وذاكرتها منذ زمان بعيد ... إذن (دع عنك لومي) فما الكتابة عن الخيل هي رمز هذا الزمان .. هذا هو ليل الكتابة والروح دمها والحب رمادها وذاكرة الخيل ما تزال تطارد ذاكرتي ، مثار نقع وسيوفا وأهلة وشهداء ، والليل يزرع الأفق نجوما وأسئلة وصهيل خيول عند غبش الفجر الأول ..."(١)

هذا ما يقوله عن الخيل ، أما السيف فإنه لايجد عبارة أفضل من " السيف أصدق " ليجعلها عنوان مقالته التي سيتغنى فيها بالسيف ، مثلما تغنى آنفا بالخيل ، وكأنه يخاطب محبوبا يهيم في عشقه والشوق اليه ، يقول :

" يا للسيف العربي الصامت المخبأ في الجوانح ... أمد إليه دمي بالكلام العربي الذي يحب ، لكنه يتكئ على وجعه الجميل ... كان السيف يدخل زمان صبوته وبهجته ، ويتذكر طارق بن زياد ، ويدخل في حدائق غرناطة ليلة كان موسى بن أبي الغسان يختار القتال على تسليم عاصمة قومه ...

أي سيوفنا انت ؟ وهذا الدهر سيفان : سيف لنا وسيف علينا ، الذي لنا هو أنت أيها العزيز الغائب الغاضب ، والذي علينا حديد ....

فيا أيها القادم حتى تكتمل دورة زمن الحجارة الغاضبة بالسيوف التي " في متونهن جلاء الشك والريب "

.... يا أيها الوعد بالخيل والرايات والدماء والشهادة ... "(٢)

هذه بعض المقتطفات ، ولو أردنا إطالة الاقتطاف لمضينا معه ولأطلنا مندفعين مع هدير ألفاظه وعاطفته الجياشة ، ولكن مجمل القول إن خالد الكركي ظل يعيش في ماضي أمته ليحرك رموزها من هنا وهناك ، فإذا حرك هذا الرمز ، تفاعلت معه الرموز ، فإذا تحدث لخالد بن الوليد أو عمر بن الخطاب تحركت السيوف والرايات ودماء الشهداء ، وإذا تحدث عن السيف والخيل تحرك مثار النقع والنجوم والاسئلة ودبت الروح في طارق بن زياد وموسى بن أبي الغسان .

هذا ما يتعلق بالمقطع الأول من الترتيب الزماني في مقالات خالد الكركي وتفاعله مع قوميته العربية ، وبالانتقال للحديث عن المقطع الثاني وهو الزمن الحاضر ، نحس العاطفة التي ستتحول من جيشان إلى أسى على لحظة الحاضر والواقع المرير ، حيث نجده يتنقل بين

---

(١) ـ نفسه ص ١٩٩ ـ ٢٠١ (٢) ـ نفسه ص ٢٢٤

نتف من هذا الحاضر ليهزأ به .

ولنتصفح بعض ما يقول عن الزمان الذي يرفضه في مقالته " ما لنا كلنا جو يا رسول " يقول باسم المثقفين العرب : " ذاك أنت تسأل عنا نحن الذين التحقنا بصفوف اليتامى من المثقفين العرب ، بعد أن ذبحتنا السياسة وأهلها حين غلقت الأبواب وقالت إن القيد هيت لكم ، وخلفتنا نتشظى رؤى من الحسرة والعزلة وصدى القبور الموحشة والدروب الوعرة في الزمان الإقطاعي الأمريكي الظالم والعجيب .

ها نحن وقد كتبنا بكاء على فلسطين ، فإذا الدمع لايسعف ، وصرخنا باسم الحرية فردت الجدران صدى باهتا ... وقالوا لنا : إنكم عما يجري في زمان العولمة غافلون ، وها نحن نعيد الأسئلة ونقع في دائرة التكرار ، إنها أزمنة والناس الذين تطحنهم أشكال جديدة من البطالة والفقر والقمع يحتدون ...

إنها أزمنة ، وكأن الأمة لاتريد أن تتوحد ، والدول القطرية تسعى إلى تجميل نفسها بالحديث عن الديمقراطية ، ولا نية لديها لمواجهة الأسئلة الكبيرة في " الحرية " و " العدل " و" المساواة " ... هذا هو حالنا ، فنحن أجيال ظلت تنتظر التحرير ، فأطلت علينا النكبة والنكسة ، ورأت حروبا أهلية من النوع الذي يشيب له الولدان ، وعاصرت زيادة السجون وكبت الحريات ... لذلك كان عليها أن تخرج من ثقافة الصمت لتقول كلاما مختلفا ، أوله عن حقها في البكاء على أسوار القدس وبغداد .."(١)

إن خالد الكركي يرسم بهذه العبارات التي تفيض أسى وحسرة صورة للواقع الذي تعيشه الأمة ، صورة للحظة " الآن " لذلك يكثر استخدامه لضمير المتكلم الجماعة (نا) لأنة يتحدث بلسان الأمة ، وبلسان كل فرد عربي من أقصى بلاد الأمة العربية إلى أقصاها . والبحث ليس بصدد تحليل صحة هذا الكلام من عدمه ، وإنما القصد متوجه إلى مقارنة نبرة الكلام بين المقطعين : الماضي والحاضر . فقد ارتفعت نبرة الحديث وتهدج الصوت عندما كان الحديث يتعلق بالزمن الماضي وانخفضت واختلطت بالأسى عندما تحول الكلام عن لحظة الحاضر ، لذلك فإنه يتابع كلامه السابق ليقول :

" إنها حالات تبعث على الأسى ، وما تحاول الرأسمالية العالمية اليوم هو احتكار ما تراه نافعا لها ، وإن وقعت منه على ضعف في الولاء ، ألقت به من شاهق أو أودعته في غيابة النسيان ، إن زمانا لايعطى فيه الناس حقهم في الخبز والحرية والكرامة والعلم زمن بائس ، إن أنظمة أو

---

(١) - خالد الكركي : تحولات الرجل اليماني ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ط١ ٢٠٠٤ص ٣٩ - ٤٤

حكومات تغيب الشعوب عن الفعل السياسي وتحتكر الحقيقة والقرار هي أيضا بائسة ، وإن فئات تريد العودة إلى الماضي والجمود عنده ، هي أيضا طيبة النية لكنها ساذجة ، وإن الجاحدين الذين يتنكرون للأمة ، ويلقون بأنفسهم في أحضان الآخر المهيمن ، متآمرون "(١)

ذاك كان حال الأمة في زمانها الماضي ، زمن الانتصار والعزة والكرامة العربية الذي سعى خالد الكركي إلى إسقاطه على الحاضر ، وهذا هو حال اللحظة الراهنة من زمان الأمة وواقعها كما ينظر إليه خالد الكركي ، فهل سيكتفي بالإشارة إلى ذينك الزمنين ، ويغفل المقطع الثالث والزمن المستقبل الذي به تكتمل دورة الحياة ؟ الواقع لا ، فهو يستشرف ذاك الزمان من خلال كلامه عن الواقع حيث يقول : " وإن الصراخ الذي لا يتبعه تغير في الواقع نحو الحياة الجديدة بمعاييرها (الحرية ، والعدل ، والمساواة ، والديمقراطية) هو فعل ناقص لا فائدة ترجى منه ... إذن فليشكل الوعي الجديد بسيطا وعذبا .... وليكن المبدعون العرب جديرين بأسمائهم في هذا الزمان القادم ، وهم يحلقون بأجنحة منسوجة من الحرية والعدل وكرامة الإنسان ، ولتكن لغتهم وألوانهم وإيقاعاتهم فرحا بالحياة والمقاومة ورفضا لهذا السواد الذي يمده على أرضنا الغزاة والمستبدون ..."(٢) .

إن لحظة المستقبل تتولد من لحظة الحاضر في لغته ، وتتغير نبرة الكلام لتمتلئ بالأمل المنشود بدلا من الأسى الذي يملأ صوته ، لذلك فقد كتب الكركي للوحدة العربية التي يحلم ويحلم العرب كلهم بها ، حيث يقول في مقالته " الولايات العربية المتحدة " :

" عندما يشتد ضغط العالم على هذه الأمة شواطئها ونفطها وشبابها ، وعندما نرى تراجع المد القومي ، وتصبح لكل طائفة إذاعة ولكل فئة إقليمية ميليشيا ، ولكل حارة حكومة في بعض دول الوطن العربي .... عند هذا نعود إلى الحلم بالأمة الواحدة التي خرجت من الرمل والدم ، وأعطت العالم رسالة عظيمة وحضارة تحترم العقل وكرامة الإنسان .... نعود إلى الحلم القومي لأمة تقوم من أجل الحرية والكرامة لا من أجل أن تكون حاجزا بين القوى العظمى ... إنه الحلم ، فليكن كذلك ما دمنا نطبق الجفن على وعي بالأمة ..."(٣)

إنه التحول ما بين مقاطع الزمان الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل ، في تعامله مع قضية العرب القومية التي ظلت وستظل تعيش كما نقرأها في مقالاته ، وتتحول نبرة الحديث من هدير وانفعال لدى الحديث عن ماضي الأمة إلى حسرة وانكسار وأسى في الخطاب في الحديث عن واقعها ، إلى أمل مشرق متلالئ في الحديث عن مستقبلها المنشود ، لكن هذا المستقبل المنشود يظل حلما :

---

(١) – نفسه ص ٤٥ (٢) – نفسه ص ٤٥ - ٤٧ (٣) - خالد الكركي : أوراق عربية ص ١٧٢

" أقول " الولايات العربية المتحدة " وأنا أدرك أن الطريق طويلة والمعاناة صعبة ... غير أن التخلي عن مثل هذا يكون اعترافا بما هو واقع ... أنا لا أرى السراب ماء ، ولا آخذ من الظما وضوح الرؤيا ، لذلك أغلق السطر الأخير على اسم الأمة وعلى حلمي " بولايات عربية متحدة " تكون نموذجا جديدا للناس في الدفاع عن حرية الإنسان وكرامته ورغيفه وأطفاله ولغته وإرادة الحياة الكامنة فيه "(١) إنه يحلم بالوحدة العربية ، وهذا حلم مشروع لكل عربي شريف يغار على العروبة وأقطار الوطن العربي مثل خالد الكركي ، فثمة " عوامل كثيرة مشتركة بين هذه الأقطار يستوي فيها القطر الفقير المعدم والقطر الغني المتخم ، يتشابه فيها العربي والبربري ، ولا يختلف الدرزي عن الأرمني ... " كما يقول سمير قطامي (٢)

هذا هو البعد القومي كما تراه هذه الدراسة في مقالات خالد الكركي ، توزع بين الأزمنة الثلاثة : الماضي والحاضر والمستقبل ، فهل كان خالد الكركي قوميا فقط واختفى الوطن من وجدانه ؟ الواقع لا ، وسنرى ذلك في حديثنا عن البعد الوطني في مقالاته فيما سيلي من الكلام .

ثانيا : البعد الوطني .

إن حب خالد الكركي لوطنه هو لازمة من لوازم حبه لأمته وتعلقه بقوميته العربية ، ولا غرابة في ذلك فهذا الوطن هو قلب العربي النابض وهو بوابة الفتح الإسلامي وجزء عزيز من أجزائه ، ونحن لا نعني بهذا أن البعد الوطني قد تماهى في البعد القومي ، فقد ظل الوطن حيا في وجدانه دون أن ينفك جزءا غاليا من هذا الوطن الكبير ، وبشيء من التفصيل فإنه يمكن لهذا البحث أن يحدد حضور الوطن في كتابات خالد الكركي في المحاور التالية :

- الوطن : المفهوم .
- الوطن : الإنسان .
- الوطن : التاريخ والتضحيات
- الوطن : الرموز الحضارية

فعلى صعيد المحور الأول " المفهوم " فإنه يضع تعريفا لمفهوم الوطن ، مع أن مثل هذا التعريف قد يبدو صعب الوضع لأن المعاني تكثر وتتبارى في ذهن من سيتصدى لوضع هذا التعريف ولا شك ، لا سيما وأن الوطن شيء عزيز فوق المعاني وفوق كل لفظ يمكن أن يعرفه ، لذلك فإننا سنلاحظ في تعريفه لوطنه تعدد المعاني في هذا التعريف وتعدد الصور الفنية ،

---

(١) – نفسه ص ١٧٢ ، ١٧٣

(٢)- سمير قطامي : من بيدر الحياة مطابع المؤسسة الصحفية (الرأي) ط١ ١٩٩٨ ص ٧

لكن ما يجمعها كلها هو حبه لهذا الوطن الذي يشارك فيه حب كل أبنائه .

فهو يعرفه على أنه " هو الموضوع ، والوطن روح في المكان والزمان والإنسان والوطن مضارب أهلنا ومراح خيولنا وبيادر قمحنا ودفاتر أطفالنا والشمس على حيطانه أجمل منه على حيطان الآخرين ... والوطن نهار ممتد عبر السنين دليل ساكن في ذرى رم وشيحان ... والوطن تراب وعطر ونجيع ..... والوطن في علو شجر الرماح وأعلى بل في علو الرايات وقلعة الربض والصهيل وصلوات المتقين الصاعدة إلى السماء ... والوطن بساط مده الحارث من البتراء إلى دمشق ثم مده موسى بن نصير من دمشق إلى الأندلس .... والوطن قبس من صحابة رسول الله صلىالله عليه وسلم : وحماة رسالته : ذراعى جعفر / وشموخ أبي عبيدة / وسماحة معاذ بن جبل / وصلابة صلاح الدين / وحزم الحسين بن علي /....

الوطن روح نقرؤها ونعرف عناصرها ، فدينها الإسلام المتسامح ولغتها العربية الصافية وشعارها في كبرياء النسر وشموخ العقاب وتحدي العقبات ... الوطن نقوش على جدران صرح الشهيد كتبها بالدم رفاقكم السابقون إلى النصر والجنة ..."(١)

وكأن الكاتب يريد أن يقول إن الوطن هو كل معنى يحبه الإنسان في تاريخ هذا الوطن وأرضه وتضحياته وحضارته وإنسانه وأمله المشرق ، والباحث في هذا المقام لا يقلل من جمال لغته إذا قال إنه لوأراد أن يطيل في تعريف الوطن ، لواصل الكلام إلى ما لانهاية لأنه يتحدث عن معنى يشاركه القراء في حبه وهو" الوطن " لذلك فلا نهاية لحب الوطن ولكنه آثر أن يختار مفردات من حب هذا الوطن ليعرفه بها ، ثم إنه لم يجد أفضل من الحديث عن عناصر تماسك هذا الوطن ، لأن جمال الشيء في ديمومته ولا يوفر لهذا الوطن الديمومة غير التماسك ، حيث يقول : " أعود إلى أوراقي وأحاول الإجابة عن عناصر تماسك هذا المجتمع الإسلامي العربي العزيز فأراها في أرواح أهله المتجانسة ، حضارة ولغة ورؤى ودفاتر تاريخ وكبرياء .... وأراها في حركة وجوده التاريخي والمعاصر ، وهي حركة تاريخية ودينية وقومية ونضالية وثورية تجمعت كلها في شعبه وفي قيادته فتشكلت من وحدة الروح وتاريخية الوجود وشرعية القيادة ..."(٢)

فهو يرى في عناصر التماسك المكمل الأفضل لمفهوم الوطن ولكن هل من الممكن أن يعد من الداعين إلى القطرية وتغليب حب الوطن داخل حدوده السياسية على حب الوطن العربي الكبير ، فيناقض نفسه في حديثه عن البعد القومي الذي ما انفك يظهر في مقالاته ؟ الواقع أن الإجابة لا ، وذلك أنه يرى أن اكتمال وضع مفهوم لهذا الوطن لا يكون إلا باكتمال الجزء

---

(١) - خالد الكركي : من دفاتر الوطن ص ٨ ، ٩ (٢) – نفسه ص ١٠ ، ١١

الكبير من الصورة فهو يقول : " يساورنى إحساس عميق في هذا المكان الكريم أن حوارنا هذا المساء لا يمكن أن يظل أردنيا فقط ، فما من حديث إلا يمتد إلى دروب الأمة التي نحن في القلب منها ، هذا الحوار الذي قد يمتد لقراءة الزمن العربي في الأردن من الأنباط إلى الهاشميين ، يتجه تلقائيا إلى الأمة ، ويحدد أن التاريخ استراتيجية والثقافة رؤية .... أحاول أن أقدم مثلا واحدا لما أقول ، هل يمكن أن ننفي حنيننا إلى اليمن وسد مأرب ، إلى مكة المكرمة وغار حراء ، وإلى دمشق وقبر صلاح الدين ، وإلى مصر ومآذن الأزهر ، وإلى العراق وصوت أبي تمام ... وإلى الرباط وحلب والجزائر ، وقبل هذا كله وبعده .... إلى القدس أقصاها وقيامتها وقبابها ..."(١)

وهنا تكتمل الصورة فقد عرف الوطن ـ كما قلنا ـ في كل معنى يحبه الإنسان الأردني " ولا يكتمل الحديث عن هذه المعاني إلا بذكر عوامل تماسك إنسان هذا الوطن الذي هو جزء من الأمة العربية لاسيما وأن الأردن هو وارث رسالة ثورة العرب التي قامت على أساس وحدة العرب تاريخا وأرضا ولغة إلى غير ذلك من عوامل التوحد . هذا هو الوطن كما يفهمه خالد الكركي .

ويؤكد البعد العربي في تعريفه للوطن في موضع آخر يقول فيه :" هذا وطن عربي كان قدره ، ولعله اختياره ، أن يظل في حالة حركة مستمرة في تاريخنا العربي منذ أن وافته جيوش الأمة في مؤتة واليرموك ونالت أرضه شرف استضافة الشهداء والراحلين من قادة الفتح ، ومنذ أن كان أرض الصراع مع الغزاة الصليبيين ، إلى اللحظة التي أصبح فيها في مواجهة الغزاة الصهاينة " (٢)

هذا هو المفهوم كما عرفه خالد الكركي ، أما الإنسان الأ ردني ، فهو الإنسان الأردني الأول والإنسان الأردني الحديث ، فلطالما تغنىالكاتب بأسماء رموزنا الكبار من قادة الفتح الإسلامي الذين كان لهم شأن خاص مع أرض الأردن ، فكانوا إما فاتحين لها ، أو ممن أستشهد وسقط على أرضها ، أو ممن انطلق في معاركه من أرضها ، فقد تغنى بجعفر الطيار وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحه ، أبطال مؤتة وشهدائها ، وإن كان الأول قد استأثر بجانب أكبر من الآخرين لصلته برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتغنى ببطولات صلاح الدين وأبي عبيدة ، فهؤلاء القادة القدماء هم الإنسان الأردني الأول ، ذلك أن أجسادهم تسكن أرض الأردن ، منذ أكثر من ألف سنة ، وإذا جرى ذكرهم على لسان خالد الكركي فإنه يجري مرتبطا بذكر تضاريس هذه الأرض وأسماء مناطقها ، يقول : " هذا وطن عربي كان قدره ... أن يظل في حركة

---

(١) ـ نفسه ص ١٨

(٢) ـ خالد الكركي : ملاحظات حول الحركة الأدبية في الأردن ، المجلة الثقافية ، الجامعة الأردنية ، ع٧ ، د ت ، ص ٦

مستمرة في تاريخنا العربي ، منذ أن وافته جيوش الأمة في مؤتة واليرموك ، ونالت أرضه شرف استضافة الشهداء والراحلين من قادة الفتح ، ومنذ كان أرض صراع مع الغزاة الصليبيين إلى اللحظة التي أصبح فيها في مواجهة الغزاة الصهاينة " (١) حيث يقول في مقالته التي تحمل عنوان " مؤتة : إضاءات على الروح الجعفرية " : " هذه كتابة على ضريح جعفر بن أبي طالب ساكن المزار ، المطل على ساحة معركة مؤتة ، حيث تبدو له المشيرفة (مشارف) التي لقيتهم عندها جموع هرقل (من الروم والعرب)... وكم جذبنا سهل المعركة إليه ، وأهلنا الكبار يتحدثون عن صباحات تبدي للراني في عين الحلم ما يظنه يقظة ، إذ تظهر ، قبل أن تطلع الشمس من خدر أمها على السهل المبارك .."(٢)

فجعفر يسكن المزار ويطل على سهل معركة مؤتة ، وعلى قرية المشيرفة ملتقى الجمعين ، وتظل الشمس تطلع كل صباح على هذه الروح وعلى هذا الجسد ، ويخاطبه في موضع آخر من مقالة " بين يدي جعفر الطيار" قائلا له : " هذا ضريحك غارق في أمواج الضباب الصباحي الذي يغمر سهل مؤتة بالذكرى والحنين ... هذا ضريحك يسكن السهل العالي من أرض الوطن ، وتلك أخبار الصدام الأول مع الروم تمتد في الوجدان .... يا ساكن ثرى هذا الوطن الذي نحب ... يا سيفنا الغالي على صدر سهل المزار وردا وعطرا .."(٣)

فذكرى هذا البطل تظل ترتبط بأرض الوطن كلما عنت للكاتب هذه الذكرى ، ليتماهى الرابطان والحبان ، حب هذا القائد بحب الوطن . هذا حديث جعفر بن أبي طالب ، أما صلاح الدين فرغم أن جسده لايسكن أرض الوطن ، ولكن ذكراه دائما تتعلق في كتاباته بالكرك التي كان لهذا القائد معها شان ، يقول في مقالته " صلاح الدين في الكرك " :

"صلاح الدين ،

أيها السيد الفارس الممتد بين القاهرة والقدس ودمشق ، إنهض وسلم على الذين يحتفلون بك من بني قومك في الذكرى العظيمة ـ ذكرى حطين ... هاهي الجامعات العربية ومنها الأردنية ، تعقد الندوات عنك وكأنها تتقاسم عطر الذكرى الطالع من كتب التاريخ ، يوم اجتمعت العساكر المصرية والشامية وكنت مقيما بأرض الكرك .."(٤) . اذ تتقاسم العواصم والمدائن العربية ذكرى صلاح الدين ليكون الأردن وتكون الكرك ضمنها تقاسمها شذى الذكرى وعطرها ، وكيف لا ، وقد كان له شأن معها عندما حررها . وهذا مادعاه لأن يطرح سؤالا يقول فيه :" لم لا تخصص الكرك ندوة لصلاح الدين ودوره في تحرير الكرك ؟" سيما وأنه قد كابد حتى حررها

---

(١) – نفسه ص ٦

(٢) - خالد الكركي : ورد ورماح : قراءات في البطولة المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ط١ ٢٠٠٥ ص ٩

(٣) - خالد الكركي : أوراق عربية ص ٤٣ ، ٤٤

(٤) – نفسه ص ١٩

حيث يتابع قائلا: " وكم كانت المحاولات صعبة ، وهو يناجز الصليبيين ليخرجهم من المدينة وقد كانت وما تزال " وعرة المرتضى ، صعبة المحتظى ... "(١)

إذن يظل صلاح الدين حاضرا في وجدان الأردن ووجدان الكرك ووجدان خالد الكركي- إنسان الأردن الأول بما سطر من تضحيات ، مثلما ظل أبطال ورموز الإسلام الأوائل أهل الأردن وأناسه الأولون ، ذلك أنه بوابة الفتح ومرقد القادة الأبطال .

هذا هو حال خالد الكركي مع الإنسان الأردني الأول فكيف حاله مع إنسان الأردن المعاصر ؟ إنه يعيش معه شؤون حياته اليومية ويشاركه شجونها وأحزانها . فهو منهم يفرح لفرحهم ويأسى لأساهم ويشترك معهم بقاسم مشترك أكبر وهو حب الوطن ، يقول مشاركا أهل وطنه بفرح الديمقراطية العائدة بعد غياب ، وآملا أن تغدو واقعا يوميا في حياة كل إنسان ، مثلما يحيا مع ربيع الوطن الطالع من قلب أرضه ، في مقالته التي تحمل عنوان " الربيع والديمقراطية " ، ليوحي هذا العنوان بالأمل المنشود بأن تغدو الديمقراطية نبت أرض الوطن ، مثلما هو الربيع ولتحمل بعدا نفسيا يجيش في صدر الكاتب مثلما يجيش في نفوس الأردنيين وهو الفرح ، حيث يقول : "هذا هو الربيع يختال في السهل والجبل ، وهذه ليالي المدن والقرى الأردنية تطول بأحاديث الإنتخابات التي اقتربت مواعيدها في عدد من النقابات المهنية ، وفي بعض من الاتحادات والروابط والجمعيات والبلديات والأندية ... هذه حالة نضج وصلنا إليها بالتعليم والتجربة الحضارية الجديدة التي ندخل بها الزمن المعاصر ، والتي نرى المجتمع فيها منفتحا على الحرية والحوار والشورى ..."(٢)

إذن ، تختلط نبرة الفرح بنبرة المتحدث الواعي ، الذي يرى هذه التجربة نتاج وعي وتعليم وتجربة حضارية ، يدخل بها الإنسان الأردني الزمان المعاصر ، لينفتح على الحرية والحوار والشورى ، ويقول في موضع آخر عن ذات الموضوع في مقالته " الوطن والديمقراطية " : " هذا الضجيج حول الانتخابات النيابية مهم ، ولنقل إنه دخول الوعي الوطني دائرة العمل السياسي الديمقراطي ... وهذا الضجيج علامة الشوق إلى اكتمال التجربة الوطنية ... سؤال الوطنية الصادقة التي تبصر وتحاسب وتضحي وتلتزم بروح التغيير الطالعة من آلاف القرى والمدارس ومن الجامعات والمعاهد .."(٣)

إن حبه للوطن وللإنسان الأردني ، هو حب المفكر والمثقف الواعي ، ذلك أنه يتطلع إلى التجربة الديمقراطية الوطنية الناشئة بعين الفرح ، ويسمع الضجيج حول الانتخابات فيراه

---

(١) - نفسه ص ٢٠ (٢) - نفسه ص ١٣ (٣) - نفسه ص ٢٧

إشارة لدخول الوعي الوطني دائرة العمل السياسي ، وبهذا تتحقق الديمقراطية الحقة في نظر الكاتب ، والديمقراطية التي تبصر كل ما يدور على ساحة الوطن ، فتحاسب المخطئ وتكافئ المحسن وتضحي لأجل مصلحة الوطن العليا ، وتلتزم بروح التغيير الطالعة المتوجهة نحو انغراس الديمقراطية مفهوما وفكرا وتطبيقا في البيئة الشعبية ، في القرى بين الناس وبين النشئ من طلاب هذا الوطن في المدارس والجامعات والمعاهد .

ومثلما يقف بمشاعره مع بني قومه من الأردنيين لحظة الفرح ، فانه يقف في صفهم في لحظات الشدة وضيق ذات اليد ، لا سيما وأن الأردن بلد صغير قليل الامكانيات ، ولكنه كبير بإرادته وبإنسانه وبايمانه بأنه في صميم القضية والقومية العربية ، إذ مرت بهذا الوطن أوقات فيها من الشدة القدر الكبير على مدى عمر الوطن الصغير ، فوقف في إحدى المرات وقال مستشرفا " الفرج بعد الشدة " : " إن أهلنا قادرون على الصبر ، قادرون على الحلم ، وقادرون بهما وبالعقل والعلم والعدل على تجاوز الأزمات ، فقد اجتاز آباؤنا بنا سنوات القحط في الأربعينات وأمّنوا لنا الرغيف والبندقية والكتاب والدواء ، فإذا وصلنا علم جيلنا بحكمة جيلهم ، وأقمنا جسر الثقة بيننا وبين المستقبل ، وحددنا الغاية والجهة التي نقصد ، فإننا سنقع على خير كريم وقناعات واعية ، وزمان جديد ، إنهم لقادرون على أن يجدوا مخرجا من هذا الضيق وأن يقرروا ملامح المرحلة القادمة من بناء وطنهم ضمن قدراتهم الذاتية وضمن موارد وطنهم ... وبين الصبر والكبرياء وبين كف قابضة على الجمر وكف حاضنة للسنابل .." (١)

إن الثقة والاعتزاز بهذا الوطن وإنسانه ، تملأ صدره وكلماته ، فرغم صعوبة الظرف فإنه يجد في تجربة هذا الإنسان من المحن التي مر بها الأجداد في الأربعينيات من القرن العشرين ، درسا في الصبر وتحمل الصعاب ليستفيد منها إنسان الأردن الحاضر ، وليربط بين حكمة الأجداد وعقل وعلم اليوم ، لتتشكل بهما طاقة تدفعه لتخطي كبرى الصعاب .

وفي موضع آخر يتحسس معاناة الوطن التي تتمثل في معاناة إنسانه في معاشه اليومي ، فيطل الأمل برأسه من بين العبارات التي توحي بالإحساس بالأسى والمعاناة في مقالته " عودة الروح " ليرى فيها عودة الطلاب إلى المدارس والجامعات عودة للروح وتفتحا للأزهار ، رغم معاناة الأهلين في تأمين حاجات الطلاب في هذا المجتمع الذي ترهق كاهله فتوة النسبة الكبرى من أبنائه المتمثلة في الصغار وطلاب المدارس والجامعات والمعاهد يقول الكاتب :" ها أنت والزمان صعب والأسى البهي موشح بصمتك ومخضب بصبرك ... ها أنت تنهض : مليون

---

(١) ـ نفسه ص ٥٠

زهرة تتفتح على مقاعد الدراسة في مدارسك في وقت لاحق من هذا الشهر ، وأنت مشغول بحقائبهم ودفاترهم وأقلامهم ... وعشرات الألوف يحملون إلى الجامعات فرحهم وقلوبهم وأنت مشغول برسوم دراستهم وكتبهم وسكنهم وسفرهم ... ها هم الطيبون الذين أوصلوا مليون بسمة إلى مدارسهم .. انهم معك .."(١)

إن هذا المليون وعشرات الألوف هذه من الطلاب تمثل ثلث سكان هذا الوطن ، إن لم تزد على ذلك ، وهي تشكل ثقلا وحملا على كاهل هذا الوطن الذي يتحسس الكاتب حجم معاناته في تجهيزهم ، ويخاطبه بصفة المفرد المخاطب لأنه يراه جسدا واحدا ممتدا من أقصى بقاع الوطن إلى أقصاها .

وفي موضع آخر تتحول هذه النبرة من نبرة أسى إلى نبرة غضب عندما يحس الكاتب بظلم ذوي القربى من بعض أبناء العمومة من العرب ، من الذين تنكروا لعروبة هذا الوطن وتضحياته في مقالة الكاتب " المعلم " التي خاطب فيها شخص الملك الحسين الراحل طيب الله ثراه عندما كان الوطن كله يمر بمرحلة صعبة ودرجة عالية من الأسى عندما كان جلالته يصارع المرض ، والأردنيون كلهم يصارعونه معه بقلوبهم ، يقول الكاتب بلسان كل الأردنيين : " لقد نثرنا أرواحنا للأمة وما أوغلنا في دم أحد من بني العم ولا خضنا مستنقعات حروبهم الأهلية ، وكنا نقدم ما نستطيع للجزائر إبان ثورتها ، وننشد قسمها في مدارسنا كل صباح ، ونحن الذين حفظنا " حماة الديار ..." و" بلاد العرب أوطاني " وقدمنا أنفسنا معلمين وجنودا على امتداد أرض العروبة ... وكنا وما نزال عند عهد الأمة بنا : نقري الضيف ، وتستفزنا المروءة لكل خير ، وكنا نعلم أطفالنا كتاب الهوى القومي عن القاهرة ودمشق وبغداد والقدس وصنعاء ومغرب الأمة وخليجها ، وصحرائها وهضابها ... وعلمنا هم نكران الإقليمية والتعصب والانغلاق ..فما هي ذنوبنا ! "(٢)

إنها غضبة لأجل هذا الوطن الذي يثق بذاته ثقة مطلقة أنه ما أبدى جانب التقصير يوما في حق أمته التي يتنكر لها بعض أفراد بني العمومة . هذا حاله مع إنسان الأردن الأول وإنسانه الحديث فكيف يقف الكركي من تاريخ الأردن وتضحياته ؟

إن تضحية الوطن ترتبط بمفهومه لهذا الوطن عندما عرفه بأنه " تراب وعطر ونجيع " وأنه " في علو شجر الرماح وأعلى ، بل في علو الرايات وقلعة الربض والصهيل " وأنه البساط الذي " مده الحارث من البتراء إلى دمشق ، ثم مده موسى بن نصير من دمشق إلى الأندلس ،..."(٣)

---

(١) – نفسه ص ٧٣

(٢) - خالد الكركي : من دفاتر الوطن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط١ ١٩٩٩ص ٧٥ (٣) نفسه ص٨

إن تاريخ هذا الوطن يمتد من " حكاية البتراء العظيمة ، حلم الأمة في الزمان القديم بالزهو الذي ما تزال قناديله تتأجج بالضوء وتحتدم بالعنفوان " إنه يمتد من البتراء التي هي " نجمة وعباءة أرجوان وبوابة عطر ... سحابة وكتابة ودم لايهدأ إيقاعه ولا ينام ... والبتراء ... راية ووطن وأهل كرام .."(١)

إن تاريخ هذا الوطن يمتد من زمن التضحيات الجعفرية في سهل مؤتة ، الذي تطلع شمسه كل يوم " غمامة من ضباب تملأ الشعاب غربي مؤتة ، وتمتد إلى " المشهد " وتظهر في الأفق خيام خضر وفرسان وخيول وسيوف ... "(٢) . إنه يمتد من صرخة " الملازم الشهيد خضر شكري يعقوب حين نادى على جهازه : " طوق العدو موقعي ، ارموا موقعي حالا ، حققت الشهادة في سبيل الله ، والله اكبر "(٣) في معركة الكرامة التي علمت الإنسان دروسا في الخلق ، تلك الدروس التي دعت الكيان الاسرائيلي لأن يقول في حق هذه المعركة :".... لقد كانت عملية الكرامة إحدى العمليات التي منيت بفشل ذريع في تاريخ الجيش الإسرائيلي ... لقد استقرأ اليهود العديد من العبر من الفشل الذريع الذي منيت به عملية الكرامة ..."(٤)

إنه اعتراف بالانكسار أمام إرادة هذا الشعب ، الذي بنى هذه الإرادة من تضحياته الجسام ، والكرامة واحدة منها ، والتي منها كذلك " هبّة الكرك " وهي ثورة أهل الكرك ضد ظلم الفئة الباغية من المتنفذين في حكم الدولة العثمانية في أواخر أيامها مطلع القرن العشرين ، وتحديدا عام ١٩١٠م عندما قامت هذه الفئة بإجبار أهل مدينة الكرك آنذاك على الدخول في صفوف الجيش التركي ، فمست كرامتهم . وجاء في المصادر التي نقل عنها الكركي ما يثبت صحة ذلك ، فقد ورد في مجلة " النعمة " ما نصه : " فلقد اشتهر عن أولئك البدو احتفاظهم بحقوقهم وغضبهم لأقل ما يمسها ... ولأن يعد في الحرمان غضاضة لاحقة به وذلة لايرضاها .."(٥) حيث يورد موجزا لأحداث تلك الهبة في قوله : " لقد كانت ذروة الأحداث عشرة أيام في شتاء سنة ١٩١٠، (بدأت في ١٩١٠/١١/٢١) وجاءت بعد ضغط السلطات العثمانية لجمع السلاح وإحصاء الأملاك والسكان , وواجهها السكان بتنسيق واسع لحماية وطنهم وأبنائهم من هذا القهر .... وقد دفع الناس ثمن موقفهم الغالي هذا أعزاء وأبناء وأعدم العشرات وألقي آخرون من القلعة واعتقل كثيرون ، وحفظت الكرك سر مكان وجود الشيخ قدر المجالي زعيم ثورتها الذي لم ينس الأتراك روح التحدي التي تسكنه فتابعوه بعد العفو العام سنة ١٩١٢ حتى دعاه والي الشام إليها ، وهناك قضى الشيخ بالسم الذي دسه الوالي له "(٦)

---

(١)- خالد الكركي : أوراق عربية ص ٧٩ (٣) ـ نفسه ص١١٧ (٥) - خالد الكركي : أوراق عربية ص ٥٦
(٢)- خالد الكركي : ورد ورماح : قراءات في البطولة ص ٩ (٤)ـ نفسه ص ١٨ (٦) - نفسه ص ٥٦

إن هيّة الكرك هي هيّة الأردن كله وأهل الأردن كلهم ، وذلك أن أهل الكرك ما هم إلا صورة لإنسان هذا الوطن الذي ما فتئ يؤدي دوره على مدى تاريخ الأمة ، وليست هذه هي المرة الوحيدة التي يسطر فيها أهل الكرك مثل هذا الموقف البطولي ، فالتاريخ يذكر مواقف مثيلة لهذا الموقف ، وقد أرخ الباحث الإنجليزي بيتر جوبسر عددا من مواقف التأزم بين أهل الكرك والدولة العثمانية (١).

إنه يرى تضحيات هذا الوطن في شهدائه الأبرار الذين قدمهم في سبيل الله من أجل الأمة ، وفراس العجلوني واحدمنهم . حيث يستلهم روحه ليخاطبه في مقالته " من دفاتر الوطن "٢" إلى الشهيد فراس العجلوني " ليخاطبه قائلا له : " هي تلك اثنتان وعشرون أضفناها يا فتى الشهداء إلى عمر طال بنا ، واجتزنا فيها دروب النفط إلى دروب الجوع والحروب الأهلية ، وكم يعز على أي منا أن يخبرك أن الأرض ما تزال عطشى لدماء التحرير ... نقول عند ضريح كل شهيد " خذنا إلى الحرب يا سيدي " وتسري فينا آنذاك رعشة من جنوب الكبر ، وتهب في الفضاء الممتد بين عمان والقدس صبا مثقلة بالعطر والرسالة والعروبة ، تقف عند صرح الشهيد وتسلم عليكم "(٢)

إن فراس العجلوني واحد من الشهداء الذين قدمهم هذا الوطن في سبيل الأمة وفي سبيل قضية فلسطين التي هي توأم الأردن ، حيث يمتد الصبا بين عمان والقدس ، ولكنه صبا مثقل بأنفاس العطر ورسالة العروبة .

وليس الوطن في كتابات خالد الكركي هو المفهوم والإنسان والتاريخ والتضحيات فقط ، بل الوطن هو الرموز الحضارية ، لذلك فإننا نجده لا ينفك يقف بين يدي إنجازات هذا الوطن المتمثلة في رموزه الحضارية ، فهذا الوطن رغم ضعف الامكانات ، غدا في الطليعة بإنجازاته الحضارية ، ولعل الجامعة الأردنية شاهد على هذه الإنجازات ، حيث يقف بين يديها ليقول في مقالته " الجامعة الأردنية هواجس في المحبة " : " ويكفي أن ربع قرن من تجربتها قد جعلها ذات حضور في العالم ، ويكفي أن صورة استقلالها قد كانت سببا في هذا الحضور ، ولهذا نقول : ما الذي تحتاجه من خارج أسوارها غير المحبة ؟ فهي المناخ الأكاديمي المستقل الجاد ، وتستطيع أن تقدم لطلبتها المختبر والكتاب ، ولهيئتها التدريسية شروط البحث العلمي المعروفة ؟ هذه جامعة الوطن الأولى ، وهي حبنا الأول ... أيتها الرائعة : سألقي برأسي على صدرك كلما هاجمني التعب وتقدم العمر والزيف ... وسوف أصغي لنبضك ، وأبدأ مرحلة المسافات الطويلة

---

(١)- بيتر جوبسر : السياسة والتغير في الكرك الأردن : دراسة لبلدة عربية صغيرة ونطقتها ، تر خالد الكركي بدعم من الجامعة الأردنية عمان ط١ ١٩٨٨ .

(٢) – خالد الكركي : أوراق عربية ص ٦٨

نحو غد يأخذ ملامحك الجميلة ... "(١) ويقول عنها في موضع آخر في مقالته " الجامعة الأردنية ذكريات ورؤى " :" تلك هي نجمة الوطن العالية : القريبة الحبيبة والصفحة الأغلى في دفتر التعليم في الأردن .."(٢)

وهو ذا يقف بين يدي الإذاعة الأردنية ليقول في مقالته " هنا عمان " : " ها أنت تقف عند بوابة الإذاعة قبل سنوات ثلاث ، وها أنت تتهيب وتحاصرك الدهشة ، وما صدق الذين جئت تلقاهم أنك تجتاز عتبة بوابتها للمرة الأولى ، وأنت المتحمس لتجربتها المقدر لدورها في ثقافة الناس ، يوم لم تكن أشكال الإعلام غيرها قد وصلت حتى تنافسها في الوصول إليهم "(٣)

إنها الإذاعة الأردنية ، إحدى منجزات هذا الوطن التي يباهي بها الدنيا القريب والبعيد ، والتي أوصلت صوت هذا الوطن الطيب ، إلى آخر الدنيا .

ويقف عند صرح حضاري آخر كان له شأن مع الوطن كله ، إنها مدرسة الكرك الثانوية ، التي كانت من أوائل صروح العلم التي بناها هذا الوطن في مرحلة متقدمة من عمره يقول : "وأفتح دفتر " مدرسة الكرك الثانوية " هذا الصباح لأرى على صفحاته آلاف الخريجين الذين امتدوا في عروق الوطن والأرض والتعليم والقتال الذين يمرون بها : شيوخا وكهولا وشبابا ويهمسون :عليك يا أمنا السلام : على المقاعد القديمة ,والساحات السماوية والإدارة الحازمة ،والمكتبة العتيقة وحكايات المحبة الأولى ، وقبل هذا كله على أساتذتنا القادمين من ضفتي النهر ، من أجل مجد الحرف ، وعلى نشيدنا الصباحي الوطني الجميل .."(٤)

إن هذه المدرسة حكاية وطن مكافح ، وأجيال متلاحقة وعمر مديد لهذا الوطن ، فهي من الصروح الحضارية التي أنجزها هذا الوطن .

ويبقى قبل أن نكف الكلام عن البعد الوطني ، أن نشير إلى لازمة من لوازم حبه لوطنه وتعلقه به ، وهو حب مسقط الرأس ، التي لها الحضور الدائم والمتجدد في كل حرف وكلمة ينبس بها . ولو تنقلنا بين صفحات المقالات لوجدناها حاضرة دائما ، إنها الكرك مسقط رأس الكاتب وحبه الأول يقول في مقالة " نقوش على بوابة الكرك "

" الكرك ... أي شمس هذه التي توقظ القلعة من سباتها الأيوبي؟ وأي مطر هذا الذي يتسرب إلى صفحات تاريخها العريق ، فتغرق صفحة وتنهار أخرى ...

الكرك ... ملء الجوانح أنت ، قافية في قصيدة حرب لأبي الطيب .... خيول صاعدة من ثنية الوادي إلى أعلى ذرى الحماسة ، وأبراج تلقي حجارتها على الغزاة وتردهم خاسرين ....

---

(١) – نفسه ص ٩ ، ١٠ (٣) – نفسه ص ٤٥

(٢) – نفسه ص ٣٥ (٤) – نفسه ص ٢٥٩

الكرك .... أسند روحي إلى اسمك ، وأرى حوارا حول المدن يبدأ ، ولا أدري ما الذي يوقظ هذه المشاعر نحوك ... "(١)

إنها المدينة التي استمد منها الكاتب اسمه وحبه الأول وخطواته الأولى على وجه الأرض ، كيف لا يكون لها حضورها الدائم في وجدانه ، وهي لازمة من لوازم هذا الوطن الذي أحب ، وقلعة من قلاع هذه الأمة التي عشق وآمن بها ، إن وجودها في سطور كتاباته واقع ولازمة من لوازم عواطفه الجياشة ، ورابط ممتد بين الوطنية والعروبة .

---

(١) – نفسه ص ٣٧ ، ٣٨

ثالثا :- البعد الثقافي .

يلاحظ الدارس لهذا البعد ميزة تعمقه وتوسع من مداه في هذه المقالات ، وهي ميزة الاختصاص ، ذلك أن الرجل قد شغل منصب وزير الثقافة في فترة من الفترات في هذا البلد ، هذا عدا عن كونه استاذا جامعيا وأديبا عربيا وأردنيا . فهو " مثقف مفكر ، مارس الفكر الحر ودخل السلطة ... ولعله أقدر من يستطيع الكلام عن المثقف والسلطة من موقع المفكر المجرب من خارج السلطة ومن داخلها "(١) لذلك فقد انعكس هذا الاختصاص على الشؤون الثقافية والفكرية في مقالاته ، بحيث احتلت حيزا واسعا من مقالاته .

ذلك أنه قد أفرد مؤلفا خاصا في هذا الشأن أسماه " قراءات في الثقافة والسلطة والإعلام " وأصدره في عام ٢٠٠١م وقد جاء على شكل مقالات ورسائل ضمنها تصوراته وآراءه وتوصياته ، فيما يتعلق بالثقافة العربية من تحديات وصعوبات . كذلك فإنه قد أفرد الباب الرابع من كتابه " أوراق عربية " لهذا الموضوع وأسماه " هوامش ثقافية " اشتمل على ثلاث وثلاثين مقالة تناول في مجملها الواقع الثقافي العربي والأردني .

وتناول كذلك بعض الشؤون التي تخص الثقافة في الأردن وما يواجهها من تحديات وعقبات وحلول ورؤى مستقبلية في كتابه " دم المدائن والقصيد : هواجس عربية " والذي صدرت الطبعة الأولى منه عام ٢٠٠٠م وتحدث كذلك في ذات القضايا في كتابه " من دفاتر الوطن " حيث أفرد جانبا كبيرا للحديث عن درو الإعلام الوطني في تقرير الثقافة الوطنية والمحافظة عليها ، فهو رجل صاحب رؤية خاصة في هذا المجال انبثقت من خبرته الطويلة والواسعة .

ومن هنا يمكن الولوج للحديث عن أهم القضايا التي تناولها الكركي في هذا المجال من خلال المحاور التالية :-

١- رؤيته للثقافة وتعريفه لها .

٢- الواقع الثقافي الأردني والعربي بعامة .

٣- التحديات التي تواجه الثقافة العربية .

٤- علاقة المثقف بالسلطة .

٥- دور الإعلام في تعزيز الثقافة المحلية والعربية .

---

(١) – ليلى شرف : المشروع الحضاري العربي بين التراث والحداثة ، حوارات في الفكر العربي المعاصر (خالد الكركي وآخرون) ص ٢٣

١ - : رؤيته للثقافة وتعريفه لها .

يفهم خالد الكركي الثقافة على أنها نسيج إنساني " تتنوع مضامينه وأشكاله لكنه يصبح نمطا وطنيا أو قوميا متميزا في مظاهره اللغوية والفنية والاجتماعية ، ويصبح المثقف صورة في فكره وموقفه لثقافة أمته "(١)

ويتضح هذا المفهوم لديه في موضع آخر عندما يقول :" وهذا الكلام يرى الثقافة نسيجا لغويا من الفكر وأنماط السلوك التي تتشكل عبر مسيرة شعب أو أمة ، ويتعامل معها باعتبارها فعلا إنسانيا إيجابيا ملتزما بالمتحرك في الحياة لا بالساكن ، وبالحر حتى يظل حرا ، وبالمقيد حتى تنفك قيوده وبالجائع حتى يحصل على رغيفه الكريم ، وبالأمي حتى يعانق نور الحرف .. وبالمقاتلين في سبيل أوطانهم المحتلة وحرياتهم المسلوبة حتى يعودوا إلى أوطانهم وتعانقهم حرياتهم ..."(٢)

فالثقافة كما يفهمها الكركي هي مرآة للمجتمع بما يحتويه من مظاهر اجتماعية وعادات وتقاليد ، فالثقافة بذلك لا تتوقف عند حد معين ، فهي تتداخل مع جميع أنماط السلوك والفكر لأمة من الأمم ، فهي تعليم الحرية والتخلص من الديكتاتورية والظلم ، وهي كذلك حق التعليم والقراءة والكتابة ومحاربة الجهل والأمية ، ومحاربة المجاعات ، وهي أيضا حق العيش الكريم والتخلص من الاستعمار والعودة إلى الوطن .

٢ـ الواقع الثقافي الأردني والعربي بعامة .

حظي الواقع الثقافي المحلي والعربي بشكل عام بجانب كبير من اهتمام خالد الكركي وعنايته ، ذلك أنه يعد من الرموز الثقافية والأدبية في الأردن والوطن العربي ، حيث تجلى هذا الاهتمام بعدد غير قليل من المقالات التي تحدثت عن هذا الواقع .

ففي مقالته " أوجاع ثقافية " تحدث عن حال الثقافة الوطنية قائلا : " ليس هناك من كتابنا من لايطرح السؤال حول الواقع الثقافي ، وليس بيننا من لا يسعى إلى الإجابة عنه ، وقد كانت " ندوة الكاتب الأردني " التي أعدت رابطة الكتاب أوراقها ومحاورها ، محاولة في العمل بروح الجماعة لفحص واقع الكتابة وشؤون الكتاب ، غير أنها حجبت وخسرنا المحاولة "(٣)

إن واقع الثقافة هذا يشغل في نظر الكاتب المعنيين بالثقافة كمؤسسة وطنية ، ويشغل كذلك أقلام الكتاب والمثقفين ، فهي في نظره قضية عامة ذات أبعاد وتأثيرات على المدى البعيد ، ذلك أنه قد تمت مناقشتها من قبل الكتاب في ندوة " الكاتب الأردني " والتي نظمتها رابطة

---

(١) - خالد الكركي : من دفاتر الوطن ص ١١٥ (٢) - خالد الكركي : أوراق عربية ص ٣١٥ (٣) – نفسه ص ٢٦٥

الكتاب الأردنيين .

فهو إذن يهيئ القارئ ويضعه في الجو العام للقضية التي يناقشها في هذه المقالة ، ثم ينتقل لتناول التفاصيل الدقيقة قائلا :" أقول إن حالة عامة من التراجع الثقافي تبدو في الظاهر ، غير أن نبض الكلمات لم يتوقف ، والذين يرون أن الثقافة نسيج من رؤى الناس وتجاربهم لا ينتظرون كثيرا من المؤسسات الثقافية الرسمية ، غير أنهم يسجلون علينا جملة من الملاحظات "(١)

فهو يرى هنا أن الواقع الثقافي في تراجع ملحوظ ، ورغم ذلك فإن هناك من الكتاب والأدباء من لايزالون يؤدون واجبهم ويبدعون من أجل دعم الثقافة وتعزيزها والنهوض بها ، متحدين بذلك الظروف المادية والمعنوية التي تعيق عملهم ، ويسجل عددا من الشواهد المهمة التي تشهد بتراجع واقع الثقافة على الساحة الأردنية ، حيث يتابع كلامه السابق قائلا :

".... وأسجل أولا أن الخطة الخمسية لقطاع الثقافة حد أدبي للبداية ، وأن نصف العام الأول منها يرحل ولم يبدأ تنفيذ بعض مشاريعها ، مثل دار ثقافة الأطفال ، والفرقة الوطنية للمسرح والدار الوطنية للنشر والتوزيع والترجمة "(٢)

فالخطة الخمسية التي أقرت عددا من المشاريع التي تسهم في تطور القطاع الثقافي في الأردن ، لم تنفذ وكانت حبرا على ورق رغم مرور نصف عام من إقرار هذه الخطة .

ويتابع تسجيل شواهد تراجع هذا الواقع قائلا :" وأسجل ثانيا أن مجلة أفكار أهم مرجع للحركة الثقافية الأردنية منذ منتصف الستينات ، قد عادت إلى التوقف ، مع أن تجربة إصدارها الأخيرة كانت متميزة ، ولعل العجب أن يكون السبب في ذلك إجراءات إدارية ومالية تتعلق بالعطاءات ، ونحن نرى أن مجلتنا الشهرية الثقافية الوحيدة تستحق اهتماما أكبر من هذا "(٣)

فتوقف صدور هذه المجلة في نظره شاهد على تراجع واقع الثقافة وعامل من عوامله أيضا ، والعجب أن يكون عدم توفر الدعم المادي لهذه المجلة هو السبب في توقف صدورها ، مع أنها من أهم روافد الحركة الثقافية في هذا البلد منذ منتصف ستينات القرن العشرين . ويتابع في ذات المقالة تسجيل عدد آخر من الشواهد على تراجع واقع هذه الثقافة مثل تعطل المسارح ، كمسرح المرحوم أسامة المشيني والمركز الثقافي الملكي ، ذلك أنها في نظره " يجب أن تنبض بالنشيد والنغم والحياة المسرحية ، وإذا كانت الظروف المادية تعطل مثل هذا النبض أو إذا كانت الظروف الإدارية هي السبب ، فلا أعتقد أنهما مسوغان منطقيان كي تظل العاصمة في حال ركود ثقافي ، وفيها عشرات الألوف من الظامئين إلى المعرفة والفن ، وغيرهم ممن يجب

---

(١) ـ نفسه ص ٢٦٥ (٢) ـ نفسه ص ٢٦٥ (٣) ـ نفسه ص ٢٦٥

على القيادات الثقافية أن تسعى إلى ردهم نحو الثقافة الجادة ، ذات العمق الوطني والفرح الإنساني "(١)

وينتقل بعد ذلك للحديث عن الروابط الثقافية ويسجل عليها " أنها لم تصل إلى الناس خارج المدن الرئيسية " وهنا يعتذر عن رابطة الكتاب لتقصيرها في هذا الباب ويرد ذلك إلى " ضيق ذات اليد التي حجبت الكثير من طموحاتها في النشر والندوات " ذلك أن هذه الرابطة " ظلت عند حد المبدأ الرئيسي بأن (الناس هم الرؤية والهدف) ..."(٢)

ورغم كل ما أشار اليه من تراجع ووهن في واقع الثقافة في الأردن ، فإنه يشير إلى بعض الجوانب المشرقة في هذا الميدان والتي تستحق الوقوف عندها ، فهو يرى أن مرحلة الانطلاق الحقيقية بالنسبة للتطور الثقافي في الأردن كانت بعد عام ١٩٦٧م " ففيها تحقق اندفاع جيل الجامعة الجديد ، وظهر اهتمام عام بالثقافة والكتابة ، ودخل التلفزيون عالم الناس ، ونشطت الملاحق الثقافية ، ودائرة الثقافة والفنون " (٣) ، ويتحدث عن دور الإذاعة والتلفزيون واصفا إياه بأنه دور " محمود بيننا ، وأن قدرتها على الوصول بالناس لم تتراجع منذ بدايتها ، وقد كانت لنا ندوتنا وكتابنا وعكاظ قصائدنا ، عندما كانت القرى التي جئنا منها تفتح عينيها على صوت الإذاعة الصباحي ..."(٤)

لذلك فإنه يسجل تفاؤله " بصحوة ثقافية " وأن هذا الزمن هو " زمن الثقافة العربية ، زمن ثقافة الأمة وعودة وجهها الأصيل "(٥)

إن القارئ هنا يلحظ أن الكاتب قد سجل ملامح المعوقات التي تبطئ من سير الحركة الثقافية في الأردن بالشكل المطلوب بأسلوب موضوعي ، لم ينس فيه الكاتب أن يسجل كذلك الإنجازات التي تسجل للثقافة ولبعض المؤسسات التي أسهمت في رفدها ، وتوفير المناخ والبيئة المناسبة للتواصل بين المبدع والمتلقي ، مثلما فعلت مؤسسة الإذاعة والتلفزيون .

ونجده يسجل كذلك تفاؤله بمسيرة الحركة الثقافية في الأردن في موضع آخر من مقالته " الحركة الثقافية " وذلك عندما فتحت مؤسسة آخرى من مؤسسات الوطن وهي صحيفة الرأي - باب حوار ثقافي على صفحاتها ، يقول في حقه : " وها نحن ندخل منه إلى باب الحوار حول الثقافة والفكر عندما نجد أن وهج الثقافة يشتد في الوطن ، كتبا وندوات وقصائد وجدلا وكتابة تجاوزت الليل والصمت ودخلت من كوة الفرح أو الجرح .... ومن هذا الباب نشرع أسئلة

---

(١) ـ نفسه ص ٢٦٥
(٢) ـ نفسه ص ٢٦٦
(٣) - خالد الكركي : ملاحظات حول الحركة الأدبية في الأردن ، المجلة الثقافية ، الجامعة الأردنية ، ع٧ ، ١٩٨٥ ، ص ٧ ، ٨
(٤) - خالد الكركي : أوراق عربية ص ٢٦٦
(٥) ـ نفسه ص ٢٦٦

حول الثقافة ، ونحن نشهد ربيع الوطن وربيع الحرف يتعانقان ، والفتية الذين أدركوا دورهم في تأسيس ثقافة جادة يدخلون المسيرة الطويلة ، ويحدقون في خارطة الوطن ويحفظون قصائد عرار ، ولا يتركون صفحة بيضاء أو ندوة أو مساء أو قرية ، إلا وتركوا فيها صخبا وصدقا وأسئلة جديدة .."(١) .

فهذه الحركة الثقافية الواعدة ترتبط في خطابه بحب الوطن : ربيعه وبعرار الذي تغنى بحبه ، وهذا الحب يقتضي من الكاتب التفاؤل بالقادم وانتظار المزيد ، ذلك " أن واقع الحركة ما يزال بانتظار الخطة الخمسية للثقافة مسارحها ومجلات الأطفال ومجمع الروابط وفرق الموسيقا والدار الوطنية للنشر ... " فهذا تفاؤل من الكاتب ومطالبة في آن معا ، ذلك أن رابطة الكتاب كما يقول : " بانتظار الدعم المادي الذي لم يصلها لعامين ... وما تزال الرابطة بانتظار مجلة الرابطة ، لتكون منبرا يحمل للناس والأصدقاء أحلام أبنائهم الكتاب وإبداعاتهم ... "(٢)

ويرى في مقالته هذه أن المثقف الأردني قد طاله الإهمال وعدم الاكتراث لما يبدعه ، وما يقترحه وهو يتخوف أن يصل المثقفون إلى مرحلة القعود يقول الكاتب :

" إن تراجع دور أي مثقف يفرض عليه حالة الأسى هذه ، والتي كتب لها الشاعر علي الجندي مطولته (سقوط قطري بن فجاءة) وإذا تحول (القعود) إلى حالة جماعية ، فسوف يكون لنا جيل اسمه (جيل القعود) ونحن ما زلنا نرى أسئلة بغير أجوبة ، وقصائد تشتاق للإنشاء ، وخيلا تصهل بالفرح ... " (٣)

كما سجل خشيته من موقف سيكون سلبيا للغاية إن حدث وهو ما أسماه " الانسحاب أو الاعتزال أو السفر من الحركة الأدبية أو الانشغال أو الصمت بعد بدايات واعدة " من قبل الكتاب ، فقال : " إن عدد الصامتين ليس قليلا ، وعدد الذين انسحبوا بعد عمل أو مجموعة كثير ، والذين شغلتهم الوظائف والهجرة والعمل الحر موجودون أيضا ، كل هذا جعل الحركة الأدبية قلقة متقطعة وتجريبية ، نبحث فيها عن محورها الرئيس فلا نكاد نجده " (٤) ويحمل محمد المشايخ أجهزة الإعلام المسؤولية عن صمت هؤلاء بقوله : " إن عدد المثقفين الذين يشاركون باستمرار في مد الحركة الأدبية الأردنية بإنتاجهم الغزير والناضج على المستوى الإجمالي ، قد لا يتجاوز الخمسين ، وإذا كان صمت بعض هؤلاء لموقف ، فإن وسائل الإعلام المحلية مسؤولة عن إخراج هؤلاء المبدعين عن صمتهم " (٥)

---

(١) – نفسه ص ٢٨٦
(٢) – نفسه ص ٢٨٦
(٣) – نفسه ص ٢٨٧
(٤) - خالد الكركي : ملاحظات حول الحركة الأدبية في الأردن ، المجلة الثقافية ، الجامعة الأردنية ، ع٧ ، ١٩٨٥، ص ٨
(٥)- محمد المشايخ : النشاط الثقافي الأردني، المجلة الثقافية ، الجامعة الأردنية ، ع٥ ، ١٩٨٤ ، ص ٢٦٣

لذلك فقد نبه إلى أن إعادة النبض والحماسة إلى الإبداع يحتاج " إلى مناخ من الصدق والحرية والالتزام والثقافة وفهم العالم ، وعمق التجربة ، لكنه يحتاج أولا إلى أدباء يقدرون هذا المناخ ، إن توفر لهم ، أو يناضلون في سبيل الحصول عليه إن حرموا منه " (١)

إنه هنا يخشى أن تصير حالة القعود التي أشار إليها ، مشابهة لحال الشاعر الخارجي قطري بن الفجاءة عندما وصلت به السن مرحلة متقدمة ، فوجد نفسه مع القاعدين الذين لا يستطيعون القتال لعجزهم وكبر سنهم ، وهكذا هو حال المثقف الذي فرض عليه تراجع دورهم هذه الحالة من الأسى ، يقول الكاتب :

" وكم أرقنا الحلم ، ونحن نخاف أن يجد المثقفون أنه لا حاجة لأحد بما يحملون من رؤى وتطلعات ... وكم هي حزينة صورة الشاعر الخارجي قطري بن الفجاءة يوم تقدمت به السن وخبا أوار قصيدته

أقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحك لن تراعي .

ووجد نفسه مع (قعّد) الخوارج الذين كانوا لايستطيعون القتال لتقدمهم في السن ، بعد أن كانوا أمثلة عليا في الشجاعة ..."(٢)

وتجنبا لوصول حالة كتابنا إلى ما وصلت إليه حالة ذلك الشاعر ، فإنه يقترح في ختام المقالة أن يتم إجراء حوار شامل حول القضايا الثقافية والموضوعية في التعامل مع هذه القضايا ، وإيضاح الرؤية التي تستمد حدة الرؤية وقوتها من زرقاء اليمامة تلك المرأة التي ضرب بها المثل في قوة الإبصار ، يقول الكاتب :

".... أقول هذا ونحن نقرأ ما يكتب الزملاء في الموضوع ، ونسمع كلاما ونصر على الفهم بحسن نية ، كي تظل الحركة الثقافية موحدة ، ويظل نبعها عميقا وممتدا بين الكتاب والأهل والأمة ، وتظل قادرة على الرؤية بعيني زرقاء اليمامة ، وقراءة الماضي والحاضر بوعي يبعد بها عن حالة (القعود) ويجعل صورتها تشبه وجوه النصر والعدل والحرية "(٣) ، فالثقافة التي نريد كما يقول : " تكون معاصرة بقدر ما هي استمرار لمسيرة ، وتصحيح لها ، وتجاوز بالإنسان إلى نقطة أكثر إضاءة " (٤)

ويتحدث حول نفس الموضوع في محاضرة ألقاها في النادي الأرثوذكسي بتاريخ ١٩٩٦/٦/٥م وتحمل عنوان " الثقافة في الأردن : آفاق وتحديات " حيث يتحدث عن التطورات

---

(١) - خالد الكركي : ملاحظات حول الحركة الأدبية في الأردن ، المجلة الثقافية ، الجامعة الأردنية ، ع٧ ، ١٩٨٥، ص ٩
(٢) - خالد الكركي : أوراق عربية ص ٢٨٦ ، ٢٨٧
(٣) – نفسه ص ٢٨٧
(٤) – خالد الكركي : كلام في الثقافة ، المجلة الثقافية ، الجامعة الأردنية ، ع٥ ١٩٨٤م ، ص ٦

والإنجازات التي حققت في هذا القطاع في العقود الاخيرة ، وذلك مثل الأعداد الهائلة من المراكز والأندية والمنتديات وازدياد " روافد " الثقافة مثل الجامعات والصحافة ووسائل الإعلام والمجلات ، بالإضافة إلى الإنجاز الأدبي في الرواية والقصة القصيرة والفن التشكيلي ، يقول : " إن اطلالة على واقع الثقافة الأردنية في العقود الأخيرة ، تشير إلى إيجابيات في الروافد والوسائل ، أعني الجامعات والصحافة والسفر ووسائل الإعلام خاصة التلفزيون ، الأرضي منه والفضائي ... كما يشير المشهد الثقافي إلى إنجاز أدبي في الرواية والقصة القصيرة والشعر والفن التشكيلي .... أما الأعداد الهائلة من المراكز والأندية والمنتديات فهي علامة على إدراك الأردنيين أن السكوت ليس من شي ، وأن الحوار والثقة بالنفس والقدرة على الاستعداد لمواجهة المستقبل هي دعائم نماذجهم ...."(١)

ويقارن كذلك بين ما كان عليه الوضع الثقافي في الأردن في بداية التأسيس ، وما شهده الآن من تطور في شتى المجالات والقطاعات ، ومن بينها القطاع الثقافي فيقول : ".... وليس جديدا أن أتحدث عن شح الموارد وصعوبة زمن التأسيس ، فقد كلفتنا ظروف غياب التعليم زمنا يمتد سبعين سنة حتى أعدنا إلى هذه الهضاب والسهول قناديل المدارس وفرح الدفاتر وبهجة الأقلام ، حتى صارت لنا صحافة وجامعات وكتابة تنبع كلها من موقف قومي تقدمي ...."(٢)

أما الواقع الثقافي العربي بشكل عام ، فقد كان هو الآخر حاضرا في فكر خالد الكركي ومقالاته ، ذلك أنه يرى الواقع الثقافي الأردني جزءا من الواقع الثقافي العربي بعامة حيث يقول : " إن الكلام عن الحركة الثقافية الوطنية الأردنية صعب ، لذلك أحدد نزوعي العروبي أولا ، في أن الثقافة في أي إقليم عربي شجرة في بستان ثقافة الأمة بمداها الإنساني ، أما الشوك الطائفي والإقليمي والإنعزالي فمحتاج إلى تعشيب ..."(٣)

ويسجل عوامل وحدة هذه الثقافة بقوله إن عناصر الثقافة التي نريد " إعادة تأسيسها على مستوى الأمة هي : لغة حملت الرسالة والهم ، وتاريخ مزروعة فيه رايات النصر ، وجروح الهزيمة ، وعروبة تفهم على أنها إشراقة إنسانية ، لا أنها تعصب لعرق وعقيدة مقاتلة تؤمن بالتقدم إلى نصل السيف كي ترده أو تتلقاه حتى ينفد إلى قلب أخ يقف في الصف التالي " (٤)

حيث يتحدث عن هذا الواقع الثقافي العربي في محاضرته " هوامش ثقافية " ليسجل أن المدى الثقافي العربي " واقف بين احتمالات كثيرة ، وما تزال أسئلته صعبة ومعقدة ، وأهمها

---

(١) - خالد الكركي : دم المدائن والقصيد : هواجس عربية ص ٢٠٣

(٢) – نفسه ص ٢٠١

(٣) - خالد الكركي : من دفاتر الوطن ص ١٠٦

(٤) – خالد الكركي : كلام في الثقافة ، المجلة الثقافية ، الجامعة الأردنية ، ع٥ ١٩٨٤م ، ص ٧

التعبير عن هذه المعاناة العربية في قضايا الوحدة والحرية والتقدم ، وإذا كان المثقفون هم عيون الناس وشهاداتهم على زمنهم ووعيهم بحاضرهم ورؤاهم لمستقبلهم ، فإنني أرى أن حالة الثقافة العربية لم تجعلهم في هذه الصورة بعد ، ولم تصل إبداعاتهم إلى موقف نقدي جذري يستوعب حركة التاريخ ويفهم أبعاد الواقع ويفتح نوافذ الحلم ، ويفجر لغة تعبر عن أشواق الإنسان المعاصر ويوقد جمر التجربة العربية من جديد "(١) ، فالمثقفون هم الفئة التي تتحمل الدور الأكبر في هذا الجانب في إحداث التغيير المطلوب في الاتجاه المطلوب ، فالعالم العربي ، كما يقول حسن حنفي : " بحاجة لتغيير وهذا التغيير يعتمد على جهد النخبة ، وفي مقدمته جهد المثقفين ، ودورهم في إثارة العقول وإذكاء الوعي العربي وبلورة وعي الجماهير ، ويتحقق ذلك من خلال الجامعات ومراكز البحث العلمي أولا ، ثم من خلال أجهزة الإعلام خاصة الصحف السيارة ثانيا " (٢)

وإذا كان من استثناءات من الكتاب العرب ممن يمتون " بصلة لروح الصعاليك والخوارج وأبي ذر الغفاري والمتنبي وعبد الرحمن الكواكبي " إلا أن هذه الإشراقات في نظره " محاصرة بالحدود والقيود وضيق الإعلام بها ، ورفض بعض الفئات لها لأنها ، أي تلك الفئات ، ساكنة في مرحلتها وقانعة بواقعها ، وساذجة في وسائل تعبيرها التوفيقية بين المتناقضات "(٣) .

هذه بعض المعوقات التي تقيد المثقف العربي ولاتسمح له بالإنطلاق بالحرية التي يريد ، كما أن الواقع الثقافي العربي يعاني بالإضافة إلى ما سبق من التخبط والعشوائية ، ذلك أن " الموقف الثقافي الصحيح ليس صيغة حسن نية ، بل هو خيار يعي صاحبه بداياته ونهاياته ، إنه الوعي بالفرق بين النهر والمستنقع ، وبين النار والرماد وبين المتنبي وعدد كبير من الشعراء الذين يطاوله قصيرهم وضعيفهم ، وبين اللحظة الساكنة الراكدة والزمن المتجدد "(٤)

كما أنه يرى أن محدودية حرية التعبير عن الرأي في الوطن العربي ، هي إحدى العوامل التي تؤخر التنمية الثقافية العربية وتعيقها ، حيث يقول: " في كتاب للتونسي عز الدين المدني ، جملة مثيرة للدهشة ، وتفتح بابا لاقتراح يجب أن تنظر فيه الجامعة العربية وجهازها الثقافي وهو تأسيس معهد للحرية ..."(٥)

وتحدث بمرارة وأسى عن حال المثقف والثقافة العربية في مقالته " مباهج الحرية وفتنة الاستبداد " فقال : " ونحن نرى في مدننا وشوارعنا طبقات من المثقفين تتوالى انهياراتها ، وتعلن أنها لم تجد في زمن الاحتلال الأمريكي / الصهيوني ، سوى الدخول تحت هيمنة

---

(١) - خالد الكركي : أوراق عربية ص ٢٩٦
(٢) – حسن حنفى : في الثقافة السياسية : آراء حول أزمة الفكر والممارسة في الوطن العربى ص ١٥
(٣) - خالد الكركي : أوراق عربية ص ٢٩٦
(٤) – نفسه ص ٢٩٦
(٥) – نفسه ص ٢٩٧

باسم القرية الواحدة والعولمة وحوار الثقافات ... إنه زمن الدروب الوعرة في قرية عالمية ظالمة ، وإنه زمن الاستبداد الأكبر الذي تعود فيه روما أخرى ممثلة لأسوأ ما في الجنس البشري من تعصب وقهر واستبداد واستعمار واستلاب لحقوق الإنسان وكرامة الشعوب ... "(١) إنه صوت مفعم بالحزن لحال المثقف والثقافة العربية في زمن القهر والاستبداد .

ويقول عن مساهمة أجهزة الإعلام العربية في التأخر الثقافي : إنها " قد " تأقلمت " مع ظروفها الإقليمية ، ومعظمها " إذا الريح مالت ...!! " وليست مستعدة للمشاركة في إعادة صياغة ثقافة شاملة مستلهمة من قواعد ثابتة ... " (٢) ، ورغم هذه المعوقات التي تحد من حرية التعبير وتعيق تقدم الحركة الثقافية العربية ، إلا أنها تشع وتتوهج في نظر الكركي ، وذلك لأن الإرادة كامنة في هذه الحركة رغم كل المعوقات ، وذلك بفضل بعض المبدعين من كتاب هذه الأمة الشباب الذين يربطون حاضرهم بماضيهم العريق ، حيث يقول : " هذه العربية العظيمة منزهة عن الهجاء أن تكون له ، وعن الغيبة والأذى أن تكون ستارا لهما ... ها هي تتوهج من جديد ، تتكئ على السيوف ، وتخرج من دم الصمت وتشرق بالأحلام والندى ، ليس هذا في باب الحلم ، بل كما أراها في وجوه عدد من المبدعين من الشباب الذين يناقشون اللغة : ذكرى وحرية ويمدون جسرا من الشعر والنثر بين زمانهم وبين طرفة بن العبد وعمرو بن كلثوم "(٣) .

٣ ـ التحديات التي تواجه الثقافة العربية .

ليس من المستغرب في أي زمان وفي أية بيئة أن تواجه الثقافة التحديات ، ذلك أنها اللسان الذي تتحدث به الفئة الخاصة من المثقفين في الأمم كلها ، وبما لا يتوافق مع إرادة الفئات الحاكمة من أصحاب النفوذ والسلطات في بعض الحالات ، فالثقافة " هي التي تشكل شخصية الأمة وتعطي هويتها وتحدد موقفها إزاء الثقافات الأخرى ، وعلى هذا فإن ثقافتنا العربية تتعرض لتحديات كبيرة من الثقافات الأقوى " (٤)

وقد تطرق خالد الكركي مسجلا العديد من مظاهر هذه التحديات في مواطن كثيرة من مقالاته ومحاضراته ورسائله ، فهو يرى أنها تتعرض لتحديات داخلية وخارجية .

حيث تتمثل التحديات الداخلية في محاولة السلطات العربية لتغييب العقل والتحول إلى ثقافة

---

(١)– خالد الكركي : مباهج الحرية وفتنة الاستبداد ، جرش الثقافية ، ع٢ ، ٢٠٠٥، ص ٥ ، ٦

(٢) – خالد الكركي : كلام في الثقافة ، المجلة الثقافية ، الجامعة الأردنية ، ع٥ ١٩٨٤م ، ص ٧

(٣) - خالد الكركي : أوراق عربية ص ٢٩٧

(٤)- عبد الرحمن منيف : الثقافة والمثقف في المجتمع العربي حوار الشهر ٩ ، منتدى عبد الحميد شومان الثقافي عمان ١٩٩٨م

الخرافة ، يقول :" أول التحديات الداخلية ما نراه من التحول إلى أشكال هجينة من ثقافة الخرافة التي تستعيد حضورها ، وهي علامة على العجز عن تفسير الواقع ، فيكون اللجوء إلى الخرافة علامة على تغييب العقل والوعي ، لأن حالة السكون التي تلي ذلك مناسبة لأي سلطة تخشى مطالبة الجماهير الواعية بالحرية والمساواة والديمقراطية وكرامة الإنسان "(١) ، فهو يرى هذه السياسة وهذا الأسلوب ، قاسما مشتركا بين أهل الحكم في البلاد العربية ، إذ إنه لايخص قطرا بعينه بهذه الصفة .

أما ثانية هذه التحديات في نظره فهي " انتقال بلاء العامية بلهجاتها المختلفة من حالة قطرية معزولة في كل بلد عربي ، وفي اطار " الفولكلور " إلى غزو الفضائيات ، التي تعيد غناء سطحيا وحوارا مغلفا بالنساء الجميلات ، ودراما هابطة وتزييفا للوعي القومي ""(٢) إنه وصف دقيق مبهر لهذه الحالة المحزنة التي يلاحظها ويأسى لها المرء في كل يوم مما يشاهد على شاشات التلفزة العربية والفضائيات ، الأمر الذي عبر عنه غسان إسماعيل عبد الخالق بقوله : " إن العديد من القنوات الفضائية العربية ، عملت خلال فترة قصيرة على توحيد جمهور المشاهدين العرب من المحيط إلى الخليج ، على جامع لغوي يفهمه ابن موريتانيا وابن العراق ، وأطاحت بسقف الرقابة إلى الأبد ووضعتنا هي وغيرها من المحطات الفضائية أمام خيارين لا ثالث لهما : إما الاستمرار في دفن رؤوسنا في الرمال ، أو التوقف لقرع الأجراس وتدبر الأشكال والمضامين التي ينبغي الاتجاه إليهافي ظل انهيار كل الوسائل لإيقاف تدفق المعلومات والأفكار والآراء والمواقف " (٣).

أما ثالثتها فهي " الأمية " إذ لم تصعد نهضة الأمة في نظره إلى " مستوى اجتثات هذا البلاء ، ونحن الذين نعيد على مسامع الشعب صباح مساء أننا أمة " اقرأ" فإذا نصف أهل العروبة لا يقرأون ولا يكتبون ، بل يتحولون إلى ثقافة سطحية شعبية لا تستقر في الوجدان ولا تغذي العقل ،ولا تثبت أركان النهضة في حركة الأمة في نفوس أصحاب الحق في شكل الزمان القادم "(٤)

ويمثل موقف السلطة التي تعمل على احتواء حرية العمل الثقافي رابع هذه التحديات الداخلية ، ذلك أن " موقف السلطة من الثقافة الجديدة في إطار التزامها بالحرية والمساواة والديمقراطية ، وما مصطلحات مثل " الأمن الثقافي " و" التصدي للغزو الثقافي " و" حماية التراث " و" النظام الثقافي العربي " ، إلابعض وسائل التعميم التي تتحدث فيه السلطة لاحتواء حرية العمل

---

(١) - خالد الكركي : دم المدائن والقصيد : هواجس عربية ص ٣٨

(٢) – نفسه ص ٣٩

(٣)- غسان إسماعيل عبد الخالق : المثقف العربي والسلطة ، تراجيديا الفراشة والنار ، ضمن : المشروع الحضاري العربي بين التراث والحداثة ، حوارات في الفكر العربي المعاصر (خالد الكركي وآخرون) المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ط١ ٢٠٠٢ ص٨٢

(٤) - خالد الكركي : دم المدائن والقصيد : هواجس عربية ص ٣٩

الثقافي ، الذي ينبه الغافلين ويذكر الناسين ويحرك الساكنين ويعلم الجاهلين "(١)

فالأمة إذن في نظر الكاتب بحاجة للثقافة الحرة ، التي تحقق الغايات المهمة التي أشار إليها الكاتب : من تنبيه للغافلين وتذكير للناسين وتحريك للساكنيين وتعليم للجاهلين ، لأن الثقافة الحرة كما يرى " تلتزم تلقائيا بثوابت الأمة التي يعيش المثقفون على أرضها ، ويكتبون بلغتها ويدافعون عن حضورها الإنساني ، ولا يجوز لسلطة أن تدعي أن لديها تصورا للإبداع ، فهذا هو الأمر الوحيد الذي ينبجس مثل الماء من الصخر ، والنبع من السطح والصهيل من الخيل ، لازمان له ولا مكان ولا سلطة عليه إلا لصاحبه ، وإن حاصرنا هذا ، فإننا نحاول تغيير لون الماء وعذوبة النبع وصوت الصهيل "(٢) ، فهذا التجيير والتدخل من السلطات لتوجيه الأقلام والأصوات ، كأنه تدخل في نظام الطبيعة التي لارونق لها ، إلا بانسيابها على سجيتها التي خلقت عليها .

أما التحديات الخارجية كما يراها خالد الكركي ، فإنها تتمثل في عدة جوانب :

يتمثل أولها في وجوب معرفة إنسانها ومعرفة الأرض التي نقف عليها وتعميق ثقتنا بثقافتنا " والفهم العميق للتشكل العالمي الحالي بعد انتهاء الثنائية الكونية ، فهناك غرب رأسمالي ، وأحادية أمريكية ، لكن هناك شرقا له ثقافات وأشواق ورؤى ، وهناك أغنياء وفقراء وإقطاعيون وعبيد ، وأي تصور ساذج بأن القرية العالمية موحدة وسعيدة ومتعاونة هو تزييف وتدليس "(٣).

أما ثانيها فإنه يتمثل في " محاولة " الأحادية " التي تتزعم العالم ، أن تفرض علينا ما يناقض هويتنا وحضورنا الثقافي ، فتحاول إلغاء الخصوصية القومية لصالح دعوات " متوسطية " أو " شرق أوسطية " أو " كونية " (أعني عولمة) دون أن تفهم حالات الانتقال والمعاناة لكل أمة " ، إنه صوت إنساني يتحدث به الكاتب ، فيعلن أن من حق كل أمة من أمم الأرض أن تختار ثقافتها وتحتفظ بهويتها الحضارية والثقافية ، وكما يقول المفكر مالك بن نبي : إن نوع الثقافة " يتحدد في كل شعب تبعا لحتمية منبعثة من نفسه ... فإذا ما نجم في نطاق ثقافة معينة نزوع يتعارض مع اتجاهها الطبيعي ، فإن اتجاهها يقصيه كعنصر غريب عن ذاتها " (٤) فالدعوة إلى انتهاء عصر القوميات كما يقول الكاتب " سذاجة فكرية ، فنحن وغيرنا ، لسنا شوفينية قومية ، ومثلنا مثل الهند والصين وروسيا مثلا الذين يعلنون هويتهم وثقافتهم ، ولا يمكن صهرهم في بوتقة غامضة تائهة باسم " العولمة " وهل مر زمان لم نكن فيه جزءا من العالم الذي استلب حقوقنا بكل أشكال الاستعمار ومصادر القوة " (٥) .

---

(١)- نفسه ص ٣٩ (٣)- نفسه ص ٤١ (٥)- خالد الكركي : دم المدائن والقصيد : هواجس عربية ص ٤٣
(٢)- نفسه ص ٣٩ (٤)- مالك بن نبي : مشكلة الثقافة دار الفكر طرابلس لبنان ١٩٧٩ ص١١٧

ويتمثل ثالثها في التفوق الاقتصادي والتكنلوجي للآخر ، ولاسيما الغرب ، وبالذات تقدمه في مجال صناعة الإعلام مما يؤدي إلى هجنة إعلامية وثقافية غريبة على ثقافتنا العربية ، يقول الكاتب : " إن الآخر ، الغربي يصادر الآن أو يملك منفردا الموارد الخام وطرق نقلها وصناعة السلاح والتكنولوجيا الجديدة ووسائل الإعلام والمال ، وهذا التفرد يقود إلى هيمنة ولا يمكن لثقافة عربية أو غير عربية تتحسس هذا الظلم ، أن تندفع للدخول تابعة في مداره ، بل لا بد أن تطرح أسئلة العدل والظلم ، والحق والباطل ، وأن تعبر عن مشاعر الناس الذين يتعرضون للاضطهاد وتصادر أصواتهم في حومة المزاد والإعلامي الخارجي "(١)

ويمثل استيراد الأشكال الثقافية الهجينة التي نبتت في المجتمعات الغربية عنا - التحدي الرابع ، ذلك أن تلك الأشكال قد نبتت في بلادها في ظروف معينة ، فليس بالضرورة أن نستلهمها ونهضمها في إطارنا الثقافي ، إذ إنها لا تناسب إطارنا الثقافي ولا يمكن أن تمتزج معه ، حيث يقول الكاتب : إن رابع هذه التحديات يتمثل في " الاستلاب الذي قد يصيبنا عندما نعجز عن التصدي لما يجري أو عن فهمه على الأقل ، والتي تساعد في الهزيمة أمامها ، أن الرأسمالية الطفيلية التي تنقل مجتمع الإستهلاك الغربي إلى العالم العربي تجد نفسها (بوعي أو بدون وعي) تستورد أشكالا ثقافية هجينة نبتت على هامش المجتمعات الرأسمالية الاستهلاكية ، ولا يعترف الغرب نفسه بها ولا يراها أصيلة ، بل يتركها على حالها ، لأنه لا يصادر حرية الأفراد في " صرعاتهم الجديدة " التي لا تلبث أن تنحني عن مدار الحركة الحقيقية للثقافة ، وقد نفهم تماما دوافع نشوء الوجودية وأشكال الحداثة منذ زمن السريالية ودعوات الهيبيين ... وقد نراها حركات احتجاج ، لكن علينا أن نرى صلتها بالمجتمع الصناعي وموقع الفرد فيه ... فالصرعات التي ينقلها الإعلام والسينما ، لا تشكل بالضرورة ثقافة حقيقية ، بل إن كثيرا منها هو نتاج ثقافة العنف لا ثقافة التنوير ""(٢)

فوسائل الإعلام الحديثة التي تفوقت في قدرتها على الوصول إلى كل صقع من أصقاع المعمورة وبالذات شبكة الانترنت والفضائيات ، أصبحت تشكل أدوات تهديد واختراق للثقافات العالمية التي تحاول المحافظة على هويتها في وجه دعاة العولمة ، وإلى هذا ذهب عصام الموسى في حديثه عن علاقة المجتمع بالإعلام عندما قال : " فمع قدوم الاتصال التبادلي وتطور وسائل الاتصال الجماهيري على نطاق واسع وخاصة شبكة الانترنت ، فقد تمكنت الثقافات " المستوردة " من اختراق ثقافات المجتمعات النامية بما فيها المجتمع العربي ، وسهلت اختراق الأنماط

---

(١) – نفسه ص ٤٣ ، ٤٤ (٢) – نفسه ص ٤٤

الاجتماعية ، بحيث سمحت ثقافة الاتصال بسقوط الحدود بين الثقافات ، فصارت هناك ثنائية الثقافة التي ينظر للمنفتحة القوية منها كثقافات دخيلة ، تخشاها وتتحوط منها الثقافات التقليدية المحاطة بحماية السلطة الأبوية "(١)

الأمر الذي شكل تحديا كبيرا لهذه الثقافات وولد ما يشبه الصراع في محاولة هذه الثقافات النامية المحافظة على كياناتها ، حيث يتابع عصام الموسى كلامه السابق قائلا :" وهذه الرؤية العالمية للثقافة المنفتحة تلقي مفارقة حادة من دعاة المحافظة على الثقافات التقليدية التي لم تطور نفسها وامكاناتها ، ومن هنا تأتي أهمية وضع قواعد في مثل تلك الثقافات ، تضمنت تطوير القدرة الذاتية لمواجهة الاستلاب " الغزو الفكري الثقافي " الذي تحمله تكنولوجيا الاتصال الحديثة "(٢)

ويقول الكركي في مقالته " التحدي والانكسار في الثقافة العربية " : " إن الكلام عن الثقافة العربية متصل في اللحظة ذاتها بالحوار حول دور المثقفين العرب ، وبالجدل الذي يستمر عبر تاريخنا حول العلاقة بين الحرية والسلطة والجدل السياسي والثقافي ..."(٣)

وبالمقارنة بين قوله هذا وما تحدث عنه في محاضرته السابقة الذكر ، فاننا نلاحظ أن هناك نوعا من التأكيد على دور السلطة في تشجيع أو احتواء المثقفين ، مما يعود بالنفع أو بالضرر على الثقافة العربية ، مع الأخذ بعين الاعتبار الفارق الزمني في وضعه للمقالتين ، إذ إنه قد وضع مقالته " التحدي والانكسار في الثقافة العربية "عام ١٩٨٨م ، أما مقالته السابقة التي تعرض فيها للحديث عن التحديات التي تواجه الثقافة العربية فقد ألقاها عام ١٩٩٩م.

حيث يتابع في ذات المقالة حديثه عن التحديات التي تواجه الثقافة العربية قائلا : " لكن الكلام لا صلة له بدعاة الثقافة ممن تورطوا في عصبيات ضيقة : إقليمية أو طائفية أو تسلقوا على شجرة ثقافة الأمة لأغراض نفعية أو غرقوا في وهم العامية والنفطية أوقبلوا بالتبعية الثقافية لأنماط هجينة استوردوها داخل أرض الأمة ، مع أنماط أجنبية استهلاكية وترفيهية حتى مس التغريب الرمل والسهل وكثيرا من الأقلام ، ومن وسائل الإعلام "(٤)

فالكاتب هنا يتحدث عن أبعاد اجتماعية واقتصادية تؤثر على الثقافة العربية ، مثل النفطية والرأسمالية والتبعية الثقافية والثقافة المستوردة التي أثرت في العلاقات الاجتماعية والعادات والتقاليد ، ويثير بعد ذلك مسألة الاغتراب التي أخذ يعاني منها المواطن العربي وهو على أرض وطنه وبين أهله وكأنه غريب عن أبناء بلدته وهم غرباء عنه . بل امتد هذا الاغتراب إلى

---

(١)- عصام الموسى : الإعلام والمجتمع ، الجمعية العلمية الملكية ، عمان ١٩٩٨ ص٣٦٢
(٢)- نفسه ص ٣٦٣
(٣) - خالد الكركي : أوراق عربية ص ٣١٥
(٤)- نفسه ص ٣١٦

بعض أقلام الكتاب الذين رضوا بالتبعية الثقافية للعرب : بالاضافة إلى وسائل الإعلام المختلفة التي أصبحت أدوات لنقل الأنماط الثقافية المستوردة إلى بلادنا ، الأمر الذي يؤدي إلى اختراق ثقافتنا العربية ، بكل ما تحمله من عادات وتقاليد وفكر ولغة .

فقد تنبه الكركي لقضية " العولمة " الثقافية منذ أكثر من عقد من الزمان ، هذه القضية التي هي محور النقاشات والحوارات والمنتديات على الصعد كافة ، فأجمل لنا ما أفرزته وسائل الإعلام من آثار سلبية على المجتمعات والشعوب النامية وثقافاتها من استلاب واختراق ثقافي وغزو فكري من قبل الدول الكبرى ، التي تملك المال والسلاح والتفوق التكنولوجي والإعلامي ، فهو صاحب رؤية بعيدة ونظرة ثاقبة ، إذ كان ممن تنبأ بالآثار السلبية على المجتمعات العربية والنامية بشكل عام . لقد تحدث الكركي عن " العولمة " بوضوح واستفاضة قبل أن نعرف هذا المصطلح الذي ظهر بعد الثورة الهائلة في عالم تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات من أقمار صناعية وفضائيات وأخيرا شبكة الانترنت التي حولت العالم إلى قرية صغيرة " حيث تسعى العولمة لصبغ العالم بصبغة واحدة عبر فتح الأسواق والقنوات والتغلغل إلى الثقافات ، مما يجعل البعض يرى فيها خطرا بينا "(١)

٤ ـ العلاقة بين المثقف والسلطة

لقد تحدث خالد الكركي في هذا الموضوع بإسهاب في محاضراته ومقالاته ومؤلفاته وفي بعض دراساته الأدبية ، حيث يأتي حديثه عن هذا الموضوع في الغالب متصلا بحديثه عن الهموم الثقافية والتحديات والمعوقات التي تواجه الثقافة العربية ، فشكل حديثه عن علاقة المثقف بالسلطة جزئية من التحديات التي تواجه الثقافة العربية . ولكن البحث هنا يؤثر إفراد هذا الجانب بحديث خاص به ، لما له من أهمية ، حيث يقول في مقالته " التحدي والانكسار في الثقافة العربية " :

" إن الكلام عن الثقافة العربية متصل في اللحظة ذاتها بالحوار حول دور المثقفين العرب ، وبالجدال الذي يستمر عبر تاريخنا حول العلاقة بين " الحرية " و " السلطة " وحول " السياسي " و " الثقافي " ..."(٢)

فهو يرى أن العلاقة بين المثقف والحاكم أو السلطة قد " تأخذ شكل التآزر ، وقد تتحول إلى التضاد ، وقد تأخذ شكل احتواء السلطة للمثقف ، تحت شعارات مضللة منها المصلحة العليا ، والمهمات الثقافية الوظيفية والمساهمة في التغيير والتجديد ، وقد يقبل المثقف هذا الدور

---

(١)- عصام الموسى : الإعلام والمجتمع ص٣٥٨ (٢) - خالد الكركي : أوراق عربية ص ٣١٥

دون رؤية واضحة ..." (١)

وقد تحدث الكركي في موضع سبقت الإشارة إليه آنفا من هذا الفصل عن محاولة السلطات العربية تغييب العقل والوعي ، والتحول إلى ثقافة الخرافة ، وخشية أن تطالب الشعوب العربية بالحرية والديمقراطية والمساواة (٢) ، وقال في موضع آخر : " إن الصراع بين العلماء والحكام هو صراع بين الحرية والاستبداد ، وبين هذين الحدين تتحرك العامة التي تكون قد دخلت في عالم من الخوف والجهل والشك والمنفعة " (٣)

ولم يغفل استحضار التاريخ ليرسم لنا صورة العلاقة بين المثقف والسلطة هذه الصورة القاتمة في الغالب ، ذلك أن " قضية العلاقة بين (المثقف والسلطة) ليست قضية عربية أو قضية حديثة فحسب ، بل هي قضية تمتد عموديا في التاريخ ، وأفقيا في العالم كله ، وتمتلئ كتب التاريخ بقصص صراع العلماء والمفكرين والكتاب والشعراء مع السلطة "(٤) حيث يقول في مقالته " صور من زمان بعيد " :

" تبدو قراءة العلاقة بين المثقف العربي والسلطة من خلال التراث الممتد منذ الجاهلية ، ذات أهمية خاصة لفحص التراكم السياسي والثقافي نظريا وعمليا ، كما تبدو الصورة في إطار علاقات المثقفين بالسلطة القبلية ، تتمة لفهم المواقف اللاحقة في زمن تشكيل الدولة " السلطانية " في زمن بني أمية ...."(٥)

فهو يرى أن لا بد من نظرة إلى الوراء لفهم طبيعة العلاقة بين المثقف والسلطة ، نظرة تكون فاحصة لهذه العلاقة ، وذلك منذ الجاهلية مرورا بعصر الدولة الأموية وما جاء بعدها من دولة بني العباس في عصريها الأول والثاني ، وصولا إلى عصرنا الحالي ، حيث يعرض لنماذج من المثقفين والرموز بين الولاء أو التمرد أو الصمت على ما يدور

ويضرب مثالا على الولاء الذي يصل لحد العنصرية والتعصب الأعمى الشاعر الجاهلي دريد بن الصمة ، الذي كانت السلطة في زمنة هي القبلية ، إذ كان يلتزم بقومه مهما تكن مواقفهم ، ويسوغ ذلك في إحدى قصائده المشهورة قائلا :

أمرتهم أمـري بمنـعرج اللـوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

---

(١) - خالد الكركي : قراءات في الثقافة والسلطة والإعلام : حوارات المثقفين المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط١ ٢٠٠١ ص ٣٦

(٢) - خالد الكركي : دم المدائن والقصيد : هواجس عربية ص ٣٨

(٣)- خالد الكركي : الكرز المنسي ، المثقف العربي والسلطة ، ضمن : المشروع الحضاري العربي بين التراث والحداثة ، حوارات في الفكر العربي المعاصر (خالد الكركي وآخرون) ص٣٣

(٤)- ليلى شرف : المصدر السابق ص ٢٣

(٥) - خالد الكركي : قراءات في الثقافة والسلطة والإعلام : حوارات المثقفين ص ٤١

فلما عصوني كنت منهم وقد أرى غوايتهم ، وأننـــي غيـــر مهـتد

وهل أنا إلا من غزية إن غـــوت غويت ، وإن ترشـــد غزيـــة أرشد (١)

وليس بعيدا عن موقف دريد بن الصمة ، موقف عمرو بن كلثوم التغلبي والذي كان في الموقف نفسه مع قبيلته ، حيث يصوره الكركي بأنه " كان سعيدا بموقفه منها ، حتي لو قادته شهوة السلطة إلى أن يصرخ في العالم من حوله ، بأن التميز واقع بين رفعة قوته والآخرين

ونشرب إن وردنا الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا " (٢)

وهذان الرجلان كانت السلطة بالنسبة لهما هي القبيلة ، ولا يستطيعان الخروج عليها ، لأن بديل الانسياق في ركبها هو مجتمع الصعاليك (٣) وفي مقابل موقف هذين ، موقف آخر يمثله الخارجون على السلطة المتمثلة في الخلافة في العصور التالية ، مثل الإمام أحمد بن حنبل الذي سجن ببغداد ثمانية وعشرين شهرا ، لأنه لم يوافق على ما ذهب إليه الخليفة المأمون ومن ولي بعده في مسألة خلق القرآن (٤) ، ولم يختلف عن موقف ابن حنبل موقف الحلاج " الذي حوكم باسم الدين مع أن الغايات السياسية هي الأساس .."(٥)

وقد أشار إلى هذا الموضوع " علاقة المثقف بالسلطة " في موضع آخر من دراسته " رموز الرفض والثورة العربية في الشعر الحديث " والتي ضمنها كتابه " الرموز التراثية العربية في الشعر العربي الحديث " وهو في دراسته تلك يتحدث عن بعض الشعراء والأدباء مثل المتنبي والحطيئة وأبي نواس ، كأشخاص خرجوا على السلطة أو كانت علاقتهم بالسلطة مضطربة (٦) ، فالعلاقة بين المثقف والسلطة في الغالب " علاقة يحكمها الشك وعدم الثقة على الأقل ، وأحيانا يحكمها التناقض والعداء " (٧) وشكل هذه العلاقة " يعد مؤشرا على صعود المجتمع أو تراجعه " (٨)

فقد كان الحطيئة مثلا " هو الشاعر الرافض لجديد عصره والمتمثل في ظهور الإسلام " وكذلك أبو نواس الذي هو " نموذج للاحتجاج والخروج على الساكن الثابت من قيم عصره الفنية والاجتماعية "(٩) أما الخارجون على السلطة من المثقفين في عصرنا الحالي فهم كثر ، ممن حملوا مشاعل الحرية وصاغوا رؤى النهضة لهذه الأمة والذين " كتبوا بالدم عندما ثبتوا في خنادق الدفاع عن الحرية والناس المقهورين ، وبينهم وبين السجون العربية والتشرد في أوطانهم أو في أصقاع الدنيا مطرودين ومنفيين حكايات وحكايات " ومنهم عبد الرحمن الكواكبي وطه

---

(١) – نفسه ص ٤٣
(٢) – نفسه ص ٤٤
(٣) – نفسه ص ٤٤
(٤) – نفسه ص ٥٩
(٥) – نفسه ص ٦٤
(٦) - خالد الكركي : الرموز التراثية في الشعر العربي الحديث مكتبة الرائد العلمية ، عمان ط، ١٩٨٩ص ١٥٦
(٧)- أحمد بهاء الدين : المثقفون والسلطة في عالمنا العربي ، مجلة العربي ، الكويت ، ١٩٩٩م ص ١٨
(٨)- صلاح جرار : المثقف العربي والسلطة ، ضمن ، المشروع الحضاري العربي بين التراث والحداثة ، حوارات في الفكر العربي المعاصر (٤) خالد الكركي وآخرون ، ص ٧٤
(٩) - خالد الكركي : الرموز التراثية في الشعر العربي الحديث ص ٢٢٢ - ٢٢٤

حسين وأحمد فارس الشدياق وحسين مروه وأمل دنقل ومحمد مهدي الجواهري ومصطفى وهبي التل ، وغيرهم من رواد التحدي والعناد " (١)

إن محور العلاقة بين المثقف والسلطة يتمثل كما يراه الكركي " بتجاهل السلطة السياسية في كثير من الأحيان للمثقف ، بل وتطلب من هذا المثقف أن يعترف بشرعيتها ويدافع عنها وعن مواقفها ، وممنوع عليه أن ينتقدها أو يرفض ماتقره ، وإلا فان مصيره النفي والإقصاء والسجن " (٢) .

كذلك فإن المثقف في الوطن العربي والذي يكرس نفسه لخدمة الثقافة العربية - يعاني من الجوع والسجن والقهر والظلم " وما بدر شاكر السياب ومصطفى وهبي التل وتيسير السبول وأمل دنقل وخليل حاوي ومحمود درويش وسميح القاسم ... إلا مثال شاهد على هذا التعسف وهذا الظلم الواقع على المثقفين من قبل المتسلطين "(٣) ، لذلك فقد تراجع موقف المثقف العربي بشكل عام " وقد تزامن هذا التراجع ، وترافق مع قيام الدولة القطرية ، ثم ظهور الأحزاب واتساع التعليم ، وأخيرا بروز الإعلام الموجه " (٤)

٥ : دور الإعلام في تعزيز الهوية الثقافية العربية .

تحدث الكركي في محاضرته " الإعلام العربي بين الأمس والغد " عن دور الإعلام في تعزيز الهوية الثقافية العربية ، حيث يرى أنه لتبين آفاق دور هذا الإعلام في تعزيز هذه الهوية ، لابد لنا من فهم " الموقف من الحرية والحياة ، أعني مدى الالتزام بالإنسان : كرامته وحقوقه في الخبز والكلام والكتابة "(٥) ، وعليه فإن من واجب الإعلام أن يكون ملتزما بثقافة الأمة ولغتها ، حيث يأسف من أن اللهجات العامية أخذت " تمتد عبر الأرضي والفضائي من وسائل الإعلام ، ولا نجد صرخة واحدة في الناس ، تقول لهم إن الترفيه كلام لن يصل بكم إلى نتيجة "(٦)

كما يرى الكركي أن الإعلام هو قاعدة الثقافة ومادتها ، فالإعلاميون هم " وسائط حوار واتصال ، وليسوا جميعا من الأدباء والمبدعين ، ولو أن أهل الثقافة الملتزمين بالأمة والحرية هم الذين تحكموا في وسائل الإعلام الجديدة ، كما وقع لصحف كثيرة ، فان الأمر سيتغير نحو

---

(١) - خالد الكركي : قراءات في الثقافة والسلطة والإعلام : كلام على كلام ص ٧٩ ، ٨٠

(٢) – نفسه ص ٨٤

(٣) – نفسه ص ٨٦

(٤) – عبد الرحمن منيف : الثقافة والمثقف في المجتمع العربي ، منتدى عبد الحميد شومان ، حوار الشهر (٩) ١٩٩٨م ، ص ١٥

(٥) - خالد الكركي : قراءات في الثقافة والسلطة والإعلام ص ١٠٨

(٦)- نفسه ص ١٠٨

الأفضل ، ونصير قادرين على إنتاج جملة من البرامج التلفزيونية والإذاعية ..."(١)

ويتحدث في مقالته " أوجاع ثقافية " التي أشرنا اليها سالفا عن العلاقة بين الإعلام والثقافة والدور الذي يجب أن يؤديه الإعلام حيث يقول :" إن الدور الثقافي المطلوب من التلفزيون الأردني ما زال في جملة الملاحظات الرئيسية في واقع الحركة الثقافية ، إنني أعني الندوة والحوار في القضايا العامة ، في السياسة والفكر والثقافة والأدب والهموم "(٢)

فالمطلوب من وسائل الإعلام وخاصة التلفاز كما يرى خالد الكركي ، التركيز على البرامج الجادة والهادفة مثل البرامج الثقافية والحوارات السياسية والاجتماعية ، وما فيه الفائدة للمشاهد بدلا من البرامج التي طغى الترفيه على معظمها إن لم يكن كلها .

*　　*　　*

وبعد هذا التجوال بين القضايا وأبعادها التي توزعت – كما رأينا – بين البعد القومي العربي والحديث عن قضايا فلسطين والعراق وقضايا الوطن العربي بعامة بين الأزمان الثلاثة : الماضي والحاضر والمستقبل ، والبعد الوطني ومعايشة الكاتب للإنسان الأردني في أشجان حياته اليومية وأفراحه وتطلعاته للمستقبل ، والبعد الثقافي الذي توزع بين الحديث عن مفهوم الكاتب للثقافة وحالها في الأردن والوطن العربي عامة وعلاقة المثقف بالسلطة والتحديات التي تواجهها – يبقى بعد ذلك الإنتقال للحديث عن الجوانب الفنية في مقالات خالد الكركي في الفصل التالي .

---

(١) – نفسه ص ١٠٩

(٢) - خالد الكركي : أوراق عربية ص ٢٦٦

الفصل الثالث

الدراسة الفنية

أولا : النسيج اللغوي .

ثانيا : العناصر الفنية .

ثالثا : توظيف التراث .

الدراسة الفنية

تمهيد :

المقالة من الأنواع النثرية الحديثة التي نشأت وترعرعت في العصر الحديث في الآداب الغربية مع أنها " ليست غريبة عن الأدب العربي القديم ، ولكنها بوصفها مصطلحا لم تظهر في الأدب العربي إلا حديثا في القرن التاسع عشر " (١) فهي منبر يمكن الكاتب من مخاطبة الشرائح كلها .

وما يهمنا في هذا المقام هو المقالة الأدبية واستجلاء عناصرها الفنية التي تشكل قوام الأسلوب الفني لخالد الكركي في كتابة هذه المقالات ، فالمقالة الأدبية تنتمي كما يقول عنها نبيل حداد:" إلى ما يسمى بالكتابة الأدبية (أو الفنية) وهو ضرب من الكتابة لا يتوخى هدفا عمليا وتكون اللغة فيه مجرد أداة توصيل، بل إن غايته جمالية في المقام الأول، وتاتي الغاية الوظيفية في الهدف الثاني ، واللغة هنا ليست مجرد أداة توصيل بل إنها وسيلة خلق وابداع وأداة تصوير لاتقرير " (٢)

وهذا الكلام ينطبق إلى حد بعيد - في نظر هذا البحث - على المقالة الأدبية لديه ، فإنه يتناول الموضوع ويتخيره بدقة ، لينسرب في واحد من الأبعاد : القومية والوطنية أو الثقافية . وينطلق بعد ذلك ليصوغه بلغة شعرية يصفها أحمد المصلح بقوله : " حتى ليخيل لقارئها بأنه أمام كيميائي لغوي متفنن في صناعة سحر الكلمة وايقاعاتها على امتداد مساحة القول في المقالة ككل "(٣)

فقد كان خالد الكركي إذن واحدا من الكتاب الذين ارتقوا بالمقالة في شكلها الأدبي ، بحيث جعلها مقطوعة نثرية تتنسم روح الشعر وخيالاته وصوره الفنية ولغته وعاطفته الصادقه ، ذلك أنه يرقى بالأمور الصحفية " إلى تجليات فنية تعودبها إلى قرار الجوهر وأصل الخطاب وتتحول الأمور من هموم يومية إلى هواجس انسانية "(٤)

وبالاستقراء العام للعناصر الفنية التي تسبغ على لغته وصوره الفنية في مقالاته الأدبية، هذه الهالة من الجمال والقوة في التأثير في المتلقي – فإن البحث يرى أن الولوج إلى

---

(١)- محمد سليم يوسف : البناء الفني للمقالة ، ضمن (فن المقالة في الأردن) ص ١٢١

(٢)- نفسه ص ٥٤ ، ٥٥

(٣)- أحمد المصلح : المقالة الصحفية في الأردن : مقالات الأدباء نموذجا ، ضمن " فن المقالة في الأردن " ص ٧٧

(٤) – نبيل حداد : في المقالة الأدبية : الدكتور خالد الكركي نموذجا ضمن " فن المقالة في الأردن " ص ٦٦

هذا الجانب يكون من خلال المحاور التالية :

أولا : ـ النسيج اللغوي .

ثانيا : ـ العناصر الفنية .

ثالثا :ـ توظيف التراث .

أولا : النسيج اللغوي :

السؤال الذي يطرح نفسه بداية هو عن السحر الذي تثيره لغة خالد الكركي لتؤثر في القارئ وتشركه في فكرة الموضوع وأحاسيسه ، هذه اللغة الساحرة التي تسحب القارئ ليساير ها ويتابعها في سلاستها وانسيابها ، ويأتي الجواب بالقول إن ذلك يعود إلى أكثر من سبب ، يتعلق أولها بلغته التي تمتاز بالسهولة والانسياب ، ولعل هذا من أهم الأسباب التي تحببها للقارئ ، فهو لا يتكلم بالحوشي من الألفاظ ولا الفلسفي منه ولا المعمى ، فهو يتكلم بلغة سهلة واضحة مما يفهمه القراء على اختلاف مستوياتهم الثقافية .

ويتعلق ثاني هذه الأسباب باختياره لموضوعه بحيث يكون من المواضيع التي تثير انتباه القارئ وتدخله في جو الموضوع ، ذلك أن غالب مواضيعه ـ كما أشرنا سابقا في الفصل الثاني من هذه الدراسة ـ تنسرب في الأبعاد الثلاثة : البعد القومي العربي الاسلامي والبعد الوطني والبعد الثقافي ، فتجده يتناول واحدا من جراح الأمة في عصر القهر والظلم الذي تعيشه أمتنا في العصر الحديث ، وينشد على أنغامه بلغته السهلة الواضحة فينغمس في الموضوع ليثير ويتأثر ليشرك القارئ في أحاسيسه ، فهو يتحدث عن جرح جماعي وهم عام، أو يتناول شأنا من شؤون الوطن وشجونه ، ليجد القارئ مشاركا له في العواطف والأحاسيس .

أما السبب الثالث فهو صدق العاطفة والمشاعر ، هذا الصدق الذي يؤدي بالكاتب إلى الانغماس في روح العروبة والوطنية ، فيستلهم كل ما يمكن أن يثير هذه العواطف من موروثات دينية وتاريخية من أي القران الكريم واشعار العرب والوطن وأسماء القادة العرب المسلمين والمعارك والمدن العربية الاسلامية ، وشهداء الوطن ومدنه وصروحه الحضارية ، مما سيلي الحديث عنه تاليا في جزء من هذا الفصل ، إذ " ليست المقالة الأدبية رأيا جامعا مانعا .. وإنما هي تجربة عقلية ووجدانية مر بها الكاتب ، وتمثل خطوطها وألوانها ، وعبر عنها بأسلوبه الخاص الذي يحمل طابع شخصيته " (١) .

حيث تتعاضد هذه العوامل الثلاثة : اللغة السهلة المستساغة التي تشعر كل قارئ عربي

---

(١) ـ محمد يوسف نجم : فن المقالة ص ١٢٠

وأردني بانه يكتب له ، والبعدان القومي والوطني ، وأخيرا صدق العاطفة حيث تتعاضد هذه العوامل لتحدث تاثيرها وسحرها على عين القارئ وسمعه وقلبه ليشاركه موضوعه الذي يتحدث فيه . هذا بالإضافه إلى كثرة توارد الصور الفنية والتشخيص والتجسيد من عوالم الخيال ، مما سياتي الحديث عنه في موضع لاحق من هذا الفصل .

وعلى العموم فإنه يمكن القول إن لغته توزعت في سهولتها ووضوحها بين نوعين من الجمل : الاخبارية والإنشائية ، وإن كان الأسلوب الانشائي قد كثر وروده في مقالاته الأدبية ، مما ساعد في إحداث هذا التاثير الذي تحدثه هذه اللغة .

والكاتب في الجانب الخبري من جمله في لغته لايقصد أن يخبر ليعلم القارئ ، بل يقصد أن يثيره ، يقول نبيل حداد عن لغة الكاتب في هذا الجانب : " إن كاتب المقالة الأدبية هو " مؤلف " طموح يسعى إلى أن يستولي على وجدان متلقيه بحيث يحتل نصه أقطار هذا الوجدان أطول مدة ممكنة ، وهكذا فإن الكركي لا يمارس بالخبرين السابقين - دور " الإخباري " بل إنه يسبغ عليهما اشعاعا فنيا وإنسانيا ، تتلاشى إزاءه كل عناصر الجدارة الاخبارية من " وقتية " ومحلية " و " طرافة " و " صراع " وغير ذلك .... إنها لغة لاتكتفي بملامسة الحدث بطريقة تقريرية غايتها التواصل فحسب ، بل لغة تصويرية غايتها فنية في المقام الاول "(١)

بمعنى أنه لايعمد ولا يقصد إلى إيصال الخبر وتقرير المعلومة ، فقد تكون هذه المعلومة معروفة لدى القارئ ، ولكنه يتناولها في جو لغته العابق بالتصوير الفني والانفعال العاطفي الحسي ، بحيث تؤدي الجملة الاخبارية دورا فنيا مختلفا عما هو مطلوب منها من حيث ايصال الخبر القابل للصدق أو الكذب ، لأن كاتب المقالة " أديب يتأمل الحياة ويصور انعكاساتها في نفسه وأثر وقوعها على وجدانه " (٢). فهو يقول في مقالة " الربيع والديمقراطية " :

" هذا هو الربيع يختال في السهل والجبل ، وهذه ليالي المدن والقرى الأردنية تطول بأحاديث الانتخابات التي اقتربت مواعيدها في عدد من النقابات المهنية ... إن حرية الاختيار تعني مسؤوليته ، والصوت الذي يحدد هذا التوجه أو ذاك مهم وعزيز ، ذلك أن درجة حريته مرتبطة بدرجة وعيه ، وهذا الوعي لابد وأن يكون طالعا من هذه الأرض كما هو الربيع الذي نسعد به..."(٣)

فقد قرب الكاتب في عنوان المقالة بين جزئيتين من مكونات الوطن : الربيع والديمقراطية وهما من الألفاظ السهلة الدارجة على كل الألسنة ولكن ارتباطهما يوحي بمعان كثيرة لعل من

---

(١) – نبيل حداد : في المقالة الأدبية: الدكتور خالد الكركي نموذجا ، ضمن " فن المقالة في الأردن " ص ٦٤

(٢) – محمد يوسف نجم : فن المقالة ص ١١٩

(٣) - خالد الكركي : أوراق عربية ص ١٣ ، ١٤

أبرزها الأمل والرجاء أن تسبب الديمقراطية في هذا الوطن سعادة الإنسان الأردني كما يسببها الربيع ، أو اعتقاد الكاتب أن الديمقراطية سوف تغدو جزءا من نبت الأرض الأردنية وحياة الوطن كما هو الربيع .

ثم درج يتحدث بلغة سهلة في مجموعة من الجمل الإخبارية كما رأينا ، فهل قصد الكاتب تقرير المعلومات التي أوردها ؟ في غالب الظن أنه لم يقصد التقرير وإنما صور الربيع مختالا في سهول الوطن وجباله ، وقرن ذلك بأحاديث المدن والقرى الأردنية عن الانتخابات التي هي مظهر من مظاهر الديمقراطية ، ليوحي بالأمل الذي أشرنا إليه سابقا وهو تجسيد الديمقراطية واقعا وجمالية من جماليات حياة الوطن والإنسان الأردني كما هو الربيع .

ويقول في موضع آخر عن شخصية سيدنا جعفر الطيار – رضي الله عنه - : " هذه كتابة من زمن الوعي الأول لنا ... وكم جذبنا سهل المعركة إليه ، وأهلنا الكبار يتحدثون عن صباحات تبدي للرائي في عين الحلم ما يظنه يقظة ، إذ تظهر ، قبل أن تطلع الشمس من خدر أمها على السهل المبارك ، غمامة من ضباب تملأ الشعاب غربي مؤتة ... " (١) . فهو يتحدث عن الوصف الجغرافي للمنطقة التي وقعت فيها معركة مؤتة لا ليصفها ولكن ليشرك القارئ في الجو التاريخي العابق بالذكرى الخالدة التي يرددها الكبار على مسامع الصغار. لتظل بطولة جعفر الطيار المثل الأعلى في عيونهم .

ويخاطب الجامعة الأردنية في مقالة بعنوان " الجامعة الأردنية : ذكريات ورؤى " تتسلسل فيها مجموعة من الجمل الاخبارية وتتواتر قائلا :

" كان ذلك الزمان الطيب في أوائل الستينات من هذا القرن ، يوم طلعت في سماء الجبيهة نجمة رأت بستانها الأخضر فأحبته وغفت على صدر الغابة الرائعة الممتدة بين مشارف عمان وآفاق السلط .... وهذا هو مبنى إدارتها الجديد يشير إلى أننا قادرون على نحت الصخر حجرا حجرا ... هي بيت لكل مواطن .... مونل لكل باحث ...."(٢)

فالجمل الإخبارية تتواتر وتتابع في بناء لغة الشاعر لا لتفيد الخبر أو تؤكده ولكنها تاتي جزءا من بناء لغته الفني في فضاء الصور الفنية والعاطفة الجياشة فتظهر هذه الجمل وكانها جزء من نشيد لا جمل خبرية بحد ذاتها .

ويقول في مقالته التي تحمل عنوان " العبور إلى القدس " :

" كنت أمد يدي إليها ، وكان الصباح حزينا يسافر نحو الزمان الذي ظل فينا من لحظة تاريخنا

---

(١)- خالد الكركي : ورد ورماح : قراءات في البطولة ص ٩
(٢)- خالد الكركي : أوراق عربية ص ٣٥

الأولى في القدس ، إلى لحظة عبورنا للنهر في الطريق اليها ... وكنت أبدأ سطوري العاطفية هذه حين فتحت جرائد الصباح .... وأعيد إلى قومي النداء ونتذكر صلاح الدين ونذكر مؤتة واليرموك والكرامة ...."(١)

ويقول كذلك في مقالته التالية "... وسلامي لكم ، يا أهل الأرض المحتلة "١" راويا بعض أخبار الانتفاضة :

" قال مسؤولون من الأمم المتحدة في غزة إن جنود الاحتلال ربطوا شابين فلسطينين في خان يونس بسيارة عسكرية دارت بهم أنحاء المخيم " .

ويقول أيضا :

" اقتحمت قوات إسرائيلية مستشفيات الاتحاد النسائي في نابلس وعالية في الخليل والشفاء في غزة .... واعتدى الاسرائليون بالضرب بالهراوات والعصي على الجرحى "(٢) .

هذه الجمل نسمعها كل يوم هي ومثيلاتها من أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية ، ونسمعها منه هنا في هذا المقام ، لكنها لم تؤد الدور الذي كانت تؤديه عند صدورها من أجهزة الإعلام ووسائله بل إنها تتحول هنا لتصبح جزءا من هذا النسيج اللغوي الفني ، في تناسق جمله الإخبارية والإنشائية التي تنظمها إرادة الكاتب المبنية المنبثقة من قناعاته الفنية وقدرته على التنسيق ، وقد ذهب ستيفنستون إلى أن الأسلوب الأدبي يقوم على أربعة عناصر : إختيار الجمل وتنسيقها وتركيبها وإيقاع العبارات ومضمونها (٣) ، حيث يلاحظ القارئ قدرته على اختيار الجمل في تنسيق محكم وإيقاع مؤثر ومضمون كبير .

ويقول في موضع آخر :

" إنها الحرب ، وإنه التاريخ ، والحرب " قد تثقل القلب " ... من هنا كانت حرب الاستنزاف على الجبهتين المصرية والأردنية في هذا السياق ، وكان الملك حسين طيب الله ثراه ينادي على الأردنيين والعرب في خطاب بمناسبة عيد الفطر في الليلة الأخيرة من سنة ١٩٦٧ ... إنهم أبناء هذا كله ، وهم ورثة حضارة صخرية ، لكن صخرها بلون الأرجوان ، وتلك هي البترا في الذاكرة ... " (٤) فليس المقصود الأخبار بحد ذاتها في هذا السياق من الكلام ولكن المقصود الإشادة بهذا الوطن وقيادته وشعبه في صمودهم ضد إرادة العدو الغازي .

ومثال آخر من مقالته " بغداد : للقتلة وجه واحد " ، يقول فيه :

" السكوت في وقت الكلام خرس " ... والعرب يستشعرون الظلم الواقع عليهم ، وهم بين

---

(١) – نفسه ص ٩٥ ، ٩٦
(٢) – نفسه ص ٩٧
(٣) – محمد يوسف نجم : فن المقالة ص ١٢٤
(٤) - خالد الكركي : ورد ورماح : قراءات في البطولة ص ١٢١

السكوت والعجز موزعون ... " وحسبك داء أن تصح وتسلما " ....

- يحتلون العراق العظيم ، ويتحدثون عن إعماره ،
- يسرقون كتبه ومتاحفه ، ويقولون تعالوا إلى حوار الحضارات ،
- يمزقون نسيجه الاجتماعي طوائف وأعراقا ، ويتباكون على الديمقراطية
- يستبيحون البيوت والحرمات ، ويتحدثون عن حقوق الإنسان ، "(١)

ولو تتبعنا الأمثلة لوجدناها كثيرة ، ولكن الجملة الإخبارية هنا لاتلعب ذات الدور ولا تؤدي ذات الفعل من طرح الخبر القابل للصدق أو الكذب ولكنها تشكل جزءا من لغته المغلفة بصدق العاطفة ورؤى الخيال والصور الفنية ، لتساهم في التعبير عن وجهة نظر الكاتب وتنفس عن بعض ما يجول في نفسه ، وتترك للقارئ فيما بعد أن يحس بما يحس به الكاتب ويشاركه المشاعر ، بمعنى أنها تساهم في التأثير في القارئ .

أما النوع الثاني من الجمل في لغته هنا فهي الجمل الإنشائية والتي يمكن القول بقدر كبير من الثقة إنها تشكل الجزء الاكبر من نسيج لغته في مقالاته الأدبية ، فقد اعتمد على الأسلوب الانشائي بكثرة فاستخدم أساليب النداء والاستفهام والتنبية والأمر والنهي وكأنه خطيب يقف على منبره ويصيح ليستثير الهمم ويجيش العواطف لتشاركه وتسمع لما يقول . حيث يقول نبيل حداد عن لغته في هذا المقام : " ليس لدى الكاتب هنا " وجهة نظر " بل موقف فكري وشعوري يطالبنا الكاتب لا بمجرد تمثله بل تبنيه من هنا يمكن القول إن ما يقدمه منشئ المقالة الأدبية هو " إنشاء " يتوخى هدفا ما يجاوز كثيرا هدف الإخبار الذي يسعى اليها كاتب المقال التقريري ، ان كاتب المقالة الأدبية هو " مؤلف" طموح يسعى إلى أن يستولي على وجدان متلقيه بحيث يحتل نصه أقطار الوجدان لأطوال مدة ممكنة ، وهكذا فان الكركي لايمارس ... دور الاخباري بل إنه يسبغ عليها اشعاعا فنيا وانسانيا تتلاشى إزاءه كل عناصر الجدارة الاخبارية من " وقتية " و " محلية " و" طرافة " و " صراع " وغيرذلك "(٢)

ولنحاول فيمايلي ضرب أمثلة من مقالاته ، فها هو ذا يقول في المقالة السابقة الذكر :"... وسلامي لكم يا أهل الأرض المحتلة "١" :

" هذه صورة الصهاينة ... بل هذا هو رعبهم وخوفهم حين تأججت الثورة في فلسطين ...

- يا أم محمود ... يا سيدة الأرض والثورة يا ذات السبعين ربيعا ... لدم أبنائك أن يمتد حتى يشمل

---

(١) – خالد الكركي : بغداد لا غالب إلا الله ص ٥٥ ، ٥٦

(٢) – نبيل حداد : في المقالة الأدبية : الدكتور خالد الكركي نموذجا ، ضمن " فن المقالة في الأردن " ص ٦٤

الزرع فتزهر سنابله ...

- يا أم محمود ... نكتب وننحني لإرادتك ولدم شهداء الثورة الشعبية في فلسطين كلها ...

- يا أم محمود ... لقد احتل الصهاينة الأرض ولكنهم لن يحتلوا لحظة واحدة من حنين الأمة إلى فلسطين ... فهل بعد هذا التحدي يا أم محمود إلا أن نبدأ درس الأمة بسر الحلم ... وللقدس سلام ... لأن " الغضب الساطع آت .." (١)

فقد أكثر الكاتب من استخدام اسلوب النداء والتكرار ، فنادى أم محمود التي تمثل رمزا من رموز صمود الأمة وتحديها ، وكرر هذا النداء أكثر من مرة واستخدم أسماء الإشارة " هذه... بل هذه " ثم نفى واستفهم وأخيرا طرح السلام ليوصل المقالة إلى نهاية ، إذ إنه لو أراد لها أن تمتد لامتدت ، ولكن لابد من " القفلة " فكان السلام على القدس توقفا مؤقتا حتى يعود الكاتب ليتابع في المقالة التالية " وسلامي لكم يا اهل الأرض الحتلة "٢" لينادي ويكثر من استخدام أسلوب النداء قائلا:

" يا أهلنا .. يا نحن .. يا دمنا الأول الذي حملناه في رايات الفتح ، ونثرناه في أودية الدنيا ... وسوف نقيم عند كل منحنى ونهر منجنيقا هائلا ... وسوف نفك حجارة القلاع إن لزم الامر لتكون وقودا له ورجوما على الأعداء... .....

يا أهلنا في فلسطين .. بل يا أهلنا في السودان ولبنان الذين يقاتلون الصهاينة والعملاء والمرتزقة ... هذا صوتكم الطالع من جمر الحجارة العربية ... وهذه صورة ذلك البدوي العربي في النقب تسكن صفحات الجريدة .... وما خبا صوته في النشيد ...

ويا أرضنا المحتلة ... كوني صلبة تحت أقدام الفتية .. وزيديهم بالحجارة .. وكوني سيوفهم المصبوغة باللهب .. كوني شفاء حناجرهم ... كوني لهم كما يريدون فهم الأحبة في الطليعة ... عشرون عاما ونحن نعد الليالي : مرة بعد زمن الكرامة العظيم ، ومرة بعد زمن رمضان الكريم ،ومرة بعد صمود بيروت .. وما نال الغزاة منا ... ومرة ثالثة على جنوبى الصحراء العربية كلها ...

هذا هو زمن المد العربي الجديد ..."(٢)

فنلاحظ إذن كثرة استخدام الكاتب لأسلوب النداء بأداة " يا " واستخدام عبارة " سوف " التي تحمل معنى التصميم وتؤكد نية الفعل واستخدامه لأساليب التنبيه باستخدام أسماء الإشارة " هذا...هذه " واستخدام أسلوب الأمر وتكراره أكثر من مرة وأسلوب النفي ، وتكراره لكلمة " مرة " عدة مرات .

---

(١) - خالد الكركي : أوراق عربية ص ٩٧ ، ٩٨ (٢) – نفسه ص ٩٩ ، ١٠٠

هذه الأساليب التي تشعل جو المقالة وكأنها خطبة عصماء في يوم كريهة والخطيب ينادي ويستثير الهمم ليشاركه القارئ عواطفه الجياشة الصادقة ويقف معه في الخندق نفسه.

ويقول أيضا مخاطبا " أبا محمود " في مقالة " العم أبو محمود والعم سام "يقول :

" فيا أبا محمود ، ولأقل يا أبا إبراهيم ويا أبا خليل ... أيها الرمز العربي الفلسطيني الطالع من غضب أربعين سنة بل من سبعين سنة ويزيد ، ما ضاعت الأرض ولا أضعنا الفتية الذين آمنوا بتحريرها .. أيها العم الذي ننتسب وإياه إلى الأمة الواحدة بما فعله (العم سام) بفيتنام بل كيف قاومه رجل فيتنام الكبير ..فاسمح لي بهذا النداء الذي أختاره لك هذا الصباح ...

أيها العم العزيز....

.... هذا هو دفاعكم الذاتي عنكم ، وعن الأمة بل عن قيم النضال الإنساني كلها ، ولستم محتاجين إلى قرار أمريكي في حقوق الإنسان ... ولستم بحاجة إلى صحوة ضمير من مسؤول غربي ...

ها أنتم تعودون إلى (جذرية نضالية)....

يا أبا محمود....

... وهذا يا أبا محمود بعض ما قاله ، والنار مشتعلة في فيتنام مناضلها هوشى منه ... وهذه هي الجذرية التي نستمدها منكم ...

فاقرأ علينا درسنا الجديد يا أبا محمود ، وعد بنا إلى أصل المعادلة ... وإن سألك محمود عن أعمامه فقل له إنهم (يهزون المنابر) منذ عشرين سنة ، بل ومنذ أربعين ، فوسع لهم أفق الزمان لعلهم يدخلون ...

وسلام عليك يا أبا محمود ، يا أيها العم العزيز ، لفلسطين المجد ،ولأهلها التحية ، ولثورتها النصر ."(١)

فالملاحظ غلبة استخدام الكاتب للأساليب الإنشائية ، فقد أكثر كما رأينا من استخدام أسلوب النداء بأداة " يا " و" يا أيها " واستخدام أساليب الأمر والنهي والاستفهام والتنبيه باستخدام أسماء الإشارة وأداة " ها " للتنبية ويقول في مقالته التي تحمل عنوان "مصر التي في خاطري ....- عبد الناصر -" مخاطبا رئيس مصر الراحل جمال عبد الناصر الذي كان رمزا من رموز القومية العربية ، ولنلاحظ كثرة ورود الأساليب الإنشائية فيها حيث يقول:

" لا أبكيك أبا خالد ولا أرى ذكرى رحيلك إلا إضاءة لهذا الزمان الذي كانت فيه مصر معك وكنت معها ومع الأمة كلها لا ، أبكيك ولا أفقد الرجاء بمصر ، حتى لو صار لها سفير في الكيان

---

(١) – نفسه ص ١٠٥ ، ١٠٦

الصهيوني ...

.... هذه مصر التي تركتها لزمن الانفتاح الساداتي - الأمريكي لم تزل تنتظر مخاضها التاريخي ... سنخبئ كل أسماء أحرار الأمة ودعاة حريتها وضمير فقرائها في القلب ، وسنرى بعيون لا يخدعها السراب ... وسوف نجعل أقلامنا ودمنا مع كل الذين يقفون في مواجهة الخطر الذي يتهدد الأمة ...

... أبا خالد ...

ها نحن نحمل جلال الذكرى ... وها نحن والقدس على مد النظر منا ... وماذا عليّ لو سمحت للحزن المخزون أن يمتد..(١)

ويقول في موضع آخر من مقالته " أصخرة أنت ....! " :

" جارحا وبهيا جاء صوتها بعد غياب .... فيا أيتها النجمة التي تطلع من حجر ميشع المؤابي الذي أذاق العبرانيين مرارة الهزيمة ذات زمان سحيق : لقد وجعت أرواحنا من هذا الصمت العربي الكئيب ، !!

قالت : ولم تتبع التائهين ... ! أم أنك من غزية " إن غوت غويت " !!

.... وليت الغضب يجتاح روحها وهي ترى العراق العظيم نهبا للطامعين ... " (٢)

ويقول في مقالته " زمانان " :

" من أجل هذا ينادي الصباح على الناس أن استيقظوا أيها الغافلون ،

وكونوا مثل الماء يتفجر عيونا ،

ومثل الريح تتولد في الهواء ،

وكونوا وقود المقاومة ،

واجعلوا أعداءكم الجلادين حطب هذه الحرب في هذه السنوات الصفراء ....

واكتبوا على الدفاتر والجدران والسنابل ...

وأتوا من فوق

وأتوا من تحت ، ....

فليذهبوا ، فليموتوا ... موتهم يكفينا !!

هذا هو الموت الذي نراه شهادة ، وهو ضد الموت ، وهو طريق إلى الحياة ... " (٣)

---

(١) – نفسه ص ١٦٢ ، ١٦٣

(٢) – خالد الكركي : بغداد لا غالب إلا الله ص ١٠٣

(٣) - خالد الكركي : تحولات الرجل اليماني ص ٥٦

ولو مضينا معه نستطلع مقالاته الأدبية ونورد الأمثلة لوجدناها في جلها تسير على نفس الوتيرة من استخدامه لهذه الاساليب الإنشائية ولانقول إنه يتكلفها أو يتصنعها ، بل الواقع أن ظرف الأمة الذي تعيشه ويعيشه معها ، يتطلب مثل هذا النوع من الخطاب باستخدام النداء والاستفهام والأمر والنهي وأدوات التنبيه لأن الأمة تصارع نفسها وهي بحاجة للخروج من هذه الحالة .

ثانيا : العناصر الفنية .

يمكن للدارس أن يلاحظ في أسلوب خالد الكركي ثلاث سمات فنية وهي :-

أ- اعتماده بكثرة على الصور الفنية النابعة من صميم الخيال وكثرة ورود التشخيص والتجسيد .

ب - استخدامه ما يمكن تسميته" تداخل الشعر بالنثر " في كتابة مقالاته ، ذلك أنه يتحول من السرد النثري إلى كتابة مقاطع من الشعر الحر من بنات فكره في ثنايا مقالاته .

ج - استخدامه في بعض الأحيان أسلوب" القص "وذلك عن طريق توظيف بعض عناصر من القصة من تسلسل الأحداث والمكان والزمان والحوار .

وتفصيل هذه المحاور كما يلي :

أ - ففي الجانب الاول . نكاد نلاحظ عدم خلو مقالة من مقالاته الأدبية من الصور الفنية من تشبيهات واستعارات وتشخيص وتجسيد ، ولا غرابة في ذلك لأنه يسبغ على موضوعاته روح الخاطرة ، وكتابة الخواطر كما هو معلوم تجنح بالكاتب إلى الاعتماد على الأخيلة والصور الفنية بكثرة .

ولو تصفحنا الأمثلة لوجدناها كثيرة ، ولنقرأ بعض السطور هنا من مقالته " من غزة إلى الفاو: دم عربي واحد" حيث يقول:

" عامان يا عراق والموج عند الفاو يرقب مد الغضب القادم : وأرواح الذين يحملون الوفاء لزماننا القومي تستمد صبرها من صبركم العظيم ...

... يا أيها الزيتون المخضب بدم الشهداء في قرى فلسطين ومدنها ، هذا الصباح لك فسلم على النخيل الذي يشدو لمليون مقاتل يدفعون الريح الأجنبية عن الوطن ، ويا أيها القصب الذي ألف الهور وتحول معه إلى سيل من الغضب ....

عشرون عاما يا " غزة " وعامان يا " ميناء الفاو" وأربعون يا حيفا ... حتى يتحطم غزو الصهاينة ... هذا زمان الصعود إلى عالم من رصاص ونار ... زمان الشجر الذي يورق رماحا والقرى التي تتقاسم الرغيف والخناجر ...."(١)

---

(١) - خالد الكركي : أوراق عربية ص ٢٢٢ ، ٢٢٣

حيث نلاحظ أن كلا من : العراق والموج والأرواح والزيتون والنخيل والقصب وغزة وميناء الفاو وحيفا ، كلها استحالت أشخاصا تنبض بالحياة ، فهو يناديها ويستحث الهمة فيها ويطلب منها أن تعبر عما يعتمل في صدره من غيرة على أحوال الأمة وأمل بنصر قريب لها .

ولو أردنا أن نفصل لقلنا إن هذه استعارة تصريحية وتلك استعارة مكنية ولكن البحث يرى من الأفضل أن ندعو هذا الأسلوب " بالتشخيص " ذلك أنه يخلق من هذه الجمادات او النباتات اشخاصا يخاطبهم . وفي موضع آخر نسميه " التجسيد" لأنه يحيل أوراق الشجر وأغصانه أجسادا على هيئة رماح . فالعاطفة الصادقة والانفعال وروح الخاطرة المرسل إليه هي التي أملت عليه هذه الصور ولاريب .

وهذا مثال اخر من مقالته " السيف أصدق " حيث يخاطب السيف وينفخ فيه الروح قائلا عنه وقائلا له : " يا للسيف العربي الصامت المخبأ في الجوانح ... أمد إليه روحي بالكلام العربي الذي يحب ، لكنه يتكئ على وجعه الجميل .....

كان السيف يدخل زمن صوته وبهجته ويتذكر طارق بن زياد ويدخل في حدائق غرناطة ....

أي سيوفنا أنت ؟....

فيا أيها القادم حتى تكتمل دورة زمن الحجارة الغاضبة بالسيوف التي " في متونهن جلاء الشك والريب "...

ويا أيها الوعد بالخيل والرايات والدماء والشهادة ، ويا أيها الباكي على الفارس مالك بن الريب ... فانت عندهم " البتار " و" اليماني" .... وأنت " قاضي القتال " وقد اتخذوك قنديل زمانهم النضالي كله ... وسوف نهزك حتى يتساقط عنك صدأ النسيان ، ونستفزك حتى ... نقرأ على مسمعيك شعرنا العربي كله ... حتى تتذكر وحتى تعود إلى غضبك ...."(١)

فقد اتخذ من السيف شخصا نابضا بالحياة ، يقرعه بالكلام ليستفزه ، فهو الصامت في زمان القهر هذا ، وهو الذي يمد إليه روحه بالكلام العربي الذي يحبه . فهو يصمت ويحب ويبكي وينسى ويسمع ويتذكر ويغضب . وما من شك أن خالد الكركي قد بث فيه الحياة لأنه الرمز الأنسب من بين كل الرموز التي ترتبط بالكرامة العربية التي ران عليها الصمت ، وتلبد عليها صدأ الذلة والمهانة .

ومثال آخر من أحدث مقالاته الأدبية بعنوان " نسرين.. السفر بين مؤاب ودمشق " حيث يخلق في خياله شخصية نسرين ويخاطبها ويضفي عليها بعض التشبيهات التجسيدية قائلا :

---

(١)- نفسه ص ٢٢٤ ، ٢٢٥

" تلك هي ، شالها المؤابي المرخي على شعرها الحرير .... وقد أضناها المسير من مؤاب إلى دمشق ... تلك هي مطر يهطل في الحميدية ... تلك هي لازورد البحر وغمام نسيان ، ونبيذ دير صلى به الرهبان والعشاق ، وغزال شارد في اللامتناهي ..."(١)

فقد ابتكر الكاتب شخصية نسرين من بنات ذهنه ، ثم أضفى عليها بعض الصفات ، مشبها إياها بالمطر وبحجارة اللازورد والنبيذ ثم الغزال .

وها هو ذا يخاطب شخصية صلاح الدين الأيوبي في مقالته " دمشق بين يدي صلاح الدين " ليقول من ضمن ما يقول في هذه المقالة :

" تشتعل الذاكرة بك أيها الكبير ... لكن حوران تذكرني بالضد ... دمشق التي كتبت درس التاريخ الأول ، ومدت ظلها بين الصين والأندلس .....

دمشق عطشى للوحدة .....

نقول له : أحلامنا مبعثرة يا أبا زياد ، فيخبرنا أن عمر الابداع أطول من عمر الزمن ، ويقول إنه ينحي الوجع جانبا ....ونرى وميضا وحلما وزمانا قادما وياسمينا يعطر ليل دمشق .... "(٢)

فتشتعل الذاكرة ، وتكتب دمشق درس التاريخ الأول ، وتمد ظلها بين الصين والأندلس ، وتعطش للوحدة ، والأحلام تتبعثر .

وتستحيل مدينة البصرة امرأة ، يشيد بأبنائها في مقالته " كان بالبصرة رجل يدعى ... " عندما يقول :

" البصرة زهرة العشق وكتاب المحبين .... هذه المدن التي لابد أن تعلم الناس الحرية كي يصعدوا إلى حتوفهم باسمين !!

فمن يسند البصرة ،

من يمنحها حزمة ضوء ،

.....

ومن يعتذر لها وللأمة عن هراء كثير يطلقه الخائفون والمتآمرون !

.....

قد تظل العواصم التي تشيح بوجهها عن العراق نائمة ، .....

إنها البصرة ، فالضياء والريح والسياب ينادي أن " ليس سوى العراق " .... " (٣)

---

(١)- خالد الكركي : نسرين .. السفر بين مؤاب ودمشق ،، صحيفة الرأي ، ع ١٢٧٦١ ص٤٣

(٢) ـ خالد الكركي : بغداد لا غالب إلا الله ص ٤٦ ـ ٤٩

(٣)- نفسه ص ٩٦ - ٩٨

وهكذا فاننا نجد هذا التواتر ونحس به في أسلوب خالد الكركي ، حيث يعتمد بكثرة على أسلوب التشخيص وإضفاء الحيوية على الجمادات ، فتجدها تنبض بالحياة ، واعتماده بكثرة كذلك على التجسيد والتشبيهات النابعة من بنات خياله ، وشيوع روح الخاطرة في ثنايا هذا الاسلوب ، وهذا عائد في نظر هذا البحث إلى روح الكاتب الانفعالية ، وإلحاحه الشديد على القارئ ليشاركه هذا الانفعال النابع من صميم العاطفة الصادقة ، حيث يأتي دور إحساس الكاتب " لما يشاهده أو يتأمله أو يدركه ويعقله ، والذي يترجم في داخله إلى رضا أو قلق يتحول إلى ثورة "(١) وكذلك الايمان بالقضية موضوع الحديث ، وعائد كذلك إلى لغة الكاتب الشعرية التي " تعتمد على الموقف أكثر من اعتمادها على الشخصية ، ففيها تكثر التشبيهات والاستعارات في محاولة الوصول إلى أقرب صورة إلى الشعرية لتصوير الحالة " (٢) .

ب - أما الجانب الثاني الذي رصدته هذه الدراسة في أسلوبه الفني ، فهو " تداخل الشعر بالنثر " فهذه الدراسة تتفق مع رأي أحمد المصلح الذي رصد الروح الشاعرية في مقالات الكاتب وقال : " تستعير المقالة من الشعر طاقة الانشاد ، خاصة في مفتتح القول ، ولهذا كانت بعض المقالات نشيدا أو ما يشبه النشيد "(٣) فالمقالة الأدبية تتقاطع بهذا مع الأجناس الأدبية الأخرى ، فتستمد من الشعر طاقة الإنشاد ، كما أنها " استطاعت أن تكتسب شيئا من شفافية القصيدة أو القصة أو السيرة الذاتية " (٤)

فروح الشعر تتناثر في طيات مقالاته حيث تستمد من الشعر طاقة الإنشاد وهذا على صعيد اللغة والتصوير والموسيقا والانفعال العاطفي ، وكذلك فإن الكاتب قد أكثر من استلهام الموروث الشعري العربي القديم والحديث ووظف الجزيئات من أبيات الشعر أو الأبيات الكاملة وأحيانا القصائد الشعرية كاملة - وظفها لتسهم في كشف القناع عن حقيقة مشاعره ولتشرك القارئ في هذه المشاعر ، لذلك فقد كان في مقدور الكاتب بكل سهولة أن يتحول من السرد النثري إلى تضمين مقالاته هذه مقاطع من الشعر الحر من تأليفه ، حيث ينساق الكاتب في مقالاته المسترسلة المنسابة في عذوبة لغتها وجمال تصويرها وانفعال أحاسيسها إلى أن يتحول في موضع منها منشدا بعض ابيات الشعر الحر " وقد أشار النقاد في معرض دراساتهم النقدية الحديثة إلى ما يسمى بتداخل الأجناس الأدبية باحتساب أن النصوص الأدبية أنظمة تعبيرية خلاقة ، تكون اللغة

---

(١)- عبد القادر الطويل ، المقالة في أدب العقاد الدار المصرية اللبنانية القاهرة ط١ ١٩٨٧ص٣٥

(٢)- عبد الله رضوان : البنى السردية : دراسات تطبيقة في القصة القصيرة الأردنية ، منشورات رابطة الكتاب الأردنين ، بدعم من مؤسسة عبد الحميد شومان ، عمان ، ١٩٩٥ ص٥٩

(٣)- أحمد المصلح : المقالة الصحفية في الأردن ،: مقالات الأدباء نموذجا ، ضمن (فن المقالة في الأردن) ص ٩١

(٤)- محمود أحمد الحلحولي : عناصر المقالة القصصية ، ضمن (فن المقالة في الأردن) ص ١٤٩

فيها مادة تكون وحدات نظامها الأدبي " (١) وقد كثرت هذه الظاهرة في أسلوبه وتعددت المواضع التي استخدم فيها هذا الأسلوب والأمثلة على ذلك كثيرة .

ولو بقينا في جو مقالته السابقة الذكر " نسرين... السفر بين مؤاب ودمشق" فإننا نجده يربط بين حبه لمؤاب التي تمثل مسقط الراس بالنسبة له ودمشق التي هي قلعة من قلاع العروبة وحصن من حصون الإسلام ، فيتمثل رحيل الشخصية التي ابتكرها " نسرين " بين مؤاب ودمشق ، حيث يتحدث " نثرا " ثم يتحول لينشد مقاطع من الشعر الحر من تأليفه ، حيث يقول :

" وتصمت أجراس كنيسة في مؤاب حزنا على غيابها ألف عام

أقترب من الضريح

الناس في ضجيج مثل زمن أيوبي بعد انتصار حطين

والسيدة تقرأ في مصحفها ، وتهز نخيل حزنها الكربلائي الزيني في ساحة المسجد الأموي ...

الأشياء بأضدادها :

التذكير والنسيان

والنصر والهزيمة

والحرية والاستبداد

والعشق والموت ...

كفاها وصاية مكتوبة بأرجوان العشق والعذاب وروحها صهيل عامر بالحرية بين دمشق والكرك. .."(٢)

فقد تحول الكاتب كما رأينا من لغة النثر بالتدريج حتى أدخل القارئ في جو مقطوعته من الشعر الحر إلى أن عاد بالتدريج كذلك إلى لغة النثر ، ولم يشعر القارئ بالغرابة ولا بتغير الموسيقا لدى هذا التحول والرجوع ، فالشاعرية كما قلنا منبثة في الجانبين : النثر والشعر .

ومثال آخر من المقالة التي تحمل عنوان " عز الدين القسام يصعد إلى يعبد " والتي يخاطب فيها هذا الشيخ الشهيد قائلا له :

" ها أنت تنهض في سواعدهم راية لاتنكسر لها سارية ....

هذه فلسطين يا مولاي الشيخ ... إنهم خيول طالعة من تاريخ دمنا ورفضا لكل احتلال وظلم ويبدأون كتابة جديدة بالسيف والكبرياء "(٣)

إلى هنا ينتهي النثر ، ويتحول بتخلص جميل لينشد مقاطع من الشعر الحر يقول فيها :

---

(١)- رفقة دودين : السمات المقالية والسمات القصية ضمن (فن المقالة في الأردن) ص ١٨٦

(٢)- خالد الكركي : نسرين .. السفر بين مؤاب ودمشق ، ، صحيفة الرأي ، ع ١٢٧٦١ ص٤٤

(٣) - خالد الكركي : أوراق عربية ص ١١٥ ، ١١٦

" يا شيخ الثورة انهض .

ها قد طلعت شمس كبرى من حزن القدس وغضب النهر

وامتدت راياتك بين جبال النار وبين البحر

ونقرا في كفيك نشيد الجمر

.....

ونقرأ في كفيك نشيد الجمر

ونمد البصر إلى الرايات

.....

تتبعها في الساحات أكف ألف

في طفل يحمل في عينيه وجه القدس

ويلغي من دفتره الخوف وكلمة قف "(١)

وهنا تتوقف موسيقا الشعر ليعود إلى النثر مرة أخرى قائلا :

"هذا هو سرى قومك وموعدهم مع الفجر عند أسوار القدس ... عليك الف تحية وسلام "(٢)

ويستفتح مقالته " زمان المحبين " بقوله :

" أمس هبت ريح الصبا ، القطا نائم ، ومؤاب بعيدة ، ووجع غيابك يستبد بي ، "

ثم يتبع هذا الكلام بمقطوعة من الشعر الحر تنشد ذات الأنغام ، وتعزف على ذات الوتر فيقول :

" وقد اجتاحني الطلل .... فأجهشت ،

وأمس ،

" وقفت على ربع مية " ،

كنت أبكي عنده وأسقيه ،

وأبثه ،

كنت أنظر وجهك لعله يطلع من جرح هذا البلد ....

طال صمتك ، أما الطلل فكلمتني " أحجاره وملاعبه " ..." (٣)

ثم يعود إلى لغة النثر مرة أخرى قائلا :

" وفي هذا المساء الذي لوعه الحزن ، كتبت غاضبا على الجذع نفسه ... " (٤)

---

(١) – نفسه ص ١١٦ (٣) - خالد الكركي : تحولات الرجل اليماني ص ٢٤

(٢) – نفسه ص ١١٦ (٤) – نفسه ص ٢٥

فهو يسير على ذات النمط ، في معظم المقالات التي يجد خالد الكركي " صوت الشاعر " فيه يزاحم الكلمات النثرية ليطل من بينها مقاطع من شعر التفعيلة ، ولنسمعه مرة أخرى وهو يتحدث في مقالته " أصخرة أنت ...! " كيف ينتقل من النثر إلى الشعر فالعودة إلى ذات الوتيرة التي كان عليها دون تكلف وبكل سلاسة وانسياب ، حيث يقول :

" غاب صوتها بهجة وحضورا ... وتعلن أنها عائدة من بغداد :

بغداد التي إذ تدور الشمس تنهض في المدائن والبيوت

تسقي العطاش ،

وصوت فتيتها ينادي

أن بغداد العظيمة لا تموت

قالت : أصخرة أنت !! "

ثم يعود إلى النثر بقوله : " زاد صمتي وحشة وصوتها يستعيد ايقاعا بعيدا ..... " (١)

إذن فقد كثر ورود هذا العنصر الفني في مقالاته حتى ليمكننا القول بقدر كبير من الثقة إنه قد غدا من العناصر الفنية المتواترة في مقالاته الأدبية .

والسؤال الجدير بالطرح هنا لماذا كان يلجأ للشعر الحر فيجعله جزءا من بناء مقالاته الأدبية دون الشعر العامودي ؟ ونستطيع القول في جواب هذا السؤال إن الشعر الحر كان أنسب نظرا لانسياب لغته من ناحية ، والروح الشعرية فيها من ناحية أخرى ، فكان الشعر الحر أقدر على أن يغدو جزءا طبيعيا في بناء مقالاته نظرا لهذين السببين دون الشعر العامودي ، لما يتمتع به الشعر الحر من سمات فنية تختلف عن العمودي من حيث حريته في عدد التفعيلات وعدم الالتزام بقافية معينة ، مما مكن الكاتب من تعبئة دفقاته الشعرية في هذه المقاطع من الشعر الحر ، والانتقال من النثر إليها ثم إلى الشعر بحسن تخلص وانتقال سلس ، إذ يبدو لو أنه عمد إلى الشعر العامودي لتحقيق ذلك لكان في الأمر مشقة فنية أكثر قد تسيء إلى هذا الانسياب في اللغة .

ج ـ أما العنصر الفني الثالث الذي يلاحظ كثرة وروده في البناء الفني لمقالاته الأدبية فهو اعتماده على الأسلوب القصصي في كثير من الأحيان ، ويبدو أن هذا قد تاتى له من جانبين :

أولهما صدق العاطفة لدى الكاتب في استلهام الشخصيات التاريخية والوقوف بين يديها ، وذلك أنه كان يبث الحياة في الشخصيات التاريخية ويحاورها ويطيل في هذا الحوار، رغبة منه في بث مشاعره لها واطلاعها على ما آلت إليه أحوال الأمة في العصر الحديث .

---

(١) ـ خالد الكركي : بغداد لا غالب إلا الله ص ١٠٤ ، ١٠٥

أما ثانيهما فهو اعتماده على ما سبقت الإشارة إليه وهو " التشخيص " ذلك أنه يبث الحياة في الجمادات ويخاطبها ، لذلك فقد كان عنصر " الحوار" جزءا ضروريا لإتمام الصورة الفنية ومحاور هذه الشخصية أو تلك التي يخلقها خالد الكركي .

لذلك فإننا نجده يلجأ إلى الأسلوب القصصي مبرزا بعض العناصر الفنية : كالمكان والزمان وشيئا من تسلسل الأحداث ، وبالذات الحوار الذي يمكن الكاتب من محاورة الشخصية وبثها لواعج نفسه وطرح الاسئلة عليها وإطالة المقالة إلى القدر الذي يكفيه لتغطية فكرته ، هذا الجانب الذي ينظر إليه الدارسون على أنه " تفكيك لذاكرة الموروث ، وسعي لاستخدام المتخيل القصصي لإعادة النظر في الماضي العربي في ضوء الراهن " (١) فهذا العنصر يسعى لتقوية عنصر " الدراما " في القصة ، ويساعد كذلك " في رسم الشخصيات ، والكشف عن مواقفها من الحوادث " (٢)

وليس توظيفه لهذا الجانب الفني بالجديد في عالم المقالة الأدبية ، ذلك أن المقالة في مفهوم الدارسين " قصص لم تكتمل لها المقومات الفنية ، أو مقالات فيها من عناصر القص الكثير "(٣) ، ولكنه تميز بالإتقان في هذا التوظيف كما سنلاحظ .

ولنا مثال واضح في مقالته " رماح ورايات " التي انقسمت إلى ثلاثة نصوص حمل كل نص منها العناوين المتتابعة التالية :

" رماح ورايات : نص مؤتة"

" رماح ورايات : نص بغداد"

" رماح ورايات : نص القدس"

ذلك أنه استحضر في هذه النصوص الثلاثة شخصية شاعر العربية الكبير أبي الطيب المتنبي وبث فيها الروح ، فأقام المقالة كاملة في نصوصها الثلاثة على الأسلوب القصصي بما فيه من : سرد وحوار ومكان وزمان وتسلسل أحداث ، كل هذا ليجعل من هذه المقالة متنفسا يبث روح أبي الطيب المتنبي بعض ما في نفسه ، وليشرك القارئ في جو هذه القصة ولنورد بعض المقاطع من هذه النصوص ، حيث يقول الكاتب في النص الأول " نص مؤتة "

" كان الصوت للقارئ الكبير الشيخ عبد الباسط [وقد استهل المقالة بإيراد الآية الثالثة والسبعين من سورة الزمر التي يقول فيها الحق جل وعلا : " وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة

---

(١)- إبراهيم خليل ، مقدمات لدراسة الحياة الأدبية في الأردن : دراسة ومختارات نقدية ، الجوهرة للنشر والتوزيع عمان ط١ ٢٠٠٣ ص٥٤

(٢) – محمد يوسف نجم : فن المقالة ص ١١٩

(٣)- محمود أحمد الحلحولي : عناصر المقالة القصصية ، ضمن (فن المقالة في الأردن) ص ١٥٣

زمرا ، حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين "]
وكنا نتقدم في المكان نحو مؤتة والمزار ، قلت لأبي الطيب : هذه هي الطريق التي سار فيها جيش الفتح الأول في مؤتة .... قلت : قد نصل إلى نهاية الطريق مع أول خيوط الصباح .

صاح بي : كان اسمها " الدرب " في ذاك الزمان .....

لكني قررت أن أستفزه ، فقلت : أبا الطيب يقول الشراح إن بعض من جاؤوا بعدك قد أخذوا هذا المعنى وكشفوا غامضه .....

صاح بي .... أحسن وأحسنت .....

تقدمت فرسه إلى يمين الدرب ... حدق في " المشهد " الممتد عبر ضباب خفيف ... كنا في سهل مؤتة ومآذن مسجد جامعتها تشق سكون حال الأمة بالصبر والنداء

.....

قلت : أبا الطيب ، نتقدم إلى ضريح جعفر وتلك خيمة " مسجده " ... أحسست أن صاحبي يستعيد تاريخا بعيدا كان قد قرأ صفحاته ... عدنا إلى الساحة التي تحتضن المسجد والضريح وتشهد أعمال إعادة الإعمار المتميزة ... هل حضرت تلك المعركة سنة أربعين وثلاثمائة إلى جانب سيف الدولة !

- حضرتها ... سامحك الله ، لقد أنشدت القصيدة كلها بحضرة الجيش ....

.....

قلت : أبا الطيب ، كيف تغلب الفئة المؤمنة الكثرة الباغية ؟

قال :حين يقرأون قوله تعالى : " يا أيها النبي حسبك ..... بأنهم قوم لايفقهون "

.....

جاء صوته منفعلا ..... تبسم أبو الطيب ، فسعدت لذلك ، وكان الضحى قد ملأ الدنيا ، وأنا موزع بين هذه الصور الرائعة للموت ...

قلت: أبا الطيب هل يمكن أن نسمي هذه الحالات بالموت الجعفري (نسبة إلى جعفر)

صاح غاضبا : بل هي حياة " جعفرية " ....

سألني: كيف أنتم اليوم ، أعني هل عاود الروم غزو حلب ..؟ قلت : حلب ، حرسها الله اليوم آمنة لكنهم بعد زمانك جاؤوا صليبيين غزاة ، وغربا مستعمرا ...

.....

أعاد علي السؤال : هل ما يزال في بلاد الأمة روم ؟

قلت : جيوب خطيرة ....

قال : أعلمتني ونحن في الدرب من القطرانة إلى مؤتة ، أن شعراء في زمانكم عارضوا قصائدي

.....

ـ القدس ... ماذا جرى ..؟ كان صوته مضمخا بالتعجب ...

ـ قلت : ظلت صامدة مثل حلب ؛ وبعد أن خرج الصليبي منذ قرون جاء الغربي والصهيوني ، وهي اليوم مدينة محتلة

ـ بدأ يهدر بقراءة لا أعرف شيئا غير الغضب يشبهها ، أسرع جواده في العدو نحو الدرب الرئيسي .....

قاطعني من جديد ، واستمر في الإنشاد ، وتهدج صوته بالكبرياء والعجب ... ابتعد أبو الطيب عن عيني ... "(١)

والمقالة طويلة وهذه بعض المقاطع منها ، حيث بناها الكاتب على أسلوب قصصي ، بمعنى أن فيها بعض عناصر القصة لا كلها ، فقد أدارها على شكل حوار طويل بينه وبين أبي الطيب وهما يتنقلان بين سهول مؤتة والمزار وأضرحة الشهداء ، حيث يظهر فيها عناصر : المكان والزمان والسرد وتسلسل الأحداث ، وبعض لحظات الانفعال ، فجاءت على هذا الشكل لتكون متنفسا للكاتب ليبث هذا الرمز التاريخي بعض لواعج نفسه ويطلعه على حال الأمة في هذا الزمان ، وليشرك القارئ في هذه المشاعر العاطفية الصادقة التي يتمثل فيها البعدان : القومي والوطني ، في الموازنة بين الزمانين : الماضي والحاضر .

ثالثا : توظيف التراث

لقد شكل استلهام خالد الكركي للموروث وتوظيفه في مقالاته الأدبية سمة بارزة في أسلوبه الكتابي ، إذ لا تكاد تخلو مقالة من مقالاته من هذا الاستلهام وتوظيفه بالشكل الذي يخدم الفكرة التي هو بصدد توصيلها ، توضيحا وتجلية وتأثيرا في القارئ ، ليتفاعل مع صدق عاطفته وليحقق غرضه من كتابة المقالة ، فهو يرى أن " القضية التراثية متصلة بالوعي القومي العربي الذي تفتح منذ القرن الماضي ... فالقضية التراثية من هذه الأبعاد " جزء من البحث عن الهوية القومية للأمة " ..."(٢) ، وربما يكون لانغماس روحه في هموم أمته ووطنه وأشجانهما دور كبير في هذا الجانب ، ذلك أن قلمه قلم كاتب عربي ينبض بحب العروبة ، وأردني ينبض بحب الوطن ، لذلك تجده يعتمد بشكل كبير على هذا الموروث الحضاري والثقافي والوطني ، فيوظفه

---

(١) ـ خالد الكركي : دم المدائن والقصيد : هواجس عربية (المقاطع المنقولة في الصفحتين السابقتين) ص ٧٩ ـ ٨١

(٢) ـ خالد الكركي : الرموز الجاهلية في الشعر العربي الحديث : دراسة في قصائد مختارة من الشعر الحر ، مجلة دراسات الجامعة الأردنية ، العلوم الإنسانية ، ع٤ ، م١٣ ، ١٩٨٦م ، ٢٤٢ ص

أحسن توظيف ، ويمكن القول إن هذا الموروث يتوزع على الجوانب التالية :-

أ- توظيف القرآن الكريم .

ب - توظيف الشعر العربي قديمه وحديثه .

ج - توظيف التاريخ العربي القديم والحديث .

د - توظيف الأسماء

هـ - توظيف الأغاني .

و - توظيف النثر الحديث .

أ- توظيف آيات القرآن الكريم

يأتي توظيف خالد الكركي لآيات القرآن الكريم على شكلين : أولهما ، توظيف الآية بنصها ، وثانيهما ، التلميح إلى لفظة أو تعبير أو صورة أو قصة مما ورد في آيات القرآن الكريم .

حيث نجده في الجانب الأول ، يورد الآية القرآنية بنصها ، إما في مطلع المقالة الأدبية أو في وسطها أو في آخرها على حسب الدور الذي يراه مناسبا لتؤديه هذه الآية ، والأمثلة على ذلك كثيرة في معرض مقالاته الأدبية .

فهو يستفتح مقالته " رماح ورايات : نص مؤتة " التي يبعث فيها الروح في جسد أبي الطيب المتنبي شاعر العربية الأول ، ويتجول بصحبته في ساحة معركة مؤتة ، وبين أضرحة شهدائها : جعفر الطيار ، وزيد بن حارثة ، وعبد الله بن رواحة ، وفي ساحة جامعتها – يستفتح هذه المقالة بإيراد قوله تعالى من سورة الزمر :

" وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا ، حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ، وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين " (١)

حيث يقول بعدها : " كان الصوت للقارئ الكبير الشيخ عبد الباسط ... " (٢)

لتكون هذه الآية استفتاحا وإشعارا للقارئ بحالة الفرح والاستبشار التي يشعر بها الكاتب وهو يلتقي لتوه مع شاعر العربية الأول ، ورمز من رموز عزة وكرامة هذه الأمة ، في الزمن الذي فقدت فيه هذه الأمة جزءاكبيرا من هذه العزة والكرامة .

وعندما يسأل الكاتب الشاعر قائلا له :

" قلت : أبا الطيب .. كيف تغلب الفئة المؤمنة الكثرة الباغية ؟

قال : حين يقرأون قوله تعالى :

---

(١)-سورة الزمر ٧٣

(٢) - خالد الكركي : دم المدائن والقصيد : هواجس عربية ص ٨٣

[يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ، يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفين من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون] " (١)

حتى إذا ختم الكاتب هذا اللقاء بينه وبين الشاعر ، وهذه المقالة ، أورد آيتين من سورة آل عمران بعد قوله :

" ابتعد أبو الطيب عن عيني ، ... لا يوم مثل اليوم ، وأنا موزع بين الصبر والجزع ، تذكرت راحلتي التي هجرتها ، وعمان التي " من دونها غول الطريق وبعده " جاء صوت عبد الباسط وهو يقرأ من سورة آل عمران :

ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ، إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لايحب الظالمين " (٢)

فقد وظف الكاتب هذه الآيات كل واحدة منها في الموضع الذي يناسبها ، الآية الأولى في مطلع المقالة ، استبشارا بلقاء الشاعر ، والثانية في وسطها إجابة عن سؤال الكاتب ، والثالثة في آخرها ، شحذا لهمم الأمة في عصر الجراح .

ويتحدث في مقالته " خواء الروح : قراءة في المشهد الإمبراطوري الأمريكي " عن خواء هذه الحضارة وبعض مظاهر الفساد فيها وهي الحضارة التي تهيمن على العالم بجبروتها وسطوتها وتظلم وتتجبر ، فيستلهم الآيتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة من سورة " فصلت " اللتين تتحدثان عن الدمار الذي ألحقه الله بحضارة قوم عاد ، وهي قوله تعالى :

" فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق ، وقالوا من أشد منا قوة ، أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون . فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون " (٣)

لعل في هذه الآية تذكيرا وردعا للباطشين ليعودوا عن بطشهم ، ولعل فيها إسقاطا لذلك الحال على حالة أمريكا في زمن التجبر الحديث .

وفي مقالة " مؤتة : إضاءات على الروح الجعفرية " يتحدث الكاتب عن قلة عدد الجنود المسلمين في معركة " مؤتة " وعن استلهام بعض أفراد القبائل العربية التي كانت تقاتل مع الروم

---

(١) – نفسه ص ٨٧
(٢) – نفسه ص ٩٧
(٣) - خالد الكركي : تحولات الرجل اليماني ص ١٣٣

الدرس من ثبات المسلمين في المعركة ، ودخولهم على إثر ذلك في دين الله ، حيث يورد الآية مئتين وتسعة وأربعين من سورة البقرة بعد أن يقول :

" إنها ميزان جديد للحرب والشهادة والتحدي ، وميزان لاختيار القادة .... وكان عليهم أن يتعلموا من دينهم معنى الآية الكريمة :

كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله " (١)

أما في الجانب الثاني فإن خالد الكركي يلمح إلى لفظة أو تعبير أو صورة أو قصة مما ورد في آيات القرآن الكريم ، فيستلهمها ويوظفها في البناء الفني لمقالته ، دون أن يورد الآية كاملة بنصها ، وإنما يستشعرها القارئ من بين ثنايا السطور .

فها هو ذا يستلهم جزئية من سورة يوسف ، وهو حديث سيدنا يوسف عليه السلام عن السنين العجاف عندما فسر الرؤيا التي رآها عزيز مصر في المنام ، وذلك في قوله مخاطبا جلالة الملك الحسين بن طلال طيب الله ثراه في مرضه الأخير قبيل وفاته حيث يقول له في مقالته " المعلم " : " ها نحن في ظلال زمانك العذب ، نطوي رداء السنين العجاف "(٢)

فهو بذلك يستلهم قول الله تعالى :

" يوسف أيها الصديق ، أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ، لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون ، قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تاكلون ، ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلاقليلا مما تحصنون "(٣)

فقد أوحت لفظة " السنين العجاف " للقارئ بأن الكاتب يستلهم الآية القرآنية التي تم إيرادها توا .

وها هوذا يستلهم آيات أخر من الذكر الحكيم ، في ذات المقالة " المعلم " عند حديثه عن تصميم الأردنيين على الوقوف في وجه عاديات الزمان في تلك الفترة العصيبة من عمر الوطن التي امتحن الله فيها هذا الوطن وأهله بمرض مليكهم حيث يقول :

" قلنا نخرج إذن وننادي على الغائبين والحاضرين : هذه دولتنا وقد عمّرها الفلاحون والجنود والمعلمون ، واجتازوا زمان القهر إلى زمان الحرية ... وحين يجتاحهم الغضب النبيل يطلقون العاديات ضبحا .."(٤)

فهو يوظف صورة الخيل في عدوها السريع ، وهي تزفز وتشهق من شدة التعب لتكمل

---

(١) - خالد الكركي : ورد ورماح : قراءات في البطولة ص ١٥ (٣)- سورة يوسف ٤٦ - ٤٨

(٢) - خالد الكركي : من دفاتر الوطن ص ١٦٨ (٤) – نفسه ص ١٦٩

صورة كفاح الأردنيين في هذا الزمان الصعب ، وليربط بين الصورتين ، ليعلي من شأن المعنى الذي هو فيه ، بربط الكفاح بصورة الخيل في أوج نشاطها ، ومعلوم ما للخيل من كرامة وعتق في الموروث الفني الفكري العربي والوطني ، فهو يستلهم هذه الصورة من آيات الله تعالى التي يقسم فيها بقوله :

" والعاديات ضبحا ، فالموريات قدحا .."(١)

فالقسم القرآني يرفع من وتيرة الخطاب وحدته ، كما ترفع صورة الخيل العاديات في نص الكركي من حدة الخطاب ، وتجمل الصورة وتكملها ، تلك الصورة التي يتحدث فيها بعاطفة صادقة متوهجة ومتوقدة عن كفاح الأردنيين وتعلقهم بحب مليكهم .

وفي موضع آخر يخاطب المتخاذلين من أبناء الأمة العربية ، والذين ساروا في ركب أمريكا في غزوها للعراق ، وفي حربها على مدينة الفلوجة ، فيعنفهم ويشير إلى الحرية التي هي بعيدة عنهم وهم عنها بمنأى فيقول لهم في مقالته " الفلوجة إذا الشعب يوما ... " :

" إنها الحرية ... وهي هناك : عند القمة العالية ، ووراء الجبل المهيب ، عند كل نبع صاف وفي كل ضمير نقي ... إنها وراء أسوار السجون ، أبعد من النجم وأقرب للمشتاق من حبل الوريد .." (٢)

فالحرية بعيدة ، وهي هناك في المقام العالي ، بعيدة عن المتخاذلين الذين هم في الدرك الأسفل من الذلة ، ولكنها للأبطال قريبة جدا ، فهي أقرب إليهم من حبل الوريد ، وهو هنا يربط بين معنيين : قرب الحرية من المشتاقين والباحثين عنها رغم صعوبتها أولا ، وارتباط نيلها بالدم الذي ينزف من حبل الوريد ، الذي ينهمر من عنق الشهيد ، لأن الحرية لاتنال إلابذل الروح والجهاد والاستشهاد في سبيل الله ، فهو يستلهم صورة القرب ولفظة (حبل الوريد) من قول الله تعالى : " ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد "(٣)

فالآية تحمل معنى القرب المرتبط بالموت ، مثلما يحمل كلام خالد الكركي معنيي القرب من الحرية وبذل الدم عن طريق الشهادة في سبيل الله .

ونجده في موضع آخر من مقالته " أصخرة أنت " يهم بالرحيل " في هذا الزمان العربي الذي يوغل في الهزيمة ، ويرى أعداءه يسرقون أرضه وخبز أطفاله ، فيطامن رأسه ويسير على غير هدى ودليل ... "(٤) . فهو يعلن في هذه السطور يأسه من زمن الذلة والتطامن وخفض الرؤوس ، هذا الزمن الذي يشعره بأنه في الأسفل لذلك فإنه يسعى للبحث عن زمن يرتفع به

---

(١)- سورة العاديات ١ ، ٢

(٢) – خالد الكركي : بغداد لا غالب إلا الله ص ٨٢

(٣)- سورة ق ١٦

(٤)- خالد الكركي : بغداد لا غالب إلا الله ص ١٠٣

ليعصمه من الغزاة ، حيث يقول متابعا الكلام السابق :

" زمن نبحث فيه عن جبل يعصمنا من الغزاة ، ونحن ندرك في الأعماق منا أن لاعاصم إلا المقاومة والشهادة " (١) .

وهذا استلهام لقول الله تعالى :

" وهي تجري بهم في موج كالجبال ، ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ، قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء ، قال لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ، وحال بينهما الموج فكان من المغرقين "(هود ٤٢-٤٣) (٢)

وهنا تلتقي الصورتان وتتقابلان ، فهو يبحث عن زمن يعصمه من الغزاة ، مثلما بحث ابن سيدنا نوح عليه السلام ، عن جبل يعصمه من الماء ، حيث سطعت له الحقيقة ، أن لاعاصم من الماء الا الله ، وهنا تسطع الحقيقة له أن لاعاصم من الغزاة إلا المقاومة والاستشهاد ، مع وجود المفارقة بين الصورتين ، فقد كان ابن نوح يبحث عن العزة الواهمة ، ولكنه لا يتوهم العزة ، فهو يبحث عنها ويعرف سبيلها ولكن لا وسيلة للوصول إلى هذا السبيل .

ب - توظيف الشعر

أما فيما يخص استلهام خالد الكركي لموروث أمتنا العربية القديم والحديث من الشعر ، فإنه قد استكثر منه ، بحيث لاتكاد تخلو مقالة من مقالاته من استلهام الشعر ، فالشعر ديوان العرب . والعرب لاتدع قول الشعر وحفظه وروايته ، إلا إذا تركت الإبل الحنين ، وهذا من المحال ، وهو قيثارة تشدو بحب أمته العربية موروثا وفكرا وحضارة وأدبا ، كما يتضح لكل من يقرأ مقالاته الأدبية . ويمكن القول إنه كان يوظف الشعر العربي قديمه وحديثه في مقالاته على حسب الأشكال التالية :

١- كان يورد جزءا من بيت شعر دون إكمال البيت كاملا ، حيث يورد بعضا من صدر البيت أو عجزه .

٢- كان يورد البيت كاملا في بعض الأحيان ، أو عددا من الأبيات دون الإشارة إلى اسم الشاعر ، وأحيانا يذكر اسم صاحب البيت أو الأبيات .

٣- كان يورد في بعض الأحيان أجزاء مطولة من بعض القصائد ، يحاورها ويوظف صورها الفنية وأفكارها في ايصال فكرته .

ومن الأمثلة على القسم الأول مقالته " الفلوجة : إذا الشعب يوما ... " فقد جعل عنوانها هذا

---

(١)- نفسه ص ٧٦ (٢)- سورة هود ٤٢ ، ٤٣

الجزء من بيت أبي القاسم الشابي

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر

فلماذا لم يكمل الشاعر صدر البيت على الأقل دون البيت كله ؟ يبدو أنه يريد من القارئ أن يشاركه في إنشاد بقية البيت عنوانا لهذه المقالة ، التي تعالج موضوعا راهنا ، وهو موضوع حرب الأمريكان على جزء عزيز دام من جسد أمتنا العربية ، وهو " الفلوجة " التي هي جرح يدمي قلب كل عربي مسلم ، فاختيار الكاتب لهذه الجزئية جاء ليلفت انتباه القارئ عن طريق هذا العنوان وليشركه في الحزن والأسى والغضب الذي صورته المقالة .

وإذا ما سرنا مع الكاتب قارئين لذات المقالة ، نجده يتحدث عن الحرية التي لا تنال إلا بثمن غال وهو الدم ، مطالبا مثقفي الأمة ومجاهديها بضرورة التحول من الخنوع إلى البحث عنها قائلا :

" وأول شروط هذا التحول أن ينادي المثقفون على الناس بالحرية ، وأن يطرحوا عليهم أسئلتها وأن يوقدوا في أرض هذه الأمة منارات للصعاليك والخوارج على سائر أشكال الاستبداد والخوف والقهر والظلم ، وأن يعلموهم أن باب الحرية " بكل يد مضرجة يدق "... "(١) فهو يوظف عجز بيت شعر أحمد شوقي :

وللحرية الحمراء باب بكل يـد مضـرجة يدق .

ويتابع كذلك موظفا مقطوعة شعرية للشاعر محمود درويش يقول فيها درويش :

" نحب الحياة إذا ما استطعنا اليها سبيلا "

وذلك في قوله : " لقد كان كرماني كما الشنفرى وعروة بن الورد ، مقدمة لوعد جديد عرف العالم فيه لوركا ، ونيرودا ، ومحمود درويش ، الذين علمونا كيف " نحب الحياة إذا ما استطعنا اليها سبيلا " (٢) . وكلتا الجزئيتين من بيت شعر الشاعر أحمد شوقي وشعر الشاعر محمود درويش - تخدمان فكرة الكاتب في حديثه عن الحرية وحب الحياة ووجوب التصميم عليها ، وتوظيف خالد الكركي لمقطوعة الشاعر محمود درويش تتناغم في ألفاظها ومعناها مع توظيفه للجزئية من بيت شعر الشابي السابقة الذكر ، فكلتاهما تتحدثان عن حب الحياة والسعي للحصول عليها وبذل الغالي في سبيلها .

وها هو ذا يتحدث في مقالته التي تحمل عنوان " نسرين .. السفر بين مؤاب ودمشق " حيث يختصر المسافات ويقرب بين الأماكن ويلغي الحواجز بينها ، حاشدا قدرا كبيرا من الموروث الشعري والتاريخي ، ليعبر عن شوقه لتاريخ أمته ورموز النصر فيها ، في الزمن

---

(١) – نفسه ص ٨٤ (٢) – نفسه ص ٨٥

الذي عز فيه النصر وأصبح ذكريات نتغنى بها نحن العرب ، فنجده يوظف مقطعا من بيت شعر أبي فراس الحمداني في روملياته الذي يقول فيه :

نعم أنا مشتاق وعندي لوعة ولكـن مثلي لايذاع له سـر

فالكاتب هنا مشتاق ، ولكنه يسقط شوقه على شخصية نسرين التي ابتكرها خياله في هذه المقالة التي يقول فيها : " ويقولون إنها إن رات غصنا لوزيا أجهشت عشقا ، وإن شاهدت شقائق النعمان وهي تخطر في الربيع استبشرت بالشهداء ، وإن جاءها النعاس أيقظت وردها كي يسهر معها حتى طلوع الشمس على جبال مؤاب ... نعم أنا مشتاق ... وبيننا حواجز الزمان والمكان والتاريخ ..."(١) .

وفي موضع آخر نجده يجعل عنوان إحدى مقالاته الأدبية جزءا من بيت شعري لأحمد شوقي

وطـني لـــو شـغلت بالخلد عــنه نازعتني إليه في الخلد نفسي

وهو المقطع الأول من البيت " وطني لو شغلت ... " ليكون عنوانا لهذا المقال الذي يسطر فيه مشاعر حبه لهذا الوطن وتعلقه به .

وفي مقالته التي تحمل عنوان " طواف المغني " التي يجري فيها حوارا بينه وبين نفسه عن بعض شؤون الإعلام الأردني ويستلهم ثلاث جزئيات من ثلاثة أبيات لشعراء جاهليين حيث يقول : " يلملم نفسه ويخرج بها من وحشة الليل ... يسعى إلى قريته حاسر الرأس حافي القدمين مقروح الكبد ... ممعنا في الغناء العتيق " وهل أنا إلا من غزية .." فقد منحه أهله في أول العمر قلما ودفترا ورغيفا ."(٢) .

وكأنه بهذا يشترط على نفسه ومن ثم قلمه وجوب أن تكون صاحبة موقف مستقل في الكتابة والتعبير عن الرأي ، لا أن تكون تابعة لما يريده أصحاب الأمر ، وهو يستلهم هذه الجزئية من بيت الشعر الجاهلي المعروف

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويـت وإن ترشـد غزية أرشد .

هذا البيت الذي يصور العقلية الجاهلية في انغماس شخصية الفرد وذوبانها في شخصية الجماعة ، ثم ينظر في دفاتر ذكرياته عندما " خرج صباح العيد يمسح عن حجر الطريق ما علاه من غبار يلثمه خلسة ، ويبحث في زواياه عن اسم كان نقش عليه ذات مساء بعيد ، ولا بد أن يلوح له ولو كان ..." كباقي الوشم في ظاهر اليد " ..." (٣) فهو يجد الذكريات في خياله أطلالا ، ويرى ملامح الطفولة فيها كآثار الوشم في ظاهر اليد مثلما وجدها الشاعر

---

(١)- خالد الكركي : نسرين .. السفر بين مؤاب ودمشق ،، صحيفة الرأي ، ع ١٢٧٦١ ص٤٣ (٣)- نفسه ص ٦٢

(٢) - خالد الكركي : أوراق عربية ص ٦٢

الجاهلي النابغة الذبياني ، الذي وقف على أطلال قومه فأنشد مطلع معلقته المشهورة

لخولــة أطــلال ببرقه ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

ثم يتابع الكلام في المقطع الأخير من المقالة مجسدا من نفسه شخصية أخرى تروي الحدث وتصفه قائلة : " ذاك هو وجهها ، وذاك هو وجهه ، يقترب ويهمس " قفا نبك " فيأتيه صوتها جميلا واثقا ، سيظل الحزن يطاردك حتى تغير النداء ... وليكن : قفا نزرع الأرض قمحا ..."(١)

فهو يحاور نفسه وينكر عليها انغماسها في الحزن ، مطالبا إياها باستبدال شعار " قفا نبك " بشعار " قفا نزرع " مستلهما بذلك بيت امرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل .

والأمثلة كثيرة في طيات مقالاته على هذا الجانب من أسلوبه الفني في الكتابة واستلهام التراث ، فالكركي يترك لقلمه الحرية في اختيار ما يناسب الموضوع والفكرة الدقيقة التي هو بصددها من شعر الشعراء العرب القدماء والمعاصرين ، فإذا وجد أن هذه العبارة او تلك أو هذا المقطع أو ذاك هو المناسب ، اجتزأه من البيت وغض الطرف عن باقي البيت ، توكيدا منه على أنه يرمي إلى ذلك المعنى او تلك الفكرة دون غيرها .

وفي مواطن أخرى كثيرة من مقالات الكاتب نجده يستلهم البيت الشعري كاملا مشيرا إلى اسم صاحبه أو مغفلا إياه على حسب ما يقتضيه الحال . ففي مقالته " لابد من يافا وإن طال السفر " يستهل المقالة بذكر اسم الشاعر العربي " ابو محجن العربي .." الذي كان يقارع الخمر، حتى سجنه القائد العربي المسلم والصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص في غمرة معركة القادسية الشهيرة ، ففك قيده وامتطى "البلقاء " فرس سعد ، والقصة معروفة . فنجده يستشهد ببيتين من الشعر لأبي محجن وهو في القيد ، قبل أن يتمكن من التخلص منه ، وكأن خالد الكركي بدقة ملاحظته وبعد مراميه ، يرمي إلى حالة " الأسر" التي تعيشها الإرادة العربية الحديثة التي ما انفكت هي إرادة الفرسان ، ويربط بين الصورتين : صورة أو حالة الأسر العربي في العصر الحديث ، وصورة أبي محجن وحالته النفسية والحزن الذي كان يعمر قلبه وهو بعيد عن خوض غمار المعركة قائلا :

كفى حزنا أن تطرد الخيل بالقنا وأتــرك مشــدودا علــي وثاقيــا

إذا قمت عناني الــحديد وغلقت مصــاريع من دوني تصم المناديا

ثم يتابع كلامه مؤكدا هذا المعنى قائلا : " أبو محجن بين صبا الفتوة وهدوء الكهولة يسير ، يسعى إلى الفاو وفلسطين بسيفه ودمه ... بهي مثل وجه شهيد عربي في زمن الانتفاضة ،

---

(١)- نفسه ص ٦٣

صادق مثل سيف في معركة عمورية .."

ثم يردف كلامه هذا ببيتين آخرين للشاعر الصعلوك عروة بن الورد ، واصفا بهما ذلك البهاء والجمال والروعة التي تستشعرها الذات العربية الحديثة ، وهي تقاتل وتدافع عن حقوقها التي تؤمن بها في هذا العصر الذي قهرت فيه إرادتها في كل قضاياها ، في فلسطين والعراق وأقطار الوطن العربي كلها :

أليس عظيما أن تلم ملمة ... وليس علينا في الحقوق معول

فان نحن لم نملك دفاعا بحادث ... تلم به الأيام فالموت أجمل (١)

فعروة بن الورد يستشعر جمال الموت في الدفاع عن الحق الذي يؤمن به ، كما تستشعر الذات العربية الحديثة - كما يرى خالد الكركي - جمال الموت في الدفاع عن قضاياها .

وفي مقالته " المعلم " التي يخاطب فيها جلالة الحسين الراحل طيب الله ثراه ، نجده يتحدث بتبرة غاضبة مخاطبا الذين انكروا على الأردنيين دورهم الريادي ونجدة العروبة فيهم قائلا : " وكنا وما نزال عند عهد الأمة بنا نقري الضيف وتستفزنا المروءة لكل خير ... وكنا نعلم أطفالنا كتاب الهوى القومي عن القاهرة ودمشق وبغداد ، والقدس وصنعاء ومغرب الأمة وخليجها وصحرائها وهضابها ... وعلمناهم نكران الإقليمية والتعصب والانغلاق .."(٢) ثم يصيح بصوت المتنبي " وا حرّ قلباه " ويطبق الضيم على الروح ... "

فيستلهم هنا قول المتنبي :

من الحلم أن تستعمل الجهل دونه ... إذا اتعست في الحلم طرق المظالم

وأن ترد الماء الذي شطره دم ... فتسقى إذا لم يسق من لم يزاحم

فهو يمزج صوته الغاضب ، بصوت المتنبي الغاضب في هذين البيتين لينفس الضيم الذي أطبق على روحه .

ولا يقتصر استلهامه على الشعر العربي القديم ، بل نجده يستلهم أبيات الشعراء المعاصرين ويستشهد بها ليؤيد فكرة أو يدحضها سواء كان هذا الشعر عموديا أم حرا . فها هو ذا يشبه انطلاقة السنة الدراسية الجديدة بعودة الروح في المقالة التي تحمل هذه العبارة " عودة الروح " حيث يقول : " ها أنت تنهض : مليون زهرة تتفتح على مقاعد الدراسة في مدارسك ..."(٣) إذ يجعل انطلاقة السنة الدراسية لبنة في مشوار تحدي وطننا لعاديات الزمان ومعيقاته ، فيستشهد على ذلك ببيتين للشاعر عبد الرزاق عبد الواحد:

---

(١) – نفسه ص ١٣١ (٢) - خالد الكركي : من دفاتر الوطن ص ١٧٥ (٣) - خالد الكركي : أوراق عربية ص ٧٣

وما هي إلا وقفة نحن أهلها وساعة صبر للمنايا نطيلها

ونخرج منها عاليات جبا هنا وللموت فينا عين خوف يجيلها

وفي موضع آخر يعيش في عالم الخيال في " سهرة انتخابية مع عرار" يسأله عرار عن هموم وقضايا الوطن فيجيبه ، وهو بلا شك يريد بهذا الأسلوب أن ينتقد بعض الجوانب التي لا يرضى عنها في مسيرة الوطن الحضارية ، ويشيد ببعضها الآخر، عن طريق إجراء حوار خيالي مع عرار يقول فيه :

" قال أين وصلتم في مسيرة التعليم ؟ قلت خير كثير ومراجعة مستمرة وجامعات ومعاهد ومدارس في كل مكان ... قال ... والفساد ؟ قلت نفوس أمارة بالسوء ولابد من محاسبتها والقضاء بخير والحمد لله ..."(١) وبعيد قليل تجده ينشد مقطوعة من الشعر الحر للشاعر العراقي مظفر النواب تداعب اشجان نفسه وحبه لوطنه وهي قول الشاعر :

يا وطني ... وكأنك غربة

وكأنك تبحث في قلبي

عن وطن أنت ليؤيك

واستشهاد الكاتب بهذه المقطوعة يوحي بيأسه من بعض الجوانب التي لا يرضى عنها كما هو ظاهر من النص .

وأحيانا نجده يستلهم أبياتا من الشعر ويستشهد بها ، دون ذكر اسم صاحبها ، ومن الأمثلة على ذلك نفس الحوار الذي نحن بصدده بينه وبين عرار ، حيث يجيب بعد أن باغته عرار بسؤال مفاجئ نصه : " كيف تعرف الوطن ؟: قلت أذكر قولا لشاعر :

وإنما أوطاننا بيننا أكبادنا في هيئة الأرض (٢)

أما الجانب الثالث وهو استلهامه لقصائد الشعراء القدماء والمحدثين وعيشه في أجوائها وتوظيفه لمعظم أبياتها في إيصال فكرته التي هو بصددها وتجليتها ، والمثال الواضح على هذا الجانب مقالته " القصيدة تقرب ... الموت ينأى " التي يعيش فيها مع قصيدة الشاعر القديم مالك بن الريب التي يرثي فيها نفسه .

حيث يوحي عنوان المقالة أنه سيعيش في رحاب هذه القصيدة ، وسيسقط أجزاء منها على نفسه ، وسيكون للأحوال العامة التي تعيشها الأمة حظ من هذا الإسقاط ، لذلك فقد أدار حوارا بينه وبين مالك بن الريب، واستهل المقالة بمطلع القصيدة

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بجنب الغضا أزجي القلاص النواجيا

---

(١)- نفسه ص ٨٥ (٢)- نفسه ص ٨٦ ، ٨٧

ثم يطرح السؤال على مالك قائلا له : " ليلة واحدة ، لك أم للوطن أم للقصيدة !! ، أم أنها للموت ..." (١) ويردف هذا السؤال بأسئلة أخرى ، ومالك صامت لايجيب ، إلى أن يضع يده على الجرح ، ويسأله السؤال الذي يحرك فيه الإجابات والحوار

" مالك ذاك أنت فأين قبرك !! "

فيجيبه مالك عن السؤال جوابا تمتد أبعاده لتلامس أطراف الأحوال التي عاشتها وتعيشها امتنا العربية من قهر وخراب الغزاة ، حيث يجيب الشاعر عن سؤال خالد الكركي قائلا :

" قصيدتي هي ضريحي وإذا خرب الغزاة البلاد بعدنا ، فلن يجدوا ضريحي كي يخربوه ... أرأيت ، إننا مدرسة في الحزن ، ونحن الذين نطهر بالشعر أرواحكم ، ونعلمكم كيف يكون الأسى على الراحلين ... لقد واجهنا موتنا الشخصي أو موت من نحب .." (٢) ، وهنا نجد خالد الكركي ينطق مالكا بلسان الجماعة ، موجها الكلام إلى الجماعة ، حيث يتحول الحوار بين مالك وخالد الكركي ، إلى حوار بين قدماء الشعراء العرب والمعاصرين منهم ، ذلك أن مالكا يتكلم ويستشهد بأبيات تحمل نفس المعنى من شعر متمم بن نويره وقيس بن الملوح ، فيجيبه خالد الكركي : " قلت هو موت بغير بكاء !! قال : جربت هذا ورفاقي يهيؤن لي الضريح ، وفي القصيدة أربع حالات من التمني ... أعني أن يبكي أحد علي ...

في الأولى :-

تذكرت من يبكي علي فلم أجد سوى السيف والرمح الرديني باكيا

وأشقر محبوكا..... .....

وفي الثانية : ناديت على صاحبي وهما يجهزان أكفاني :

وقوما إذا ما استل روحي فهيئا لي السدر والأكفان ثم ابكيا ليا

وفي الثالثة : كنت أسأل : " هل بكت أم مالك " وفي الرابعة كنت :

اقلب طرفي عند رحلي فلا أرى به من عيون المؤنسات مراعيا

وبالرحل منا نسوة لو شهدنني بكين وفدين الطبيب المداويا "(٣)

ويستمر الحوار بين الرجلين ، حيث يوصل الكركي مالك بن الريب في لحظة من الحوار إلى درجة البكاء ، عندما يتذكر بيتين من قصيدته وهما :

يقولون لا تبعد وهم يدفنوني وأين مكان البعد إلا مكانيا

غداة غد يا لهف نفس على غد إذا أدلجوا عني وخلفت ثاويا

وعند هذين البيتين يتوقف الكركي عن الاستشهاد بأبيات القصيدة وجعلها مادة الحوار بينه وبين

---

(١) – خالد الكركي : بغداد لا غالب إلا الله ص ١٨٧ (٢) – نفسه ص ١٨٨ ، ١٨٩ (٣) – نفسه ص ١٨٩ ، ١٩٠

مالك ، إلى أن يلقي هذا الحوار رحاله يقول :"

" قلت : لقد تغير الموت في زماننا

قال : كيف !!

قلت : بيننا وبين زمانك مدن ، ومستبدون ، وحكام مهزومون ، وأرض ضائعة ، ورؤوس مقطوعة ، وبيننا كثير من الكتب والقصائد وقليل من الحرية ..."(١) . فهموم أمته وأشجانها ، لا تكاد تفارقه بل تعايشه على الدوام ، فاستلهامه للشعر هذه المرة جاء مختلفا ، لأنه حاور القصيدة كاملة ، ولم يكتف بالجزئية ولا بأبيات منها ، بل وظف معظمها .

ج- توظيف التاريخ .

لاتكاد تخلو مقالة من مقالات خالد الكركي الأدبية من استلهام التاريخ وتوظيفه ، في ثنايا المقالات لخدمة الفكرة وايصالها إلى القارئ وإقناعه بها ، وكأنه يجد في التاريخ نبعا ثرا يستثير به عاطفته وقريحته أولا للكتابة وثانيا للتأثير في المتلقي ، لأن موضوعات مقالاته في مجملها - كما أسلفنا - تجسد البعدين : القومي العربي والوطني الأردني ، وهذان البعدان عميقان كل العمق ، وواسعان كل الاتساع ، وممتدان كل الامتداد ، لأنه يتقاطع فيهما مع الملايين من أبناء الأمة العربية والوطن الأردني ، ذلك لأن العوامل التي توحد بين اقطار وأفراد الأمة أولا والوطن ثانيا كثيرة ، كما هو معروف ،من حيث : اللغة والعقيدة والتاريخ والأرض والهموم والجراحات المشتركة والآمال المرجوة ، لذلك فإننا نجده قد عبّ من معين التاريخ دون كلل أو ملل ، فتأثر وأثر وثار واستثار .

ويمكن القول هنا إن استلهامه للتاريخ يأتي على عدة أشكال : كالوقوف بين يدي شخصية تاريخية عربية قديمة أو حديثة أو مكان تاريخي أو قضية من قضايا التاريخ التي يعتزبها أبناء العروبة أوينكرونها ، او قول لأحد رجالات التاريخ ، أو نجده يقوم بشكل مباشر بفتح كتب التاريخ ونقل مقاطع تخدم فكرته التي هو بصددها .

فها هو ذا يقف " بين يدي جعفر الطيار " ليقول له : " هذا ضريحك غارق في أمواج الضباب الصباحي الذي يغمر سهل مؤتة بالذكرى والحنين، وهذا هو زمان الرحيل إليه .."(٢) وكأنه اختار هذه الشخصية التاريخية الإسلامية التي تحمل الابعاد الثلاثة : القومية والوطنية والشخصية . فجعفر الطيار هو أحد أبطال الأمة الإسلامية العربية ، وهذا هو البعد القومي ، وهو قائد معركة وقعت على ثرى الوطن الأردن ، ورقد على ثرى هذا الوطن الذي يعتز باحتوائه

---

(١) – نفسه ص ١٩٣ (٢) - خالد الكركي : أوراق عربية ص ٤٣

جثمانه الطاهر ، وهذا البعد الوطني ، وهو يرقد في ديرته " الكرك " هذه الديرة التي يحبها ويعشقها ، فهي مسقط رأسه وموطن صباه ، وقبلة أحاسيسه ومشاعره وهذا هو البعد الشخصي .

وهو يخاطبه ليبثه الحزن الجماعي للأمة ، وليشهده على رداءة أحوالها والانكسار الذي وصلت إليه ، لذلك نجده يخاطبه بذات اللغة الشاعرية قائلا له : " يا ذا الجناحين . ننبئك أن الصادقين ظلوا على عهد يديك ، وخضبوا بالدم أرض اليرموك والقادسية وحطين ، وأن دما من أيدينا ما زال ينزف عند أسوار القدس حتى يصعد الفتية على أسوارها ويعصمها دمهم وحجارتهم من الخراب الصهيوني العنصري ، الذي يدعمه روم هذا الزمان ، وننبئك يا أبا المساكين ، أن أهلا لنا في بلاد السودان قد توالت عليهم أعوام الرمادة وأسراب الجراد ... ها نحن نسعى إليك ونجتاز دروب الجنوب إلى ضريحك ، ونسأل عن زمن عربي تقوم فيه الرماح والحجارة والجياع والأنهار والنخيل والزيتون ، وتنهض كلها عزيزة كريمة قوية ..."(١)

فالكاتب إذن قد استلهم هذه الشخصية التاريخية ، وبثها الحزن الجماعي لهذه الأمة ، فكانت واجهة وقبلة موفقة ، وجه الكاتب إليها الكلام ليوصل الفكرة المنشودة .

ونفس الموقف يقفه مع شخصية من شخصيات التاريخ الإسلامي العربي الحديث ، وهي شخصية المجاهد عز الدين القسام ، في مقالته " عز الدين القسام يصعد إلى يعبد " حيث يخاطبه خالد الكركي قائلا له : " ها أنت تنهض في سواعدهم راية لاتنكسر لها سارية ، وفرحا بالتحدي الجديد لاينضب ، وصوتا يتردد في أرض فلسطين كلها ، يصعد من جامع الاستقلال في حيفا :" الله اكبر ... الله أكبر "(٢) فيخاطبه الكاتب ويروي له سطورا من جهاد الأمة التي سطرت بعد رحيله قائلا له : "... ويقوم الآن زمن من الوجد والكبرياء ، بين تلك اللحظة وبين لحظات تاريخية ، كانت في ميسلون والقسطل والكرامة وتشرين ، وها هي تمتد إلى المواجهات التاريخية العظيمة في غزة ونابلس وجلجول ورام الله .... لقد امتد خداع الاستعمار القديم والجديد في أرضنا من بلفور وسايكس بيكو إلى كامب ديفيد .. ويقاتلون حتى يطردوا غربانهم من فلسطين ، كما طرد صلاح الدين علوج الصليبيين ... "(٣)فخالد الكركي إذن يقف الموقف ذاته إزاء الشخصيتين التاريخيتين ، وبنفس اللغة وبنفس العاطفة المتوقدة ، يبثهما حزنه وحزن الأمة وألمها

وفي إحدى المقالات يوجه خطابه نحو صديقه مؤنس الرزاز يبثه بعضا من حديث نفسه في أشجان الأمة قائلا :

---

(١) – نفسه ص ٤٣ ، ٤٤ (٢) – نفسه ص ١١٥ (٣) – نفسه ص ١١٥

" يا أبا منيف

ليس ثمة ما يمنع أن نكد ونشقى، وان نجوع ونعرى ، وأن نموت ونحيا ، ولكنّ هناك ألفا من الحسرات تمنع ان نصمت وان نهتف بالناس :" سكوت " وأستاذنك أن أعيد على مسامعك حكاية رفض عظيمة من تراثنا القريب ، وهي حكاية الفتى العربي الأزهري سليمان الحلبي..." (١) وقبل أن يصل الكركي إلى قص الحكاية ، التي يعرفها مؤنس الرزاز، كما يعرفها الكثيرون ، يتابع كلامه السابق حاشدا أسماء طائفة من رموز التاريخ الاسلامي وقادته العظام ، ليزيد ضرام الحديث ويشعل النشاط والحدة في نفس القارئ ، في هذه المقالة التي تربط هذا الرمز التاريخي "سليمان الحلبي" بجرح الأمة الدامي " القدس " وتحمل عنوان " سليمان الحلبي يصل إلى القدس "يتابع قائلا : " وبين الحلبي وابناء عمومته من أهل القلق والرفض من أمثال عبد الرحمن الداخل والظاهر بيبرس وموسى بن أبي الغسان وعمر المختار وعز الدين القسام .."(٢) فالكاتب يوظف الاسم والقصة مع هذه الأسماء في إشراك القارئ في صدق عاطفة المقالة حيث يتابع قائلا : " اقترب الفتى العربي الأزهري سليمان الحلبي من الجنرال كليبر قائد القوات الفرنسية في مصر وعاجله بطعنة خنجر أصابته في صدره ، فصاح الجنرال : إليّ أيها الحارس ، ثم سقط على الأرض مضرجا في دمه ... ثم أعدم سليمان الحلبي ..."(٣)

ثم يختم المقالة بتوسيع الإطار الجغرافي في حديثه ليشمل معظم بلاد العرب ، ليكون تأثير الخطاب أعم ، ذلك أنه قد ربط بداية بين سليمان الحلبي والقدس - كما رأينا - ثم حشد عددا من الرموز التاريخية المتمثلة في الأسماء الواردة الذكر ثم قال : " ومن هؤلاء ، ومن أجل هؤلاء سار الفتى الأزهري العربي من حلب إلى القدس فغزة فالقاهرة ، ولم يغمض له جفن حتى اشتعلت ضفتا النيل ، ورحل الغزاة المحتلون ، وانهمر المطر فوق مآذن الأزهر ، وجرى الدم العربي بهيا في سهول الجزائر وفلسطين والبصرة وأريتريا ، يروي الأمة بعد ظمأ ، وغدا ينهمر مطر التحرير على مآذن القدس الخالدة فرحا وحرية .."(٤)

ويخاطب شخصية الرئيس المصري الراحل "جمال عبد الناصر " في مقالته " مصر التي في خاطري " ـ عبد الناصر ـ" في ذكرى رحيله ، باثا إياه بعض أشجان الأمة ومآسيها بعد رحيله قائلا له : " لا أبكيك أبا خالد ولا أرى ذكرى رحيلك إلا إضاءة لهذا الزمن الذي كانت فيه مصر معك ، وكنت معها ومع الأمة كلها ، هذه مصر التي تركتها لزمن الانفتاح الساداتي - الأمريكي ، لم تزل تنتظر مخاضها التاريخي ... سنخبئ كل أسماء أحرار الأمة ودعاة حريتها

---

(١) – نفسه ص ١٣٦ (٣) – نفسه ص ١٣٧
(٢) – نفسه ص ١٣٦ (٤) – نفسه ص ١٣٨

ووحدتها وضمير فقرائها ... "(١)

وبهذا فإننا نلاحظ أن خالد الكركي قد أشبع مقالاته باستلهام الأسماء التاريخية القديمة والحديثة من الرموز التي تعتز بها الأمة .

ولننتقل إلى جانب آخر من استلهام التاريخ وهو استلهام الفقرات والمقاطع من الكتب التاريخية ، وتدوينها بين ثنايا المقالات ، لتتناغم مع عواطفها لإيصال الفكرة وإشراك القارئ في دفقاتها الشعورية ، ففي مقالته " عكا بين يدي صلاح الدين " يوظف عددا من النصوص التاريخية المكتوبة التي اقتطفها من صفحات بعض المصادر التاريخية ، وهي رسائل من صلاح الدين إلى بعض سلاطين الأمة العربية الإسلامية ورجالاتها ، ومنهم إليه ، تمهيدا ليبثه بعض أشجان الحاضر الحزين ، حيث يقول :"يا صلاح الدين والدنيا ، ومنقذ بيت المقدس ، عليك سلام الله وبعد ... وهذه رسائل من تاريخ نضالك من أجل عكا تلغي كل الذي كنت أريد أن أقول في هذه الزاوية ، لأن كلامي معتم وكلامك مضيئ (٢) . فهذه الرسائل إذن تعبر عما يريد الكاتب قوله بصورة أسطع وأوضح من الكلام الذي كان سيقوله ، لذلك فإنه قد ارتأى توظيفها هنا ، وهي من أكثر من مصدر ، وهي كما أوردها في مقالته على الترتيب التالي :

" الرسالة الأولى : من صلاح الدين إلى الخليفة الناصر يشرح له الوضع حول عكا

- " ومن خبر الفرنج أنهم الآن على عكا ، يمدهم البحر بمراكب أكثر عدة من أمواجه ، ويخرج منه للمسلمين ما هو أمر من أجاجه ... ولله الأمر من قبل ومن بعد" (كتاب الروضتين لأبي شامة)

الرسالة الثانية : من القاضي الفاضل إلى صلاح الدين أثناء حصاره للصليبيين حول عكا .

- " ومعاذ الله أن يفتح علينا البلاد ثم يغلقها ، وأن يسلم على يدينا القدس ثم ينصره ... فلا تهنوا أو تدعونا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم " (كتاب الروضتين لأبي شامة)

الرسالة الثالثة : من أهل عكا إلى صلاح الدين

- ولما كان يوم الأحد ثاني عشر وصلت كتب يقولون فيها : " إنا قد تبايعنا على الموت ... وإياكم أن تخضعوا لهذا العدو أو تلينوا " (النوادر السلطانية لابن شداد)

الرسالة الرابعة :من صلاح الدين (بعد سقوط عكا) إلى موفده إلى سلطان الموحدين كي يحثه للنجدة

- : " لقد تجاوز عدد من قتل في عكا - يعني من الفرنج - الخمسين ألفا ... فغن عاريتنا بها ترتد وعاديتنا بها تشتد" (تاريخ ابن الفرات) (٣)

---

(١) - نفسه ص ١٦٢ ، ١٦٣ (٢) - نفسه ص ١٣٩ (٣) - نفسه ص ١٣٩ ، ١٤٠

ويستمر بعد ذلك مخاطبا صلاح الدين وكأنه يخاطبه في رسالة موجهة إليه ، يحدثه فيها عن بعض ما حصل بعد وفاته حول عكا قائلا له : " غير أن انتظار عكا طال بعدك مئة عام ... حتى كانت سنة ٦٨٩هـ حين تأهب السلطان قلاوون " وطلب أن تشترك كل قرية من قرى الشام بعدد من الرجال كل حسب قدرتها " وقد عاجلته المنية وهو في غمرة الاستعداد ، فنال ابنه الأشرف صلاح الدين خليل ، شرف تحريرها وإخراج الصليبيين من أرضنا إلى الأبد ... "(١) .

ثم يردف كلامه هذه بفقرات من كتاب يوسف غوانمة في كتاب له عن شرقي الأردن في ذلك الزمان : " ثم شدد المسلمون حصارهم لعكا ، وكان جيش الكرك بقيادة نائبها قد أبلى بلاء حسنا في هذه المعركة ... وبذلك تمكن بيبرس وجنده الكركيون ومن معهم من أجناد المسلمين إتقاء رمي الفرنج ... " (٢) . وفي نهاية المطاف يقدم لسيده صلاح الدين صورة فتح عكا بنقل نص من كتاب " النجوم الزاهرة " يشرح كيف تم الفتح : " والعجيب أن الله سبحانه وتعالى قد فتح عكا في مثل اليوم الذي أخذها الفرنج فيه ، ومثل الساعة التي اخذوها فيها "(٣)

فهو يعيش في غمرة الحدث وكأنه واحد من صناعه ومؤرخيه ، فقد حشد هذه النصوص وأدرجها في بناء رسالة وجهها إلى صلاح الدين ، وكأنه واحد من قواده على رأس جيش من جيوشه . حيث اختلط في هذه المقالة البعدان القومي والوطني ، ذلك أنه لم ينس وطنه الأردن ، فقد أحب أن يشركه في الفضل ، فأورد مقطوعة من كتاب يوسف غوانمة عن دور أهل شرق الأردن في فتح عكا . ثم يختم المقالة بعد ذلك ببث أشجان نفسه والتصريح عن السبب الذي أدى إلى ابتكار هذه الرسالة ، وجمعه لهذه النصوص فيها ، وهو الروح العربية الجياشة في كيانه لتاريخ أمته وانتصاراتها ، حيث يقول : " وأسعد بهذه الوثائق لحروبنا ضد الصليبيين والتتار ، للمصادر التي حفظتها ، والتي نستظل بها في الزمن الذي لوحتنا فيه شمس انتظارنا لانتصار عظيم "(٤)

وفي مقالته " بغداد : قولي لشمسك لا تغيبي " يأسى لحال بغداد إثر هجمة المستعمرين الجدد ، الأمريكان والإنجليز عليها ، ويريد لينفس شيئا من هذا الأسى ، أن يخبر بانيها أبا جعفر المنصور ، بما حدث لها إبان خرابها على يد التتار ،وليربط ما حدث بما يحدث فيقول : " غير أني لا أستطيع ، ولا غيري بقادر ان أصدق النبأ ، وأن احمل إلى ابي جعفر المنصور خبرا يقول إن جوهرته التي صاغها ، قد مسها الضر من مغول هذا الزمان "(٥) . فهو يربط بين الزمانيين والحادثتين المفجعتين ، لذلك فإنه لا يجد أفضل من النص الذي كتبه المؤرخ البغدادي

---

(١) – نفسه ص ١٤٠ (٣) – نفسه ص ١٤١ (٥)– خالد الكركي : بغداد لا غالب إلا الله ص ١٦٢
(٢) – نفسه ص ١٤١ (٤) – نفسه ص ١٤٢

ابن التنوخي في أحداث سنة ٦٥٦ هـ في كتابه " الحوادث الجامعة ، والتجارب النافعة في المئة السابعة " ليخبر به الخليفة أبا جعفر المنصور عما حدث حيث يقول النص الذي نقله خالد الكركي : " ووضع السيف في أهل بغداد يوم الاثنين خامس صفر ، وما زالوا في قتل ونهب وأسر وتعذيب الناس بأنواع العذاب ، واستخراج الأموال منهم بأليم العقاب مدة أربعين يوما ، فقتلوا الرجال والنساء والصبيان والأطفال ... وأحرق معظم البلد ، وجامع الخليفة وما يجاوره واستولى الخراب على البلد ... " (١) . فهو ينقل النص الذي رأى أنه يخدم الفكرة أيما خدمة ليخبر به الخليفة عما حدث ، وليقارن بين ما حدث لها آن ذاك وما حدث لها إبان هجمة الأمريكان والإنجليز عليها في آخر الزمان ، لذلك فإن خالد الكركي يختم هذه الفقرة بقوله : " ساقول لك أيها العظيم : لقد فعلت أمريكا والإنجليز ما فعله المغول "(٢)

إذن ، فهو يوظف نصوصا بعينها من كتب التاريخ في ثنايا مقالاته ، لتخدم الفكرة التي هو بصددها ولتوصلها إلى القارئ ، في عاطفة جياشة .

ومن الأشكال الأخرى في استلهامه التاريخ وتوظيفه ، استلهامه لبعض الأحداث التي تعتز بها أمتنا أو تخزى منها ، وهو إنما يوردها هنا ، لأخذ العبرة منها ، سواء أكان الحدث مشرفا أو العكس ، فهو في الحالتين يظل درسا يتعلم منه الإنسان .

ففي مقالته " بغداد : وسوى الروم خلف ظهرك روم " يصرخ في وجه الطابور الخامس من الخونة من أبناء الأمة العربية والإسلامية الذين تآمروا على العراق وأهله وبغداد وتاريخها العريق وحضارتها الماجدة ، إذ العنوان يوحي بمضمون المقالة ، فليس أعداء بغداد هم الروم وحدهم ، وإنما هم وجه لعملة ، والوجه الآخر هم الروم الداخليون المنبثون داخل صفوف الأمة ، لذلك فإن خالد الكركي لا يطيل في التمهيد والتقديم بين يدي حديثه عن هؤلاء الخونة ، بل يلج إلى الموضوع مباشرة بعد سطور قليلة من بداية المقالة ، وكأنه لايستطيع الانتظار ليعلن صرخته في وجوههم حيث يقول : " ولما كان الزمان خؤونا ، وفيه نفوس ضالة تماهت مع العدو وأخذت تتمرغ في وحل الخيانة ، فإن صورة ابن العلقمي القبيحة ، لا بد أن تظهر في وجوه كثيرة خذلت مدينتنا الخالدة في ساعة الخطر ، أو خانتها حين امتطت في الطريق إليها آليات الغزاة ، وتحولت من وجوه لصوص إلى وجوه تدعي المعارضة والحرص على العراق "(٣)

فهو يستشهد بقصة خيانة ابن العلقمي وتواطئه مع الغزاة المغول ، حيث يسرد ملخصا لما فعله ابن العلقمي هذا وما آل إليه حاله في النهاية قائلا : " لقد كاتب ابن العلقمي المغول سرا

---

(١) – نفسه ص ١٦٣ (٢) – نفسه ص ١٦٣ (٣) – نفسه ص ٣٤

قبل اثنتي عشرة سنة من هجومهم على بغداد ، وجر هو لاكو إلى أبوابها ، وفرق العساكر بعيدا عنها ، وسرح خمسة عشر ألفا منهم ، وأبعد قادة الجيش وفرسانه عن المدينة ، وقال إن عساكر المغول لانهاية لها ، وأنه لامجال للدفاع عن الدولة ، وأن صبر الناس قد نفذ ولا طاقة لهم على الحرب ... وأغرى المستعصم بالاستسلام لمطالب هولاكو ، ثم بمقابلته مع سادات المدينة حيث قتلهم هولاكو عن آخرهم ..." هذا ما فعله ابن العلقمي فماذا كان مصيره ؟ . يقول خالد الكركي : " ذاك هو ابن العلقمي بعد دخول المغول إلى بغداد حيث أمر هولاكو بقتله ، وقيل بل نبذه حتى صار موضع سخرية المغول وأهل بغداد ... وبعد هلاكه كتب الناس على الجدران وأبواب المدارس والأربطة : " لعن الله من لا يلعن ابن العلقمي "(١)

إذن فقد كان خالد الكركي موفقا في هذا الاختيار لأنه أشرك القارىء في جو المقالة الجياشة بالعاطفة ، وكان صورة لما حصل في الهجمة الاستعمارية الحديثة من دخول الأمريكان والإنجليز لبغداد ، وكانت صورة الخونة المعاصرين ، انعكاسا لخيانة ابن العلقمي ، حيث يقول : " هانحن ما نزال نحدق في الفضائيات " العربية " وعيون الغزاة تحاصرنا ليل ونهار ، نحاول أن نستعيد ساعة من زماننا القومي العذب ، فلا يطاوعنا الزمان نفسه ، فقد صار خائنا مثل بقية العملاء ، الروم منهم والعرب .."(٢)

ويوجه رسالة فيها تحية إعزاز وإكبار إلى الشيخ سعد الدين العلمي الذي امتدت يد الطغيان الصهيوني إليه فآذته ، فيقول له في مقالته " ولكن تؤخذ الدنيا غلابا " : " يا سيدي الشيخ ، ينحني دمنا على دمنا ... وتطلع نجوم ليلنا العربي الغاضب ، ولا تسافر في نور الصباح إلا بعد أن تحمل وهج الكلام إلى الأقصى وإليك ... فانهض يا سيدي الشيخ ، فاليد الهمجية التي امتدت إلى بهائك منبوذة في هذا الزمان ... "(٣) ، ذلك أنه كان رمزا من رموز النضال الفلسطيني ، وصوتا هادرا داعيا إلى مقاومة الاحتلال ، لذلك فإنه يريد ان يثبت فؤاد شيخنا بذكر أمثلة من تاريخنا المشرف ، يذكر فيها أمثلة من الحوادث التي مرت ، والتي كان فيها الشيوخ العلماء المجاهدون منارات ومنابر ورماحا تشرع في وجه الأعداء في كل زمان ، لذلك يقول له : " انهض فصباح التحرير قادم ، وانظر حولك إلى شيوخ نضالنا عبر تاريخنا الثوري ، يتقدمون للسلام على القدس وعليك .."(٤) .

ثم يبدأ الكاتب بذكر الأمثلة تباعا قائلا :

" الزمان : أوائل القرن السابع الهجري و(سبط بن الجوزي) ومسجد دمشق الأموي غاضبان

---

(١) – نفسه ص ٣٤ ، ٣٥
(٢) – نفسه ص ٣٥
(٣) – خالد الكركي : أوراق عربية ص ١٢٣
(٤) – نفسه ص ١٢٣

على الاحتلال الصليبي ، يصعد الشيخ المنبر ويلقي على الناس ضفائر النساء التي قطعنها في سبيل الحرية والوطن ... وهاهم الناس يندفعون بعد الصلاة إلى النصر او الشهادة .." (١) ، فقد خطب ابن الجوزي واستثار وكان لكلامه وقع وتاثير .

" الزمان أواسط القرن السابع الهجري ، وعز الدين بن عبد السلام قد جاوز عتبة الثمانين ، وبلاء التتار ينتشر خرابا في وطن أمتنا ، وها نحن نرى الشيخ عز الدين يجوب الديار داعيا إلى الجهاد ويضع شروطه على حكام مصر ... وكانت عين جالوت ... انتصارنا العظيم .."(٢)

وكان تاثير ما فعله الشيخ العز بن عبد السلام ، بنفس تأثير ما فعله سبط بن الجوزي .

"الزمان : أوائل الثلاثينات من هذا القرن [العشرين] وشيخ المجاهدين عمر المختار يصعّد ثورته ضد الفاشيين المحتلين ، وها هو اسمه يسطع في وجدان الأمة ..."(٣)

" الزمان : ثلاثينات هذا القرن [العشرين] / ثورة فلسطين العظيمة ، والفارس الشيخ فرحان السعدي يمتد بدماء القساميين إلى مداها الثوري مع مجاهدي فلسطين ... "(٤)

إذن فقد وظف خالد الكركي احداثا من تاريخنا المشرف ، وضرب للشيخ سعد الدين العلمي أمثلة وضاءة من تاريخنا القديم والحديث ، ليثبت فؤاده ويستنهض همته ، ومن ثم همة الأمة كاملة ، فإذا كان الخطاب موجها لشيخ من شيوخ أمتنا المعاصرين المجاهدين ، والأمثلة من تاريخ جهاد شيوخنا عبر الأزمنة القديمة والحديثة ، فمن باب أولى أن تستنهض همم الشباب ، وهم مادة الأمة وطاقتها المتجددة ، حيث يتابع كلامه السابق معلقا بقوله : " هذه طلائع ضيوف تاريخنا النضالي من المجاهدين ضد الصليبيين والتتار والفاشيين والاستعمار الصهيوني الإمبريالي .." ثم يختم مضيئا شمعة الأمل : " هذه رايات فلسطين مخضبة بدم شهدائها ، معطرة بغضب شيوخها وأطفالها ..."(٥)

د- توظيف الأغاني .

ومن الموروث الذي كان خالد الكركي يستلهمه الأغاني والأناشيد الشعبية ، ذلك أن الغناء والأناشيد مما يرتبط بالفطرة ويحرك المشاعر ، فإذا كان الشعر هو ديوان العرب الذي لايمكن ان تدعه حتى تترك الإبل حنينها ، فإنه يجب أن نتذكر أن الشعر في أصله موسيقا وغناء ، ذلك أنه كلام موزون مقفى تحفظه الطبائع وتألفه القلوب ويعلق بالذاكرة أكثر من النثر ، ولقد طغت روح الثورة في مقالات الكاتب انطلاقا من البعدين العميقين اللذين توزعت مقالاته بينهما وهما :

---

(١) – نفسه ص ١٢٣ (٣) – نفسه ص ١٢٤ (٥) – نفسه ص ١٢٤ ، ١٢٥
(٢) – نفسه ص ١٢٣ ، ١٢٤ (٤) – نفسه ص ١٢٤

البعدالوطني والبعد القومي ، إذ كان يتحدث بعاطفته الصادقة فيحرك المشاعر ويستلهم كل ما يمكن أن يحركها من موروث ديني أو تاريخي ، فكان طبيعيا أن يسعى الكاتب إلى استلهام الغناء في مقالاته ، ولنضرب عليه الأمثلة التالية .

فهو يجعل عنوان إحدى مقالاته مقطوعة من إحدى الأغاني الشعبية الثورية الشامية ، وهي " إضرب رصاص خلي رصاصك صايب " وهي من الأراجيز الشعبية التي كان ينشدها المجاهدون في بلاد الشام إبان جهادهم ضد الفرنسين والإنجليز ، لطردهم من بلادنا ، فجعلها الكاتب بنفس النص والألفاظ العامية البسيطة ، عنوانا لهذه المقالة التي يقول في مستهلها : " سلام على أهلنا في زمن الغضب الذي ينسجونه من دمائهم وصبرهم وإصرارهم العظيم على التحدي ... "(١) ويقول في وسطها : " أي وجد يحاصر الكلام ، ونحن نحاوره أن يكون صمتا عند الحديث عن أرواح الشهداء ..." (٢)

ويقول في آخرها مستلهما مقاطع أخرى من بعض أراجيز الجهاد والاستشهاد : " واشتد صوت الشباب الذين يدقون الأرض بحجارتهم في أعراس الشهادة والمجد ، وها هو يشتد بغضب وفتوة " سيفنا يخلي الدم شلال ... " فيجيئه رجع صوت آخر في حداء أهلنا في فلسطين " هلا بخالد هلا بصلاح الدين ... " وعلى أرواحكم السلام ، ولأمتكم المجد والنصر "(٣) فقد كان عنوان المقالة أرجوزة ، وقد غنت المقالة كلها بلحن الأرجوزة فتحركت المشاعر مع هذا الغناء ، مع صدق عاطفة الكاتب وانغماسه في حزن أمته وأساها .

وفي موضع آخر ، يعيش مع جهاد الأهل في العراق ، وفي الفلوجة بالذات ، فيربط بين الاسم البسيط الذي أصبح عظيما " الفلوجة " وبين مقطع من بيت شعر لشاعر معاصر وهو أبو القاسم الشابي ، هذا المقطع الشعري الغنائي من قوله :

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر

فيكون عنوان المقالة : " الفلوجة : إذا الشعب يوما ..." ويصمت الكاتب لأنه يريد من القارئ المشارك له في المشاعر ، أن يكمل البيت ويغني معه فيقول الكاتب : " إنها الحرية التي تلوح دارها فنادي " هذا ربع عزة فاعقلا ...." والتي تحضر في الكتابة والقلق ، نبعا وغيما وفيضا من النرجس والهوى " (٤) . ثم يتسع المدى الجغرافي في حديثه ليشتمل ميادين العزة والجهاد في ديار العروبة ، فينشد ويغني مع المجا هدين في مصر والجزائروالأردن أناشيدهم في حامات الوغى وميادين صراع المحتلين فيقول : " وفي الذين خرجوا إلى ميادين

---

(١) – نفسه ص ١١٩
(٢) – نفسه ص ١١٩
(٣) – نفسه ص ١٢٠
(٤) - خالد الكركي : بغداد لا غالب إلا الله ص ٨١

مصر ذات زمان وهم يهتفون " بلادي بلادي " حتى خرج الإنجليز من مصر ، وفي الذين اجتاحوا الاستعمار الفرنسي في الجزائر وأخرجوه وهم ينشدون : " قسما بالنازلات الماحقات " وفي الذين صدوا الصهاينة في معركة الكرامة وهم يهزجون : إضرب رصاص خلي رصاصك صايب " ، ثم يتحدث معلقا : " إنها روح المقاومة التي تزلزل الأرض تحت أقدام الغزاة ... "(١) . فالكاتب يعيش مع المجاهدين وينشد معهم ويرجز بأراجيزهم ، وقد كان موفقا في ذلك .

هـ - توظيف الأسماء .

ومما يلاحظ في هذا الجانب كثرة إيراده لعنصر مهم من الموروث ، وهو الأسماء ، سواء أكانت أسماء شخصيات تاريخية ، وبالذات القادة العسكريين ، أو المدن التاريخية أو المعارك ، وهو يتعمد إيراد أسمائها متتابعة في الغالب ، لتحدث في النفس أثرا . ذلك أن ورودها بهذا الشكل يوحي بأن الكاتب يتعمد حشد كل ما هو ممكن لتثبيت فؤاد الأمة ، لئلا تهن عزيمتها في زمن التحديات هذا ، ولتذكير القارئ بأن هذه الأمة كانت وما تزال عظيمة ، بقادتها ومدنها ومعاركها وملاحمها وشهدائها الأبرار ، فهذه الأسماء ولاريب ، تحدث تأثيرا فعالا ضمن السياقات العامة لمقالاته الأدبية ، ذلك أن كل اسم من هذه الأسماء ، يحمل بين حروفه دلالات على عظمة مدينة تاريخية ، كان لها دورها الحضاري ، أو شخصية سطرت اسمها في سجل التاريخ بأفعالها العظيمة ، أو معركة فاصلة ، غيرت وجه التاريخ وسطرت مجد هذه الأمة وعظمتها .

فهو يتحدث بحدة وانفعال في مقالة " المعلم " التي خاطب فيها شخص جلالة الملك الحسين الراحل طيب الله ثراه ، واستذكر فيها مآثر الأردنيين الذين تنكر البعض لجهودهم وتضحيا تهم الجسام في الذود عن حياض الأمة ، وتكوين مجدها العريق ، حيث يقول :

" أيها المعلم

ما تزال هنا ، وكيف يغيب الذين حضروا زمن الفتح ، وأقاموا في زمن بني امية وبني العباس وبني أيوب وبني هاشم ..."(٢)

فقد حشد هنا أسماء اربع قبائل عربية وإسلامية ، وأي قبائل هذه ! إنها ليست قبائل بالمعنى المجرد لكلمة قبيلة ، وإنما هي أربع قبائل ، كونت دولا في بناء التاريخ الإسلامي ، كان لها تأثيرها العظيم على مدى قرون التاريخ الاسلامي ، فقد كان منهم القادة والخلفاء والملوك ، وكان منها الحضارات والممالك التي أعزت الإسلام والعروبة ، ولو أن أحدا أراد أن يفتح سجل كل اسم قبيلة من هذه القبائل ، لفتح كتب التاريخ كلها وما كفاه ، إذن فقد كان لحشد لهذه الأسماء تأثيره الفعال في بناء النص .

---

(١) – نفسه ص ٨٣ (٢) - خالد الكركي : من دفاتر الوطن ص ١٧٠

ويستمر خالد الكركي في نصه السابق حتى يصل إلى موضع ، يثورفيه على منكري فضل الأردن وأهله فيقول : " وكنا ، وما نزال عند عهد الأمة بنا ، نقري الضيف ، وتستفزنا المروءة لكل خير ... وكنا نعلم أطفالنا كتاب الهوى القومي عن القاهرة ودمشق وبغداد والقدس وصنعاء...."(١) . فما هو التأثير الذي يحدثه ورود هذه الأسماء التراثية في هذا النص ؟ إن اسما منها يشير إلى عاصمة من عواصم مجد العروبة والإسلام ، وكل اسم منها يشير إلى دولة من دول التاريخ الإسلامي ، وكل اسم منها يشير إلى أن العالم كله كانت تدار شؤونه من هذه المدن ، عندما كانت عواصم لدول الإسلام المتتابعة إلى آخر ما يمكن أن يقال .

وفي موضع آخر من مقالة " عز الدين القسام يصعد إلى أحراش يعبد "، يتحدث إلى الشيخ المجاهد عز الدين القسام ، يبشره بتجدد الثورة من جديد قائلا له : " هذه فلسطين ، تدخل زمن الثورة / الرؤية ، ويخرج أبناؤها من تجربة النار والدم أكثر إصرارا على العودة إلى الجذور ...." (٢) ، ثم يحشد الأسماء من جديد ليتركها تفعل فعلها في بناء النص ليقول :" ويقوم الآن زمن من الوجد والكبرياء بين تلك اللحظة ، وبين لحظات تاريخية كانت ميسلون والقسطل والكرامة وتشرين ، وها هي تمتد إلى المواجهات التاريخية العظيمة في غزة ونابلس وحلحول ورام الله وقباطية ، ويمتد خيط الدم الزكي من فؤاد حجازي ومحمد جمجوم وعطا الزير إلى سواعد الفتية الذين يقاتلون الاحتلال ... لقد امتد صراع الاستعمار القديم والجديد في أرضنا من بلفور وسايكس بيكو إلى كامب ديفيد... "(٣)

فقد تعمد إيراد اسماء عدد من معارك العزة من أكثر من بلد عربي ، ليوجه الكلام إلى مدن وقرى فلسطين وشهدائها ، ويختم بذكر أسماء عدد من المؤامرات التي حيكت ، ومزقت جسد الأمة العربية . فالمسافات الجغرافية تنعدم ، وتتكاثف الأحداث التي يخفيها كل اسم من هذه الاسماء لتحدث تأثيرها في النص ، ولتلهب مشاعر القارئ .

ولا يكتفي باستلهام أسماء الأعلام من موروث أمتنا وحسب ، بل إنه يتعدى ذلك ليستلهم الأسماء من الموروث الإنساني كله ، فها هو ذا يخاطب أحرار العالم في مقالة " نداء : إلى مثقفي العالم الأحرار" فالنداء موجه إلى الأحرار منهم ، ليذكرهم بجرح من جروح الإنسانية وهو قضية فلسطين قائلا : " ايها المثقفون الشرفاء ، على امتداد النضال الإنساني كله في سبيل الحرية ... يا أيها الذين التزموا بقضايا الإنسان الذي قاتل ضد الاستعمار والفاشية

---

(١) – نفسه ص ١٧٥ (٢) - خالد الكركي : أوراق عربية ص ١١٥ (٣) – نفسه ص ١١٥

والطغيان والعنصرية .."(١) ، ثم يردف بذكر أسماء عدد من أعلام الأمم الإنسانية الحرة ، أولئك الأعلام الذين جسدوا جلد الشعوب ، وحبها للحرية ،علها تحرك مشاعر أولئك المثقفين قائلا : " أيها المثقفون الأحرار :

أين هو " اللواء الدولي " والذي يقف إلى جانب مناضلي فلسطين ، ويعيد لآفاق الحرية لواء مماثل لكم ، قاتل إلى جانب أحرار إسبانيا في الثلاثينات ضد الفاشية والقهر ... وتصل بين لوركا الإسباني الشاعر الذي ألقى الفاشيون جثته قرب نبع (عين الدمع) قرب غرناطة سنة ١٩٣٦ ، ومانديلا ، نجم إفريقيا السوداء الذي ما يزال أسير سجون العنصريين ، وغسان كنفاني الذي قضى شهيدا ، وسوف تنهض القدس عربية حرة كما نهضت باريس بعد هزيمة النازيين ، وبغداد بعد رد المغول ، وبيروت بعد صد الطاغية شارون .... نتذكر " اللواء الدولي " في إسبانيا خلف راية " لوركا " المخضبة بعطر الدم الغرناطي ، ومواقف " طاغور" الهندي ، و" رومان رولان " الفرنسي " وهمنغواي " الأمريكي و"جورج أورويل " الإنجليزي ، ونتذكر حضور " أندريه مالرو" الفرنسي ... ونتذكر " نيرودا " شاعر تشيلي الراحل ، فنتذكر أمريكا اللاتينية ، التي تخوض كلها صراعها التاريخي المستمر ضد الإمبريالية "(٢)

هذه مجموعة من الأسماء العالمية ، التي استلهمها ووظفها في النص ، ليستثير بها ضمير الإنسانية ، ويذكرها بجرح من جراحات هذه الإنسانية ، وهو قضية فلسطين ، وكل اسم منها - سواء كان بعده سياسيا أو أدبيا - فإنه يشير إلى حركة من حركات الحضارة الإنسانية والتاريخ العالمي ضد القهر وتسلط الإنسان على أخيه الإنسان .

و - توظيف عناوين الروايات العربية .

ومما يعمد الكاتب إلى استلهامه في بناء مقالاته الأدبية ، عناوين بعض الروايات والكتب النثرية العربية والأجنبية ، وهي وإن كانت أقل حظا من غيرها في استلهامه للموروث ، مقارنة بالجوانب الأخرى كالشعر : أبياتا ونتفا وقصائد عامودية وحرة - إلا أن استلهامه لها يحمل أبعادا تؤتي أثرها في بناء نصوص مقالاته ، بما تحمله هذه العنوانات من أبعاد فنية نثرية .

فقد توجه مرة في رحلة إلى جنوب الأردن ، ليحضر ندوة في مسقط رأسه الكرك فكتب مقالته " نقوش على بوابة مؤتة " ، فحمل العنوان أبعاد تعلقه بالتاريخ العربي المجيد الذي تشكل مؤتة نجما ساطعا في سمائه ، وبعد حبه لمسقط رأسه وديرته الكرك فقال : " أخرج هذا الصباح من باب عمان الجنوبي وأبدا " موسم الهجرة إلى الجنوب " وهناك ألقى عصا التسيار

---

(١) - نفسه ص ١١٢ (٢) - نفسه ص ١١٢ ، ١١٣

وأمد التحية لأرواح الشهداء..." (١) ، فاستلهم عنوان الرواية العربية الشهيرة " موسم الهجرة إلى الشمال " للكاتب العربي السوداني الطيب الصالح ، التي رسمت صورة للصراع الحضاري بين الشمال والجنوب ، وبين حضارة الشرق العربي ، والغرب الأروبي ، وعدم تلاقيهما . وكأنه باستلهامه لهذا العنوان ، وتصرفه بكلمة منه وتبديلها " الجنوب " بدل " الشمال " – يشير إلى هوى نفسه ، الذي يميل إلى حيث يميل هوى أمته وإلى سيره في ركاب الأمة : تاريخا وحضارة ، لا سيما وهو متوجه إلى ديرة هي من رموز التاريخ العربي : الكرك ، وارتباطها بمؤتة وصلاح الدين وخالد بن الوليد .

وفي مقالته التي سبقت الإشارة إليها وهي " نداء: إلى مثقفي العالم الأحرار " يشير الكاتب إلى اسم الكاتب العربي الفلسطيني الشهيد الراحل غسان كنفاني ، كواحد من رموز العالم ومثقفيه ، إلى جانب الشاعر الإسباني : لوركا ، ونيلسون مانديلا الأفريقي ، وغيرهم من أحرار العالم قائلا :" وغسان كنفاني الذي قضى شهيدا وهو يخط لفلسطين روايته وشهاداته الرائعة ، عن أمنا " أم سعد " التي تقاتل الصهاينة الآن في قرى فلسطين ..."(٢) ، فهو يشير إلى مجموعته القصصية التي تحمل ذات الاسم " أم سعد" وما تحمله وتصوره من كفاح الشعب الفلسطيني ضد المستعمر الصهيوني .

وفي موضع آخر يتحرك في قلبه هاجس الحمية القديم لجامعته التي درس فيها ، للجامعة الأم الجامعة الأردنية فيقول : " أي هاجس هذا الذي يشغل القلب بها ، حب المكان أم رواء ساكنيها ؟. حوارها المستمر فينا ، ام شوقنا لمحاضراتها ... أم القصائد التي ظلت تتفتح ربع قرن من الزمان ، منذ أن نقش الطلبة أسماءهم على الأشجار والمقاعد والبوابات ؟ "(٣) ، ثم تحمله هواجس المحبة هذه ، ليفتح بعض النصوص العالمية ، ويقرأ فيها ما يمكن أن يجيب عن استفساراته ، فيجد الاجوبة في جزئيات من ملحمة جلجامش ، ورائعة شاعر إسبانيا " لوركا " وهي " مرثية صراع الثيران " إلى أن يصل إلى قصة الروائي غابرييل ماركيز ، والتي تحمل عنوان " قصة موت معلن " فيستلهم جزئية تتعلق ببطلها قائلا : " وبطلها من نسل مهاجرين عرب إلى أمريكا اللاتينية واسمه " سنتياغو نصار" الذي ظل مشرعا للقتل نحو حتمية مأساوية قاسية : الكل عاجز عن منع القتل ، ولكن سقوطه يكون نبيلا : كانت صرخته تملأ الفضاء ، وظل " يحاول النهوض من بين دمه " و" بدأ يسير وهو في حالة من الغيبوبة "(٤) والسؤال هنا ما الذي حمل على استلهام هذا الجزء من نص هذه الرواية العالمية ،مع ما سبقت الإشارة إليه من الموروث العالمي

---

(١) – نفسه ص ٧
(٢) – نفسه ص ١١٢
(٣) – نفسه ص ٩
(٤) - نفسه ص ١٠

في هذه المقالة ، التي يبث فيها بعض هواجس نفسه للجامعة الأردنية ؟ إنها الثقافة التي كانت الجامعة نبعا لها ، ذلك أنه وجد أن افضل ما يمكن أن يداعب هواجسه هذه ، هو تذكر بعض مما كانت الجامعة ، تمد به طلابها من ثقافة ، ذلك انه يقول : " أعرف أن هذا بعيد عن الموضوع ، لكنه ليس بعيدا عن روح الجامعة التي حملت الثقافة إلينا ... "(١)

* * *

إذن فقد بينت هذه الدراسة شيوع ثلاثة جوانب تشكل السمات الفنية العامة في كتابة المقالات الأدبية ، توزعت بين : النسيج اللغوي ، حيث شكلت الجمل الإخبارية والإنشائية قوام هذا النسيج ، إذ كان الكاتب يكثر من استخدام الأساليب الإنشائية في بناء مقالاته الأدبية ، الأمر الذي منحها القدرة على استثارة القارئ وإشراكه في جوها وعاطفتها وموضوعها ، وكذلك العناصر الفنية التي تمثلت في اعتماده بكثرة على أسلوب التشخيص والتجسيد ببث الحياة في شخصيات التاريخ وعناصر الطبيعة ، وكذلك تداخل مقاطع الشعر الحر الذي كان الكاتب ينشده من وحي خياله وعاطفته ويدرجه في ثنايا النثر ، واستخدامه لأسلوب القص في بناء مقالاته ، ببناء المقالة على شكل قصة واستخدام عناصر القصة من مكان وزمان وتسلسل أحداث وحوار ، وأخيرا توظيفه للتراث بكثرة ، هذا التراث الذي توزع بين آيات القرآن الكريم والشعر والأسماء ذات الدلالة والأغاني وأسماء الروايات الأدبية ، ويبقى أن نشير إلى عنصر فني مهم وهو صدق العاطفة التي شاعت في جل مقالاته الأدبية ، هذه العاطفة النابعة من إيمان الكاتب الصادق بالأمة ، انطلاقا من تكوين شخصيته في نشأتها في البيئة الريفية العربية المعتزة بالتراث والعروبة والإسلام ، وانطلاقا من ثقافته التي عززت هذا الإيمان ورفدته بطاقة كبيرة .

---

(١)- نفسه ص ١٠

الخاتمة

وفي خاتمة هذه الدراسة يمكن إجمال أهم النتائج التي توصلت إليها فيما يأتي :

أولا :- أن مقالات خالد الكركي في حدودها النوعية والشكلية والفنية قد توافر فيها نوعا المقالة : الموضوعية والذاتية ، فاحتوت النوع الأول المقالات النقدية والاجتماعية وفي النوع الثاني احتوت المقالات الشخصية والقصصية ومقالات السيرة ، ذلك أنه قد تناول عددا من الروايات العربية لعدد من الكتاب العرب مثل نجيب محفوظ في رواياته : " ابن فطومة " و" يوم رحل الزعيم " و " باقي من الزمن ساعة " وتناول عددا من القصائد بالنقد في إطار مقالاته ، كمقارباته النقدية لديوانين للشاعرين الأردنيين : علي الفزاع وفايز الصياغ ، وتناول عددا من الشؤون الاجتماعية الأردنية بالنقد على شكل مقالات تناولت مفهوم الوطن وعناصر تماسكه وأبعاد الشخصية الأردنية ، وفي الجانب الثاني المقالات الذاتية ، اصطبغت معظم مقالاته بالصبغة الشخصية ، باثا لواعج نفسه في معالجته قضايا أمته العربية في قضية فلسطين والعراق والوطن ، وكتب مقالات تتوافر فيها الأبعاد القصصية ، مثل وقوفه بين يدي شخصية الشاعر المتنبي والشاعر الأردني عرار ، فتوافرت فيها عناصر القصة من مكان وزمان وحوار وتسلسل أحداث ، ووقف في مقالات السيرة بين يدي عدد كبير من رموز الأمة التاريخية القديمة والحديثة مثل : صلاح الدين الايوبي وجعفر بن أبي طالب وعز الدين القسام وسليمان الحلبي ، ورموز الوطن مثل : فراس العجلوني وغيرهم .

ثانيا:- أن الموضوعات التي تناولها خالد الكركي في مقالاته الأدبية قد انسربت في ثلاثة أبعاد : البعد القومي العربي الذي تناول قضايا : فلسطين فعايش شخصياتها وشهداءها ورموزها الفدائية وعايش الإنسان الفلسطيني في همومه وشجون حياته اليومية ، وقضية العراق التي عايشها الكاتب في مرحلتيها : الأولى إبان حرب العراق مع إيران والثانية إبان حرب العراق مع أمريكا وأزلامها الانجليز وغيرهم ، فبكاها وثار وغضب لأجلها . وتمثلت في تعاطيه مع قضايا أمته العربية عامة في الابعاد الزمنية الثلاثة : الماضي والحاضر والمستقبل . فوقف على أطلال عزة العرب في تاريخهم الحضاري العريق ، حزينا لحالهم الراهن ، حالما بمستقبل الوحدة العربية المنشودة . أما البعد الثاني فقد تمثل في البعد الوطني الأردني ، فقد كان الأردن وما يزال يعيش في وجدان الكاتب مفهوما ووقوفا بين يدي رموزه الحضارية والإنسانية ، وبين يدي شهدائه

الأبرار ، وبين يدي تضحيات الإنسان الأردني في تضحياته التي تمثلت قديما وحديثا في مواقف مشرفة مثل " هبة الكرك " ثورة الكرك عام ١٩١٠ ضد الاتراك وغيرها ، وفي تضحيات الإنسان الأردني وتقديمه الشهداء على أرض فلسطين ، وظل يعايش الإنسان الأردني في همومه وتدبير شؤون حياته في ظل ضيق ذات اليد في هذا الوطن الصغير بحجمه وإمكانياته الكبير بعطائه ، وظلت الكرك مسقط الرأس تعيش في وجدان الكاتب حبا أزليا لا يبرد أواره بين جنبات نفسه ، أما البعد الثالث وهو البعد الثقافي فقد وقف فيه الكاتب عند عدة قضايا ، وهي حال الثقافة العربية في الاردن والوطن العربي ، والتأثيرات والتحديات التي تواجهها ، وناقش مفهوم الثقافة وعلاقة المثقف بالسلطة قديما وحديثا .

ثالثا :ـ أن الدراسة الفنية لمقالات خالد الكركي بينت أن النسيج اللغوي له توزع في جانبين : استخدامه الجمل والأساليب الإنشائية بكثرة من مثل : النداء والاستفهام والأمر والنهي وأدوات التنبيه ، لاستثارة المتلقي ومشاركته فكره وموضوع المقال الذي هو فيه . والجانب الثاني هو الجمل الخبرية التي تسهم في تعاطيها وتفاعلها مع الجمل والأساليب الإنشائية في صبغ أسلوب الكاتب بصبغة الشاعرية التي شهد له النقاد بها ، الأمر الذي أدى إلى تفرده بشخصية أدبية مستقلة وقاموس لغوي خاص به كذلك .

رابعا :ـ أن الدراسة الفنية بينت ثلاثة عناصر فنية تتوزع في جوانب مقالاته وهي : أولا :ـ تداخل الشعر بالنثر ذلك أنه قد كان يكتب مقالته الأدبية النثرية ويتحول إلى كتابة مقاطع من الشعر الحر من بنات فكره ، ويعود لمتابعة الموضوع باللغة النثرية ، دون أن يشعر القارئ بوجود فاصل أو حاجز يفصل الشعر عن النثر ، بل تغدو هذه المقاطع الشعرية جزءا من نسيج المقالة ولا تنفك عنها وثانيا :ـ اعتماده استخدام العناصر الفنية القصصية في بعض مقالاته ، فقد كان يصوغ بعض مقالاته على شكل قصص تتوافر فيها عناصر القصة الفنية من مثل المكان والزمان وتسلسل الأحداث وبالذات الحوار الذي يمثل الوسيلة لبوح الكاتب ، فهو يبث الروح في الشخصيات والرموز العربية القديمة والحديثة مثل المتنبي وعرار ، ويتجول وإياها في إطار قصة حافلة بعناصر القصة السابقة الذكر يبثها لواعج نفسه ويشكو من تردي أحوال الأمة العربية في العصر الحديث . أما الجانب الثالث فهو كثرة ورود الصور الفنية المتمثلة في " التشخيص والتجسيد " فهو يشخص الجمادات والرموز ومكونات الطبيعة ويبث الروح ـ كما أسلفنا ـ في الشخصيات التاريخية ، لتمثل عنصرا يبوح له الكاتب ويسقط ما بنفسه من مشاعر فيه .

خامسا :- أن الدراسة الفنية بينت توظيفه بكثرة لعناصر الموروث الحضاري الفكري الإسلامي العربي الوطني والإنساني ، فكان يوظف آيات القرآن الكريم بشكل مباشر بصيغتها التي وردت عليها في آي القرآن الكريم ، أو يلحن ويعرض إليها لحنا وتعريضا ، بحيث يحس القارئ أنه يقصد الآية كذا من السورة كذا ، وكان يوظف الشعر على ثلاثة أشكال : توظيف أجزاء من الأبيات الشعرية أو الأبيات الشعرية الكاملة أو نتفا ومقاطع من الشعر ، أو يعيش في جو قصيدة كاملة ، مثلما فعل عندما عاش في رحاب قصيدة مالك بن الريب في رثائه نفسه . وكان يوظف الأحداث التاريخية وذلك عن طريق إيراد بعض الأحداث التاريخية وإسقاطها على الحاضر كما فعل عندما أورد قصة ابن العلقمي الذي ساعد المغول في تدميرهم لبغداد في القرن السابع الهجري مسقطا هذه الحادثة على خيانه الفئات المتواطئة من العرب مع الأمريكان في احتلالهم للعراق وتخريبهم لبغداد سنة ٢٠٠٣ م ، وكان يوظف في هذا الاطار أيضا بعض النصوص التاريخية مثلما فعل عندما أورد بعض رسائل صلاح الدين الايوبي إلى الولاة والخلفاء أو منهم إليه في شأن تحرير عكا من أسر الصليبيين .

ووظف كذلك الأسماء فكان يكثر من إيراد أسماء المدن العربية والدول والأنهار والبحار والقلاع التاريخية والقاده العرب المسلمين وبعض الشخصيات غير العربية ، ويورد كذلك أسماء بعض المعارك الفاصلة في التاريخ العربي الإسلامي ، ووظف نتفا من سير الشخصيات العربية والإسلامية القديمة ، مثل صلاح الدين الايوبي وجعفر الطيار وسليمان الحلبي وعز الدين القسام ، عندما وقف بين أيديهم وأورد مقاطع من سيرهم ليبثهم لواعج نفسه ويشكو رداءة الحاضر . كما وظف بعض المقاطع الغنائية من الشعر العربي أو الفلكلور الشعبي لما لهذه الأغاني من دور في إغناء المقالة بالنغمات الموسيقية والشعرية ، ووظف أخيرا أسماء بعض الأعمال الروائية من النثر العربي والأجنبي في بناء مقالاته .

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر

أ- الكتب

١- القرآن الكريم

٢- خالد الكركي : أوراق عربية ، المؤسسة الصحفية الأردنية (الرأي) عمان ط١ ١٩٩٠م

٣- خالد الكركي : بغداد لا غالب الا الله ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط١ ٢٠٠٣

٤- خالد الكركي : تحولات الرجل اليماني ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ط١ ٢٠٠٤

٥- خالد الكركي : حماسة الشهداء ، رؤية الشهادة والشهيد في الشعر العربي الحديث ، دراسة ومختارات المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ط١ ١٩٩٨

٦- خالد الكركي وآخرون : حوارات في الفكر العربي المعاصر (٤) المشروع الحضاري العربي بين التراث والحداثة المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ط١ ٢٠٠٢

٧- خالد الكركي : دم المدائن والقصيد ، هواجس عربية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط١ ٢٠٠٠

٨- خالد الكركي :الرموز التراثية العربية في الشعر العربي الحديث . مكتبة الرائد العلمية ، عمان ط، ١٩٨٩

٩- خالد الكركي : الرواية في الأردن : مقدمة ، نشر بدعم من الجامعة الأردنية عمان ١٩٩٨

١٠- خالد الكركي : سنوات الصبر والرضا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط١ ١٩٩٩

١١- خالد الكركي : الصائح المحكي ، صورة المتنبي في الشعر العربي الحديث ، دراسة ومختارات المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط١ ١٩٩٩

١٢- خالد الكركي : قراءات في الثقافة والسلطة والإعلام ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط١ ٢٠٠١

١٣- خالد الكركي : منازل الأرجوان ، الشهداء القادة في الإسلام ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط١ ٢٠٠٢م

١٤- خالد الكركي : من دفاتر الوطن ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط١ ١٩٩٩

١٥ـ خالد الكركي : ورد ورماح : قراءات في البطولة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ط١ ٢٠٠٥

ب ـ الدوريات

١ـ خالد الكركي : الرموز التراثية في الشعر العربي الحديث ، دراسة في قصائد مختارة من الشعر الحر ، مجلة دراسات الجامعة الأردنية م ١٣ ع٤ ١٩٨٦

٢ـ خالد الكركي : ملاحظات حول الحركة الأدبية في الأردن ، المجلة الثقافية/ الجامعة الأردنية ع٧ ١٩٨٥

٣ـ خالد الكركي : كلام في الثقافة ، ثقافة الانكسار وثقافة التحدي ، المجلة الثقافية / الجامعة الأردنية ع ٥ ١٩٨٤

٤ـ خالد الكركي : مباهج الحرية وفتنة الاستبداد ، مجلة جرش الثقافية / جامعة جرش الأهلية ع ٢ شتاء ٢٠٠٥

٥ـ خالد الكركي : نجيب محفوظ مفكرا في روايته " الباقي من الزمن ساعة " صحيفة الرأي ع ٥٣٤١، ١٩٨٥/٢/١

٦ـ خالد الكركي : نجيب محفوظ مفكرا : رحلة ابن فطومة " رواية البحث عن أجوبة " صحيفة الرأي ع ٥٢٤٣ ١٩٨٤/١٠/٢٦

٧ـ خالد الكركي : قراءة في رواية نجيب محفوظ : يوم قتل الزعيم صحيفة الرأي ع ٦٦٧٠ ١٨/ ١٩٨٦/٤

٨ـ خالد الكركي : قراءة في ديوان فايز صياغ الحب مثلا وقصائد أخرى ، صحيفة الرأي ع ٦٧٧٨ ١٩٨٩/٢/٣

٩ـ خالد الكركي : صورة الإنجليز في أدب أحمد فارس الشدياق ، مجلة دراسات الجامعة الأردنية م ١٢ .ع٣ ١٩٨٥م

١٠ـ خالد الكركي : نسرين .. السفر بين مؤاب ودمشق ، صحيفة الرأي ، ع ١٢٧٦١ ٢٩ / ٨ ٢٠٠٥ .

١١ـ خالد الكركي : علي الفزاع في ديوانه الخروج من جزيرة الضباب ، صحيفة الرأي ١٩٨٦/٤/١٨ ع ٥٧٧٤

ثانيا : المراجع

أ ـ المراجع العربية

١- إبراهيم أنيس وآخرون : المعجم الوسيط ، د ت

٢- إبراهيم خليل : مقدمات لدراسة الحياة الأدبية في الأردن دراسة ومختارات نقدية ، الجوهرة للنشر والتوزيع عمان ط١ ٢٠٠٣

٣- ابن منظور : لسان العرب ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٩٢

٤- إحسان عباس : المرآة الصادقة ، تقديم كتاب حماسة الشهداء ، رؤية الشهادة والشهيد في الشعر العربي الحديث : دراسة ومختارات، لخالد الكركي

٥- أحمد المصلح :- المقالة الصحفية في الأردن مقالات الأدباء نموذجا ضمن " فن المقالة في الأردن " تحرير شكري الماضي وهندابو الشعر، منشورات جامعة آل البيت ٢٠٠٠م

٦- أديب مروه : الصحافة العربية نشأتها وتطورها ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٦١

٧- إسماعيل إبراهيم ، فن المقال الصحفي ، القاهرة ، دار الفجر ،٢٠٠١ .

٨- جبور عبد النور : المعجم الأدبي ط٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤

٩- حسن حنفي : في الثقافة السياسية : آراء حول أزمة الفكر والممارسة في الوطن العربي ، منشورات دار علاء الدين ، ط١ ، دمشق ١٩٩٨

10- خليل صابات : تاريخ الطباعة في الشرق العربي ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٦

١١- ربيعي عبد الخالق ، فن المقالة في الأدب العربي الحديث ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٨

١٢- رفقة محمد دودين : السمات المقالية والسمات القصصية ضمن " فن المقالة في الأردن "

١٣- زكي نجيب محمود ، جنة العبيط ، أدب المقالة ، القاهرة : مطبعة التأليف والترجمة ، ١٩٤٧

١٤- سمير قطامي :- من بيدر الحياة مطابع المؤسسة الصحفية (الرأي) ط١ ١٩٩٨

١٥- شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، ط ٨ دار المعارف ـالقاهرة ١٩٤٦

١٦- صالح أبو اصبع ، محمد عبيد الله ، فن المقالة ، دار مجدلاوي ، عمان ، ٢٠٠٢ .

١٧- عبد العزيز شرف : أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصالة ، دار الجيل ، بيروت ٢٠٠٠

١٨-عبد العزيز شرف ، التفسير الإعلامي لأدب المقالة ، القاهرة . دار عالم المعرفة والنشر والتوزيع عام ١٩٩٥

١٩- عبد القادر رزق الطويل : المقالة في أدب العقاد الدار المصرية اللبنانية القاهرة ط١ ١٩٨٧
٢٠- عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية في مصر ، القاهرة ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٩٥
٢١- عبد الله رضوان : البنى السردية : دراسات تطبيقة في القصة القصيرة الأردنية ، منشورات رابطة الكتاب الأردنين ، بدعم من مؤسسة عبد الحميد شومان ، عمان ، ١٩٩٥
٢٢- عصام الموسى : تطور الصحافة الأردنية ، الجمعية العلمية الملكية ، عمان ١٩٩٨
٢٣- عمر الدسوقي : نشأة النثر الحديث وتطوره ، ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د ت .
٢٤- غسان إسماعيل عبد الخالق : المثقف العربي والسلطة ، تراجيديا الفراشة والنار، ضمن : المشروع الحضاري العربي بين التراث والحداثة ، حوارات في الفكر العربي المعاصر (خالد الكركي وآخرون)
٢٥- فاروق أبو زيد ، فن الكتابة الصحفية عالم الكتب القاهرة ١٩٨٥ ،
٢٦- ليلى شرف : المشروع الحضاري العربي بين التراث والحداثة ، حوارات في الفكر العربي المعاصر (خالد الكركي وآخرون)
٢٧- مأمون بن محي الدين الجنان ، بديع الزمان الهمذاني بين المقالة والرسالة بيروت ، دار الكتب العربية ، ١٩٩٣
٢٨- مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، دار الفكر طرابلس لبنان ١٩٧٩
٢٩- مجد السيد ، محمد الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، د ت .
٣٠- مجد محمد البرازي : في النقد الأدبي الحديث مكتبة الرسالة الحديثة عمان ط١ ١٩٨٦
٣١-محمد بن أبي بكر الرازي ، مختار الصحاح ، ١٩٧٢ ، دار القرآن الكريم ، بيروت
٣٢- محمد أبو كتة وآخرون : فن الكتابة العربية : جزنيات المقال الأدبي ، القدس ، ١٩٨٤
٣٣- محمد جابر الانصاري : التأزم العربي في الفكر والواقع ، حوار مع الدكتور محمد جابر الانصاري منتدى عبد الحميد شومان الثقافي عمان مؤسسة عبد الحميد شومان ط١ ١٩٩٨
٣٤- محمد سليم عبد الجواد :- البناء الفني للمقالة ، ضمن " فن المقالة في الأردن "
٣٥- محمد علي الأصفر ، الوظيفة الإعلامية لأدب المقالة ، إدارة المطبوعات – طرابلس ١٩٩٨
٣٦- محمد عوض محمد : فن المقالة الأدبية ، القاهرة ١٩٥٩ .
٣٧- محمد يوسف نجم : فن المقالة دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ط٢ ١٩٦٠
٣٨- محمود احمد الحلحولي عناصر المقالة القصصية ضمن" فن المقالة في الأردن "

٣٩- محمود الشريف ، فن المقالة الموضوعية والصحيفة والأدبية الكويت عام ١٩٨٥

٤٠- مصطفى الشكعة ، بديع الزمان الهمذاني ، رائد القصة العربية والمقالة الصحفية ، الدار المصرية اللبنانية ، ٢٠٠٢ ،

٤١- نبيل حداد : في المقالة الأدبية : الدكتور خالد الكركي نموذجا ، ضمن" فن المقالة في الأردن "

٤٢- هند ابو الشعر : بو اكير المقالة في الأردن مجلة الرائد نموذجا ضمن " فن المقالة في الأردن "

٤٣- بيتر جوبسر ، السياسة والتغير في الكرك الأردن دراسة بلدة عربية صغيرة ومنطقتها تر خالد الكركي بدعم من الجامعة الأردنية عمان ط١ ١٩٨٨ .

ب - المراجع الأجنبية

1 - Scholes, Robert : **Eassay, Fiction, Poetry, Drama, Film**, N . Y. Oxford University, Press, 1991 .

2 - Chevaliere, Tracy : **Encyclopedia of the Eassay**, London: Fitzory Dearborn Pob., 1997

3 - Dobie, Ann/Nirt, Andrew **Comprehension and Composition an to the Introduction to the**, New York: Macmillan, 1980 .

The literary Essays in Khalid Al-Karaki's Writings

The study dealt with Khalid Al-Karaki's essays which were characterized with some of the traits that gave him his independent identity on this field in both levels , the Jordanian and the Arabic. His language was tinctured with wholehearted, ebullient sentiment and romantic, the manifestation of diagnosis, embodiment, vocabulary and the efficacious expressions formed his own personal dictionary, in addition to, he was able to use the dimensions of nationalism, patriotism and cultural on his writing.

Despite the importance , richness of this study and the opulence to be studied, there were no abundant research papers for Khalid Al-Karaki's essays , only there were two Jordanian research papers, the first one written by Nabeel Hadad, and the second one written by Ahmed Al-Musleh under the title " The art of essays in Jordan ". According to this, I have chosen this study under the title " The literary essays in Khalid Al-Karaki's writing ". My study was commenced from a number of justifications; employing different technicality on his literary essays which led to be coherently issued to be as lyric. This study rely on some hypotheses: employing his conscious criticism and culture to construct and form his essays, the realism adds a positive attitude on his essays and his essays were full of collective worry.

The research is divided into an introduction , three chapters and conclusion. The first chapter dealt with the development of art literary, the concept and parts of essay , the social origins and the cultural formation of Khalid Al-Karaki, the writing essay tributaries of Khalid Al-Karaki, the limitation of essay's type and its features of Khalid Al-Karaki.

The second chapter dealt with the dimensions and problems that the writer's subjects concern with. The third chapter dealt with writer's artistical studying according to linguistic texture, artistical elements and employing heritage. The writer depend on the comprehension reading of Khalid Al-Karaki's essays as procedure in this study through reading his essays to distinguish the problems and dimension dealt with these assays and reading the artistical elements, linguistic texture, employing heritage on these essays rely on a number of references documented at the end of the theses.